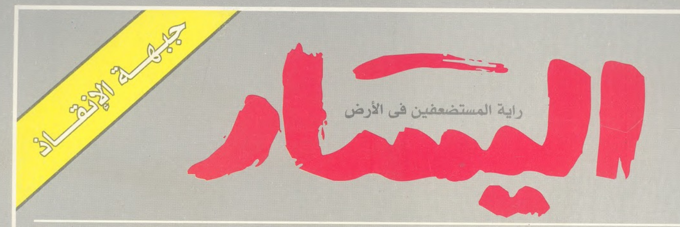


اليسار / العدد السادس والتسعون / فبراير ١٩٩٨ م / شوال ١٤١٨ هـ / الثمن جنيهان

وتفسر بإيه إنك منوفى .. ورغم كده ما مسكتش
وزارة أو بقيت رئيس وزراء لحد دلوقتى ؟!

عمرو سليم

بيان الحكومة يفرض التغيير

نتنياهو والإنتفاضة

تركيا في ظل العسكر

هل يتراجع الشيوعيون في معركة الأرض؟

حراس المرمى أخطر أمراض الكرة المصرية

« القبطان ».. روح الشعب الذي يعطي ويرحل الحكام

الأقباط والأسد الأمريكي الأصولي

الخصخصة على الطريقة المصرية تدمّر صناعة النسيج

خلدون غرايبة

الجزائر

خلدون غرايبة

فى هذا العــدد

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المستشارون
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR1KARIM
EL DAWLASTTALAAT
HARB SQ
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.
الادارة والتحرير:١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX : 5786298

للیســار در

نهايــــة عامنــــا الثــامـن



كل عام وأنتم بخير ..

يصدر هذا العدد في عيد الفطر المبارك ونهاية شهر رمضان المبارك .

ومن حقنا جميعا أن نختلس لحظات للفرح والمرح وسط هذه المشاكل والمصاعب والأحزان التى تحيط بنا من كل جانب ، لنستطيع مواصلة الطريق.

وبهذا العدد تستكمل **اليسار** عامها الثامن ، وتبدأ في الشهر القادم عامها التاسع باذن الله . ونتتهز هذه الفرصة لندعو القراء والأصدقاء لكى يرسلوا إلينا - بسرعة - انتقاداتهم وملاحظاتهم واقتراحاتهم لنشرع في تنفيذ الممكن منها اعتبارا من عدد مارس ١٩٩٨ . ونؤكد مرة أخرى على الأصدقاء - خاصة أعضاء " **جماعة أصدقاء اليسار** " - أن مواصلة اليسار في تأدية دورها مستحيل دون حرصهم على دفع اشتراكاتهم وتبرعاتهم لليسار . فنحن نصدر بهذه القروش القليلة التى تعهدوا بدفعها سنويا.

نعود إلى هذا العدد وما احتواه من مواد.

في الساحة المصرية تنوعت القضايا من التعليق على بيان الحكومة (**موقفنا**) إلى تحليل **عبد الغفار شكر** لمؤتمر الأحزاب والقوى السياسية لتنمية الديمقراطية ، ومتابعة "**عريان نصيف**" الدقيقة والواعية للزراعة المصرية "الخصخصة على الطريقة المصرية تهدد زراعة القطن" ، ومواصلة عرض هموم أقباط مصر بقلم " **سمير مرقس**" الذى وعدنا بمواصلة الكتابة في هذا المجال تحت عنوان " **نحو المواطنة**" إلى تحقيق" **خالد البلشى**" لوقائع تكفير المفكرين الاسلاميين المجتهدين ، ونقد " **خليل عبد الكريم**" لمواقف المؤسسة الدينية الرسمية ، وحديث " **د. أحمد محمد صالح**" عن الفقر والفقراء ، وكلمات قليلة يكتبها " **حسين عبد الرازق**" عن رحيل **هشام مبارك** الفاجع ودوره في حركة حقوق الانسان ومساهماته في اليسار.

وفي الساحة العربية ، تناقش رسالتى حيفا والقدس الهم الفلسطينى . ويكتب " **حسين العودات** " من دمشق عن السياسة التركية كما يرونها في سوريا ، ويؤكد " **فؤاد نهرا**" أن إحتمالات اعتداء إسرائيلى على سوريا ولبنان أمر وارد. ومن عمان يتابع " **صلاح يوسف** " مؤتمر الحزب الشيوعى الأردنى ، ويجرى لقاءا مع عضو في المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى حول الحزب وأوضاع العراق . وقد وصلنا قبل الطبع لقاء مع سكرتير الحزب الشيوعى العراقى أجراه معه **نبيل يعقوب** في ألمانيا ، سننشره في العدد القادم لتكتمل صورة الواقع العراقى الداخلى من وجهة نظر المعارضة الوطنية العراقية.

في الساحة الدولية يكتب **مجدى نصيف** عن ظاهرة انتقال السلطة في جنوب أفريقيا وشخصية تامبومبيكى خليفة مانديلا ويلقى **أحمد الخميسى** من موسكو الضوء على مشكلة الأرض وكيف يتعامل معها الحكم والمعارضة كاشفا طبيعة التطورات التى تجرى في روسيا.

ويعرى **سمير كرم** النظام الرأسمالى في رسالة واشنطون ، في ضوء المواجهة الأمريكية لأزمة هذا النظام في جنوب شرق أسيا ، وفى الداخل الأمريكى . وتتعرض رسالة ألمانيا لجانب من مأساة الأكراد في أوربا ، وتتناول رسالة براغ الأزمة السياسية في جمهورية التشيك

ولم تؤثر هذه المتابعة الواسعة للساحات المصرية والعربية والدولية على الجانب الفكرى والثقافى والفنى الذى احتل ٢٧ صفحة في هذا العدد ، قد لاترضى المطالبين بالتوسع في الجانب الفكرى والنظرى ، ولكن لابد أن نأخذ في الاعتبار المساحة الواسعة للجانب الفكرى والنظرى في العدد الماضى .

مرة أخرى كل عام وأنتم بخير

اليسار

موقفنــــــا

بيـــان الحكومـة .. يفرض ضـــرورة التغـــــيير

د. كمال الجنزورى يلقى بيـــــانا من الذاكـــرة !

في ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧ ألقى **د. كمال الجنزورى** من الذاكرة ملخصا لبيان رئيس الوزراء عن برنامج الحكومة . ووزع نص البيان الذى يقع في ١٢٨ صفحة على أعضاء المجلس . وكالعادة فالبيان مُتخم بالأرقام والانجازات والنجاحات التى حققتها الحكومة.

ولايحتاج المرء إلى جهد خاص ليكتشف أن البيان - بصرف النظر عن تقييمه - لايعدو أن يكون برنامجا أو تقريرا للمجموعة الاقتصادية ، وليس بيانا لحكومة مسئولة من أى نوع كانت.

فالبيان يخلو من أى حديث جاد عن الأمن القومى المصرى والعربى ، وعلاقات مصر العربية والاقليمية والدولية. فلا يمكن اعتبار الأسطر الخمسة والعشرين التى وردت فى نهاية البيان صفحتى ١٢٣ و١٢٤) تحت عنوان العلاقات الخارجية برنامجا لسياسة عربية وخارجية لأى حكومة .

ويبدو أن السيد رئيس مجلس الوزراء يريد أن يقول لأعضاء مجلس الشعب وللرأى العام مايعرفه الجميع من أن الحكومة لاناقة لها ولاجمل بالنسبة للسياسة الخارجية والقوات المسلحة والأمن السياسى والاعلام .. فجميعها يخضع لرئيس الجمهورية!

ويبدو أيضا - استمراراً لهذه الحقيقة - أن الحكومة لاتملك أن تقول شيئا بالنسبة لقضية **الديمقراطية السياسية** التى تشهد كل يوم تراجعا ومزيدا من القيود . ولا فى قضية **الارهاب** الذى يشغل بال الجميع ، خاصة بعد جريمة الأقصر ، إلا بال حكومة الدكتور الجنزورى التى يبدو أنها " تملك ولاتحكم" كما كان يقال على الملوك فى ظل الملكية الدستورية .

وإذا تركنا هذه القضايا الكبرى التى سكتت عنها الحكومة ، وركزنا على الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية . فسنفاجأ بأن المسكوت عنه أكثر من الذى تناوله بيان رئيس الوزراء بالحديث ، وأن هناك كثيرا من البيانات والأرقام مشكوك فى صحتها.

فاذا تجاوزنا عن استمرار **الخلط المتعمد بين مايسمى انجازات الحكم خلال ١٥ عاما ، وانجاز حكومة د. الجنزورى خلال عامين ، وماحققته حكومته خلال عام ١٩٩٧ (وهو موضوع البيان)..** وتجاوزنا عن استمرار سياسة **بيع الوهم للمواطنين** بالحديث مرة أخرى عن خطة مصر للقرن الواحد والعشرين ، ومشروع الاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية طويلة المدى حتى عام ٢٠١٧، والمشاريع القومية الكبرى (الدلتا الجديدة وترعة توشكى - تعمير جنوب الوادى - تعمير سيناء) ، دون أن تحدد الحكومة كيفية توفير ٢٧ مليار دولار استثمارات أجنبية مباشرة.

إذا تجاوزنا عن ذلك كله ، وهو خطير جدا .. سنجد أن الحكومة **سكتت سكوتا مريبا عن مشكلة الفقر** التى أصبحت سمة مميزة للمجتمع المصرى بعد أن أصبح ٤٨٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر طبقا

رئيس التحرير

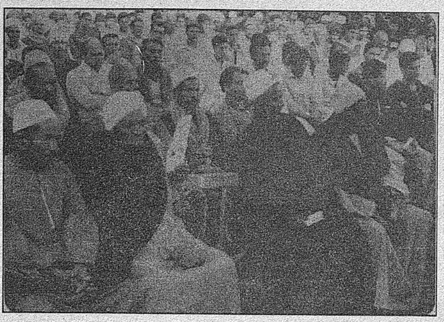
للتقديرات الرسمية ، وتجاهلت قضية ارتفاع أسعار السلع والخدمات الأساسية والتى تتراوح بين ٢٠٪ و٣٠٪ طبقا لتقدير الغرفة التجارية ، ولم تشر بكلمة واحدة للآثار التى ترتبت على بدء تنفيذ الفقرة الخاصة بانهاء عقود الايجار فى الأراضى الزراعية اعتبارا من أكتوبر الماضى ، ومن **اضطرابات اجتماعية وأمنية وسقوط ٣٢ شهيدا من الفلاحين واعتقال الآلاف** ، وماسيترتب على هذه الخطوة فى العام الحالى والأعوام القادمة من تراجع الانتاج الزراعى **واحتمالات انفجار العنف فى الريف المصرى.**

وكثير مما ذكرته الحكومة يحتاج بدوره إلى تصحيح وتدقيق ، حيث يسود التلاعب فى الأرقام والحرص على إخفاء كثير من الحقائق.

مثلا تخفيض العجز فى الموازنة العامة لأقل من ١٪ ، تم على حساب مستوى معيشة المواطن البسيط أساسا ، وليس نتيجة سياسة اقتصادية اجتماعية ومالية صحيحة . فقد لجأت الحكومة لتخفيض العجز عن طريق **تخفيض الانفاق الحكومى الاستثمارى فى مجال القطاعات الانتاجية السلعية خاصة فى الصناعات الوسيطة والرأسمالية** التى لايقبل القطاع الخاص على الاستثمار فيها ، مما يعنى إبطاء معدل النمو وزيادة حجم البطالة ، **وعدم زيادة الانفاق على الخدمات الأساسية بما يتناسب مع زيادة السكان** وضرورة تقديم الخدمات الضرورية بالجودة المطلوبة وبالأسعار التى تناسب الدخول ، سواء كانت خدمات الصحة أو التعليم أو دعم السلع الغذائية.

ويذكر البيان أن نصيب الفرد من الناتج الاجمالى يبلغ نحو ٤٤٧٠ جنيها وبما يعادل **١٣١٤ دولاراً** مما يضع مصر فى مصاف الدول المتوسطة الدخل . وبصرف النظر عن التلاعب الواضح فى تقدير متوسط دخل الفرد على أساس الناتج المحلى الاجمالى بأسعار السوق ، وليس بتكلفة عوامل الانتاج وهى الطريقة الصحيحة المتعارف عليها ، فالرقم الذى ذكره رئيس الوزراء يُصعب تصديقه . فطبقا لبيانات البنك الدولى فان متوسط نصيب الفرد فى الدخل القومى فى مصر كان **٧٢٠ دولاراً** عام ١٩٩٤ ، و**٧٩٠ دولاراً** عام ١٩٩٥ ، **فهل يعقل أن يقفز خلال عامين فقط بنسبة ٦٥٪ ليصل إلى ١٣١٤ دولاراً !!**

نفس التلاعب والخداع بالأرقام يبدو واضحا عندما يقول رئيس الوزراء فى بيانه أن عدد المشتغلين ارتفع عام ٩٦ /١٩٩٧



٣٢ شهيدا من الفلاحين .. لم يتعرض البيان لمشكلتهم

إلى **١٥ مليون و٨٢٥ ألف** بعد أن كان ١٤ مليون و٨٧٩ ألف منذ عامين « بعد أن أتيح أكثر من مليون فرصة عمل خلال السنتين الماضيتين ، استوعبت الزيادة فى قوة العمل الجديدة وسحبت من رصيد البطالة القائم " لينتهى البيان إلى أن معدل البطالة سينخفض فى العام القادم إلى نحو ٨ر٢٪ . ولاندرى كيف تحققت معجزة تشغيل أكثر من نصف مليون مواطن فى العام رغم أن التكلفة الاستثمارية لـ ٥٠٠ ألف فرصة عمل تتجاوز ٢ مليار جنيه **وأن معدل البطالة كان حتى عام ١٩٩٥ (٥ر١٧٪) ، أى أنه انخفض بنسبة ٥٠٪ فى عامين فقط!**

وعندما يتحدث البيان عن برنامج **الخصخصة** فى العام القادم ، فانه يقفز فوق

د. عاطف عبيد



كثير من الحقائق الخطيرة ، مثل قرار الحكومة بتنفيذ تعهدها لصندوق النقد والبنك الدولى **ببيع أحد بنوك القطاع العام التجارية** (بنك الاسكندرية على الأرجح) خلال هذا العام **وبيع إحدى شركات التأمين** ، بعد تطوير القوانين الخاصة بهما ، **وتعهدها بطرح المرافق الكبرى وهيئة الاتصالات وشركات قطاع الأعمال الضخمة والمطارات للبيع** ، وهو ماصرح به **"ماورو بيكافى"** الممثل المقيم لصندوق النقد الدولى بالقاهرة فى مؤتمر صحفى مشترك مع **د. عاطف عبيد** وزير قطاع الأعمال يوم ١٧ ديسمبر الماضى . ولايحوى نفى المسئولين أنه لاتوجد نية لبيع **قناة السويس وشركة مصر للطيران والسكك الحديدية** ، فقد أكدوا من قبل أنه لاتوجد نية لبيع البنوك وشركات التأمين والمطارات والموانى والمصانع الكبرى الاستراتيجية ، ولكن سرعان ماكذبوا أنفسهم بالإقدام على خصخصة كل هذه المشروعات استجابة لتعهدات(سرية) واردة فى خطابات النوايا المقدمة لصندوق النقد الدولى والتى مازالت سرية على أعضاء مجلس الشعب المصرى.

هل تكفى هذه الحقائق - وهناك عشرات غيرها - لنعلن رفضنا لهذا البيان ولسياسات الحكم ، ولنرفع مرة أخرى وباصرار شعار التغيير.



من مؤتمر الديمقراطية إلى جبهة الإنقاذ

عبد الغفار شكر

اعتقد انه لم يحدث الالتفات الكافي حتى الآن للمؤتمر الذى نظمته الأحزاب والقوى السياسية دفاعا عن الديمقراطية والحريات وحقوق الانسان فى الفترة من ٨ إلى ١٠ ديسمبر ١٩٩٧ ، رغم أن هذا المؤتمر سوف يكون علامة فارقة فى التطور السياسى للمجتمع المصرى لأكثر من سبب:

فهو أولا يعتبر الحدث الأول من نوعه فى تاريخ مصر الحديث ، حيث لم يسبق أن التقت من قبل كل القوى السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار لمناقشة القضية الأساسية للمجتمع وهى قضية النظام السياسى والديمقراطية .

وهو ثانيا تعبير عن درجة عالية من الاجماع الوطنى بالتقاء كافة أحزاب المعارضة والقوى السياسية الفاعلة والشخصيات العامة المستقلة المؤثرة فكريا وثقافيا فى إطار مناقشة جادة ومتعمقة لهذه القضية المحورية من خلال أوراق بحثية تناولت مختلف جوانب القضية.

ويلفت النظر هنا أن القوى المشاركة شملت كافة القيادات الفكرية والسياسية النشطة فى الساحة المصرية وهى التيار الليبرالى والتيار الاشتراكى والتيار القومى والتيار الاسلامى.

وقد تبادل المشاركون فى المؤتمر من هذه التيارات الأربعة الرأى والتعقيب على الأوراق البحثية المقدمة مما ساعد على بلورة واضحة لنقاط الاختلاف والاتفاق وعدم التغطية عليها . ويكفى أن نشير هنا إلى تعقيب الدكتور **كمال حبيب** (التيار الاسلامى) على ورقة الشيخ **مصطفى عاصى** (حزب التجمع) حول حقوق الانسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون ، وتعقيب **محمد السخاوى** (حزب العمل) على ورقة **عريان نصيف** (حزب التجمع) حول قضايا الفلاحين ، وتعقيب الدكتور **سعيد النجار** (رئيس جمعية النداء الجديد الليبرالية) على ورقة **عبد الغفار شكر** (حزب التجمع) عن علاقة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بالديمقراطية السياسية ، وتعقيب **عبد العزيز محمد** (الوفد) على ورقة **منتصر الزيات** (التيار الاسلامى) حول حالة الطوارئ ، وتعقيب المهندس **أبو العلا ماضى** حزب الوسط) على ورقة **محمد علوان** (الوفد) حول النقابات المهنية وتأثرها ببعض التشريعات.

وهذا المؤتمر ثالثا يسفر بالفعل عن اتفاق كامل بين القوى السياسية المشاركة حول قضية الديمقراطية وينتهى إلى برنامج عمل محدد أعلنت هذه القوى عن التزامها به مجتمعة وكل على حدة سواء كانوا فى المعارضة أو وصل بعضهم للحكم . **وهذه هى المرة الأولى التى يتشكل فيها مثل هذا الموقف الاجماعى من قضية رئيسية فى العمل الوطنى .** صحيح أن مصر شهدت من قبل إجماعا وطنيا لكنه كان يدور حول توجهات عامة وليس حول برنامج عمل محدد مثل الاجماع الوطنى المؤيد لالغاء **معاهدة ١٩٣٦** وضرورة انهاء الاحتلال الأجنبى لمصر ، والاجماع الوطنى المساند **لثورة ٢٣ يوليو** ضد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ .

ومع ذلك ورغم أهمية هذا الحدث غير المسبوق ورغم أنه يرسى أساسا متينا للنضال الديمقراطى مع بداية القرن الواحد والعشرين إلا أن أجهزة الاعلام القومية من اذاعة وتليفزيون وصحافة قد تجاهلته ، كما تجاهله معظم الكتاب والمثقفين الذين يكتبون فيها . وهو موقف يدعو للأسف ويلقى مزيدا من الأعباء على القوى والأحزاب السياسية المشاركة فى المؤتمر أن تكثف جهودها من أجل الوصول بنتائج هذا المؤتمر إلى أوسع دائرة شعبية ممكنة . فالتحدى الأول الذى يواجه هذه القوى والأحزاب أن تبادر إلى تنفيذ إعلانها فى ختام البيان الصادر عن المؤتمر وتحويله إلى خطوات ملموسة (داعين المواطنين والأحزاب السياسية المصرية جميعها ، والنقابات العمالية والمهنية ، واتحادات الطلاب ، ومراكز ومنظمات البحث و حقوق الانسان، والمنظمات الديمقراطية عامة إلى مناقشته واعلان موقفها منه . وسنعمل من جانبنا بكل الوسائل والأساليب الديمقراطية المشروعة لحشد الرأى العام معنا حول هذا البرنامج ، ساعين لتحويله إلى واقع معاش مهما كلفنا ذلك من جهد وتضحيات).

نحو جبهة للانقاذ

إن نجاح القوى الديمقراطية فى تعبئة الرأى العام وحشد القوى حول **البرنامج الديمقراطى للاصلاح السياسى والدستورى** الذى انتهى إليه المؤتمر يتطلب أن تضع هذه القوى أهدافا لحركتها ونضالها أبعد من العمل فى حدود قرارات المؤتمر والسعى للانتقال - عندما تتهيأ الظروف - إلى

قادة الأحزاب والقوى السياسية فى مؤتمرهم الصحفى عشية المؤتمر



تأسيس جبهة للانقاذ الوطنى تضم كافة القوى السياسية والمنظمات الديمقراطية والنقابات العمالية والمهنية والاتحادات الطلابية لاخراج مصر من مأزقها الراهن بتأسيس حكم ديمقراطى حقيقى يفتح الباب عمليا أمام امكانية تداول السلطة سلميا ، وإلا فاننا (كما يؤكد بيان المؤتمر) نغامر بتعريض المجتمع لمزيد من العنف والارهاب. **فاغلاق باب التغيير الديمقراطى السلمى ، هو دفع لقوى التغيير لاستعمال العنف ، وافساح للطريق أمام الجماعات الانقلابية والارهابية .**

وقد أفاض البيان الصادر عن المؤتمر فى توضيح أبعاد المأزق الراهن الذى يمسك بخناق مصر ويتطلب جهدا متصلا شاقا ومضنيا من أجل إخراجها من هذا المأزق ، وانقاذ شعبها من حالة الحصار التى يعيشها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا نتيجة للأوضاع الاستبدادية المفروضة عليه وحرمانه من حقوقه وحرياته الأساسية وتزوير الانتخابات لضمان استمرار احتكار الحكم ، وتعرض المعارضين السياسيين للقهر والتعذيب فضلا عن تصاعد معدلات الاستغلال والإفقار ، وتخلى الدولة عن مسئولياتها الاجتماعية سواء فى توفير حق السكن لمحدودى الدخل أو حق العمل أو حق التعليم أو الحق فى التمتع بالحد الأدنى من الرعاية الصحية ومستوى معيشة يليق بالبشر وتصاعد ظاهرة الارهاب والعنف الدموى من قبل جماعات تتهم المجتمع كله بالجاهلية وتكفره وترفض الديمقراطية والتعددية وتسعى للتغيير بالعنف والارهاب ، **لتكتمل الحلقة الجهنمية التى تمسك بتلابيب المواطن المصرى وماترتب على هذا كله من إصابة المجتمع بحالة من اليأس والاحباط،** فى وقت تتعرض مصر لهجمة شرسة من الصهيونية وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ومايسمى بالنظام العالمى الجديد والمؤسسات المالية الدولية تستهدف مصادرة حلم التقدم وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية ، واستعادة دورنا الحضارى والانسانى وتأكيد هويتنا .

إن هذا الوصف لمأزق مصر الراهن كما جاء فى البيان الصادر عن المؤتمر يحتم على الأحزاب والقوى السياسية الداعية للمؤتمر ألا تكتفى بالعمل فى حدود أعمال المؤتمر وانما أن تستشرف آفاق المستقبل ومتطلباته الضرورية بالتخطيط للاستفادة من النجاح الذى تحقق فى المؤتمر والتخطيط للانتقال إلى **تأسيس جبهة للانقاذ الوطنى تنسق حركة القوى الديمقراطية فى مصر ونضالها من أجل تنفيذ برنامج متكامل للانقاذ الوطنى تكون ركيزته الأساسية برنامج الاصلاح السياسى المتفق عليه .**

ومما يساعد على توفير امكانية حقيقية للسير قدما نحو تأسيس الجبهة أن هذا



حوار حول ثقافة الطوارئ فى اللجنة الثانية

البرنامج للاصلاح السياسى يعالج بالفعل قضايا حساسة لم تكن موضع اتفاق من قبل كالموقف من الارهاب والموقف من الأحزاب الدينية ، ويتناول قضايا ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية ، فضلا عن وضوحه فى القضايا السياسية . وبذلك فان برنامج الاصلاح السياسى يتضمن بالفعل امكانيات حقيقية للتطوير نحو صياغة برنامج أكثر شمولا للانقاذ يلبى الاحتياجات الملحة لتطور مصر فى المرحلة القادمة.

ملامح جديدة للإصلاح السياسى

يتضمن برنامج الاصلاح السياسى الصادر عن المؤتمر ملامح جديدة سواء فيما يتصل ببعض القضايا الخلافية التى تم تسويتها ضمنا ، أو فيما يتصل بشمولية المعالجة ، ومن المهم أن تركز الأحزاب والقوى السياسية فى نشاطها المشترك ودعوتها للمواطنين



للمساهمة معها فى تنفيذه على هذه الملامح التى نختار منها أربع قضايا محددة هى:

أولا: ديمقراطية المجتمع : وهى أساس عملية الاصلاح السياسى كلها ، والمقدمة الحقيقية للاصلاح فى المجالات الأخرى ، ويرى برنامج الاصلاح السياسى أنها يمكن أن تتحقق من خلال ضمان الحريات والحقوق الأساسية للمواطنين وفى مقدمتها حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية ، وحرية الرأى والتعبير وتداول المعلومات والابداع الأدبى والفنى والبحث العلمى ، وحرية تكوين الجمعيات والتعدد الحزبى وحق التظاهر والاضراب السلميين دون قيود مانعة ، والحق فى الحرية والأمان الشخصى وسلامة الجسد ، والغاء كافة التشريعات التى تنتقص من هذه الحقوق ، ويحدد البرنامج الاجراءات المطلوبة لتحقيق ذلك بتوفير ضمانات التقاضى واستقلال القضاء والغاء حالة الطوارئ واطلاق حرية التنظيمات السياسية والنقابية والجمعيات الأهلية فى إطار المقومات الأساسية للمجتمع والنظام والآداب العامة.

ويلفت النظر هنا أن جميع الأحزاب والقوى السياسية المشاركة فى المؤتمر قد اتفقت ضمنا على رفض قيام أحزاب دينية ولم تصادر حق الأحزاب ذات المرجعية الاسلامية من أن تتشكل وفقا للقانون . وقد تحقق هذا الاتفاق عندما تضمن برنامج الاصلاح السياسى فى البند **سابعا** شروط قيام الأحزاب السياسية بالنص على(اطلاق حرية تشكيل الأحزاب لكافة القوى والتيارات السياسية بمجرد الاخطار على أسس ديمقراطية تضمن أن يكون الحزب مفتوحا لجميع المصريين بلا تمييز ، واعتبار حق المواطنة مناطا للحقوق والواجبات ، وأن يلتزم بقواعد العمل الديمقراطى فى إطار دستور يضعه

الشعب ويقره ديمقراطيا ، وقبول مبدأ تداول السلطة من خلال الانتخابات العامة والتعددية الحزبية الآن وفي المستقبل ، وأن لاينشئ تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية . وتختص المحكمة الدستورية دون غيرها بالفصل في أي منازعة حول التزام الحزب بهذه المبادئ.

بهذا النص تكون جميع الأحزاب والقوى السياسية قد اتفقت على صيغة للحزب السياسي تستبعد الأحزاب الدينية ولاتصادر حق الأحزاب ذات المرجعية الاسلامية في التأسيس ويكون قد وافق على ذلك الجميع بما فيهم الاخوان المسلمون والشيوعيون.

ثانيا ديمقراطية الحكم: ويعالج البرنامج هذه القضية في ثلاثة بنود(**رابعا وخامسا ، وسادسا**) حيث تم الاتفاق على ضرورة تعديل الدستور بعد فترة انتقالية تطلق فيها الحريات طبقا لما سبق بيانه ، ليصبح دستورا ديمقراطيا يجعل الأمة مصدرا حقيقيا للسلطة ، ويركز السلطة التنفيذية في مجلس وزراء يكون مسئولا أمام مجلس نيابي منتخب انتخابا حرا نزيها ، وفي مقدمة التعديلات المطلوبة في الدستور تعديل نظام انتخاب رئيس الجمهورية ونوابه ليصبح بالاقتراع الحر المباشر من بين أكثر من مرشح ، والغاء المادة ٧٤ من الدستور درءاً لاساءة استخدام السلطة المطلقة الخطيرة الواردة فيها ، وتحديد وتقليص السلطات المطلقة الممنوحة لرئيس الجمهورية ، وتقرير مبدأ المسئولية الوزارية السياسية والتضامنيةأمام المجلس النيابي ، وتعزيز سلطات مجلس الشعب بالنسبة للسلطة التنفيذية ، والغاء نظام المدعي الاشتراكي ،**وانشاء لجنة قضائية مستقلة غير قابلة للعزل لادارة الانتخابات العامة** . وحدد البرنامج الضمانات القانونية المطلوبة لضمان نزاهة الانتخابات ، كما طالب بتحويل الادارة المحلية إلى حكم شعبي حقيقي ، وإصدار قانون جديد يتم على أساسه انتخاب كافة هيئات الحكم المحلي بالانتخاب العام المباشر وإحكام رقابتها على الأجهزة التنفيذية.

وبما تضمنه القسم الخاص بديمقراطية الحكم فان الأحزاب والقوى السياسية الموقعة عليه تكون قد تجاوزت احدى النقاط الخلافية بينها وهي الخاصة بتعديل الدستور حيث كان حزب الوفد يصر على ضرورة البدء بتعديل الدستور تتفق معه في ذلك القوى الليبرالية التي تريد تنقية الدستور من المواد المتعارضة مع النظام الرأسمالي ، بينما كان حزب التجمع وبعض القوى الاشتراكية ترى أن هذا التعديل يتم في ظل موازين قوى مختلة لصالح فئات اجتماعية غير ديمقراطية وبالتالي فان التعديل سيتم نحو الأسوأ . وباتفاق الجميع على ضرورة تعديل الدستور بعد فترة انتقالية تطلق خلالها الحريات

العدالة الاجتماعية.. والتنمية الوطنية المستقلة.. وتوفير الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.. تدخل دائرة الاتفاق بين قوى اليمين واليسار في مصر

والحقوق السياسية يكون قد تم تخطي هذه النقطة الخلافية .

ومن الجدير بالذكر أن الموقف الجديد أكثر عقلانية ويخدم التطور الديمقراطي للمجتمع المصري حيث سيأتي تعديل الدستور بعد فترة من ممارسة الحقوق والحريات الأساسية مما يقوي الحركة الجماهيرية ويصحح موازين القوى السياسية لصالح الأغلبية الشعبية.

ثالثا: الموقف من الارهاب: وقد تبنى البرنامج موقفا متميزا يقوم على المعالجة الشاملة لقضية الارهاب من مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويتعرض أيضا لمسئولية الحكم عن تصاعد هذه الظاهرة فالبرنامج يدعو إلى المواجهة الشاملة للارهاب وحماية الوحدة الوطنية بمعالجة مسببات التوتر والعنف في المجتمع، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو أمنية ، بما في ذلك إجراء تعديلات جذرية في مناهج التعليم لتنمية التربية الديمقراطية في المدرسة والمجتمع ، وتنمية العقلية النقدية والقدرة على المناقشة والاختيار ، وتدريس الدين الاسلامي والدين المسيحي بما يعمق المفاهيم الحقيقية للأديان السماوية ويحفظ الوحدة الوطنية وتنقية أجهزة الاعلام والصحافة من كل مايؤدي إلى تفتيت الوحدة الوطنية.

وفي موقع آخر من البرنامج تطرح حقوق المواطنين في ممارسة حرياتهم كاملة بالاضافة إلى تكثيف الجهود من أجل وقف القتل خارج القانون واحتجاز الرهائن والتعذيب ويقترح البرنامج اجراءات محددة لوقف هذه الظواهر في مقدمتها الغاء تبعية السجون لوزارة الداخلية والسماح لمراكز حقوق الانسان بزيارة السجون وتحقيق شكاوى التعذيب ، ومعالجة القصور التشريعي الفادح في جرائم التعذيب واستخدام القسوة ، واعادة حق المواطن في تحريك الدعوى الجنائية بالطريق المباشر قبل الموظف العام وخاصة في قضايا التعذيب . والغاء احالة المدنيين إلى محاكم عسكرية . والقيام بحملة شعبية سياسية وإعلامية ضد التعذيب .

وفي موقع ثالث من البرنامج تتم معالجة الخلل الاقتصادي والاجتماعي الذي يساعد على تحقيق مزيد من العنف والتوتر في المجتمع.

وبهذه المعالجة الشاملة للارهاب تكون القوى والأحزاب السياسية قد قطعت شوطا كبيرا للأمام نحو مزيد من الاتفاق في معالجة هذه الظاهرة الخطيرة التي تهدد أمن المجتمع واستقراره والتي تتطلب تضافر كل الجهود من أجل مواجهتها بشكل سليم. وهي معالجة مسئولة تتجاوز ماكان يدور من قبل من مناظرة بين هل الارهاب مجرد رد فعل للعنف الحكومي أم أنه عمل مخطط تقوم به جماعات اجرامية تستهدف قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة لفرض آرائها بالقوة على المجتمع.

وفي ظل المعالجة الشاملة يتم تحديد كافة



د. سعيد النجار يعلق على ورقة عبد الغفار شكر .. ومحمود المراغي يدير الحوار

مسببات العنف سواء كان مصدره هذه الجماعات أو مايتعرض له المجتمع من أوضاع اقتصادية واجتماعية مختلة أو حرمان المواطنين من حق المشاركة السياسية الفعالة ومعاناتهم من الاستبداد السياسى.

رابعا: الديمقراطية والعدالة الاجتماعية:

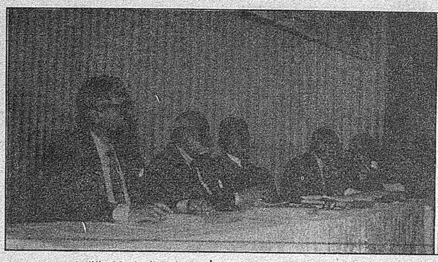
ويعتبر الموقف الذى صاغه البرنامج فيما يتصل بهذه القضية خطوة أخرى نحو تجاوز خلافات كانت قائمة فى الماضى حيث كانت بعض القوى تغفل الأثر السلبى للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المختلة على الممارسة الديمقراطية . **وقد استعرض البيان الصادر عن المؤتمر هذه الأوضاع التى أدت إلى مزيد من الافقار للأقسام الأكثر ضعفا حيث بلغت نسبة الفقراء ٤٨٪ من جملة السكان ووصل معدل البطالة إلى أكثر من ١٧٫٥٪ من حجم القوى العاملة منهم ٦٨٪ من خريجى الجامعات والمدارس الثانوية وأغلبهم من الشباب أقل من ٢٥ سنة.**

كما أفرزت ظاهرة الفقر والبطالة انتشار التسول وعمالة الأطفال والتسرب من المدارس وتزايد أطفال الشوارع والدعارة ، وظهور أكثر من عشرين حياً عشوائياً حول القاهرة وحدها ويبرز التفاوت الجغرافى فى معدلات التنمية حيث تعيش معظم محافظات الصعيد فى ظروف أسوأ بكثير عن باقى محافظات الجمهورية ، وتخلت الدولة عن مسئوليتها فى توفير العمل والعلاج والسكن للمواطنين.

ويستخلص برنامج الاصلاح السياسى من ذلك مسئولية القوى السياسية تجاه توفير العدالة الاجتماعية كشرط أساسى لقيام الديمقراطية واستقرارها وازدهارها (ادراكا منا أن تجاهل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمواطنين ، وحرمانهم من اشباع حاجاتهم الأساسية ، يؤثر سلبا على الممارسة الديمقراطية ويحول دون التطور الديمقراطى السلمى للمجتمع ، ودون التداول السلمى للسلطة.

وانطلاقا من شرائعنا التى ندين بها ، وانطلاقا من الاعلان العالمى لحقوق الانسان التى أكدت على هذه الحقوق ، خاصة حق العمل، والحق فى مستوى يكفى لضمان الصحة للفرد وأسرته ، وخاصة على صعيد المأكل والملبس والمسكن والعناية الطبية وصعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية ، وله الحق فيما يأمن به الغوائل فى حالة البطالة أو المرض أو العجز أو الترمل أو الشيخوخة أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته ..

نطالب بسياسات اقتصادية واجتماعية تحرر المواطن المصرى من الفاقة والعوز والخوف ، وتضمن توزيعا عادلا للدخل القومى ، فى ظل سياسة للتنمية الوطنية المستقلة والنمو الاقتصادى ، يكون الانسان محورها وتخرجنا من دائرة الركود والتخلف ، معتمدة على



خالد محى الدين .. ورؤساء الأحزاب والقوى السياسية فى الافتتاح

زيادة مطردة فى الانتاجية بالارتفاع بمعدل الادخار والاستثمار وتحسين مستويات الصحة والتعليم والاسكان والثقافة)

هكذا تدخل دائرة الاتفاق بين قوى اليمين واليسار فى مصر قضايا العدالة الاجتماعية والتنمية الوطنية المستقلة وتوفير الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، وهو تطور ايجابى هام سوف يكون له أثره إذا تم الالتزام به فى توفير الاستقرار للمجتمع والتمكين للممارسة الديمقراطية الحقيقية فلا حريات سياسية بدون حقوق اقتصادية واجتماعية . ولم يعد هناك مجال للمناظرة بين الحريات السياسية أو الحقوق الاقتصادية والاجتماعية لأنهما معا شرط ضرورى لقيام حياة ديمقراطية حقيقية.

اختراق الحصار

أن ماحققه **مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية والحريات وحقوق الانسان** من نجاح ومابلوره من اتفاق حول برنامج الاصلاح السياسى لايكفى وحده لانهاء الركود والجمود الحالى فى الحياة السياسية المصرية ، بل لابد من خطوات عملية تجسد الإرادة السياسية للقوى الديمقراطية فى مصر لاختراق الحصار المحكم المضروب حولها والذى يمنعها من الالتقاء بجماهيرها ومن العمل السياسى الجماهيرى الفعال ، مطلوب خطوات عملية تترجم فى أرض الواقع ماانتهى إليه برنامج الاصلاح السياسى فى فقرته الأخيرة من تعهد بالبدء باصلاح الأوضاع الداخلية للأحزاب نفسها لتكون أقدر على الفعل والتأثير وتطوير عملها المشترك بهدف كسر الحصار المفروض عليها.

" اننا إذ نطرح هذا البرنامج الطموح للاصلاح السياسى والدستورى والديمقراطى ، ندرك أن تحقيقه لن يتم مرة واحدة أو بضربه حظ ، وإنما يحتاج إلى عمل دؤوب متواصل من كافة القوى الديمقراطية فى المجتمع ، وفى القلب منها الأحزاب والقوى السياسية الديمقراطية.

وندرك أن قيامنا بالتصدى لاقامة مجتمع ديمقراطى عصرى حقيقى فى مصر ، يفرض علينا مراجعة أوضاعنا الداخلية وعلاقاتنا مع بعضنا البعض ، وعلاقتنا بالمجتمع .. وهى مراجعة تستهدف تعميق الديمقراطية داخل أحزابنا ، واعادة النظر فى ممارساتنا على المستوى الفكرى والعملى بمنهج نقدى صارم ، يستهدف التخلى عن أى بقايا للجمود الفكرى وثقافة المطلق وأفكار الآخر لننطلق معا - كل القوى الديمقراطية أيا كانت مرجعيتها العقائدية والفكرية - فى عمل متناسق متناغم لاينفى الاختلاف ولكنه يركز على العمل المشترك من أجل مجتمع ديمقراطى متحرر من الخوف والارهاب فى مصر. مؤكدين إصرارنا على كسر الحصار المفروض على الأحزاب والقوى السياسية لمنع اتصالنا وتفاعلنا مع الجماهير المصرية الصابرة والصامدة" .

هذا هو التحدى الذى يواجه الأحزاب والقوى السياسية فى مصر فى السنوات القليلة القادمة والذى يتوقف على نجاحها فى تحقيقه إمكانية استمرارها ، وانتقالها إلى مرحلة أرقى وأكثر فاعلية يكون مؤتمر الديمقراطية نقطة البداية فيها وتأسيس جبهة الانقاذ الوطنى تتويجها الحقيقى . أما إذا فشلت فى ذلك فاننا لانبالغ إذا قلنا أنها ستفقد بذلك مبرر وجودها.



تهدد زراعة القطن وتدمر صناعة النسيج

الحكومة المصرية- والحق يقال- شديدة الكرم والسماحة وبهذه الصفات الحميدة ، تنازلت عن ست سنوات كان من حقها فيها- وفق اتفاق جولة أورجواى المعروف باسم اتفاقيات الجات- أن تستمر فيها فى دعم الصناعة الوطنية فى مجال الغزل النسيج وأن تحميها من مخاطر التوسع فى الاستيراد ، ولكن روح السماحة الجميلة- وخاصة تجاه المصدرين الأجانب ووكلائهم المصريين -كانت وراء تنازلها عن هذه المدة **وفتح باب استيراد السلع النسيجية على مصراعيه بدءا من عام ١٩٩٨ بدلا من ٢٠٠٤** ، المقرر -وفق الاتفاقية -لصدور مثل هذا القرار.

وحتى لا نتهم بأننا لا نتمتع -كالحكومة بهذه الأخلاق الطيبة وعدم النظر الا من خلال نظارة سوداء، وأن ما وراء القرار- الذى لا ندركه أو ندركه ونتجاهله فى سبيل المعارضة- هو التقدم الكبير فى هذه الصناعة التاريخية الهامة فى مصر الذى حدث لها فى السنوات الأخيرة بما يجعل الحكومة مطمئنة تماما- رغم قرارها بفتح باب الاستيراد -على قدرتها على المنافسة وصمودها وانتصارها على مثيلاتها من السلع المستوردة ، فإننا سنتعرض لواقع هذه الصناعة المصرية الاستراتيجية -فى الأعوام الأخيرة- بدءا من تدهور زراعة القطن حتى تردى عمليات الصناعة والتصدير ، نتيجة لما يسمى «سياسات الخصخصة» .. والتى نضيف إليها تعبير«.. على الطريقة المصرية».

ولن نلجأ فى عرضنا هذا إلى مجرد معلوماتنا الحزبية والشخصية ، ولا حتى سنكتفى بما كتب في هذا الشأن مؤخرا فى كافة الصحف المصرية القومية منها مثل **الاهرام وروزاليوسف** والتعاون ،والحزبية مثل **الأهالي والعربى واليسار والشعب والوفد والحقيقة** ، ولكننا سنستند -فى الأساس- إلى تقارير صادرة من هيئات ومؤسسات لا يمكن أن تتهم- اذا كان فى ذلك اتهام -بأنها يسارية أو حتى معارضة، مثل التقارير والنشرات والبيانات الصادرة من: **اتحاد الغرف التجارية ، اتحاد المصدرين، مجلس الشورى، اتحاد نقابات عمال مصر، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، غرفة الصناعات النسيجية.. الخ.**

أولا:- تدهور زراعة القطن فى مصر

زراعة القطن فى مصر، كانت قبل ربع القرن الاخير، إحدى الدعامات الرئيسية للانتاج المصرى بل لمجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ولكنها- وفق الأرقام الرسمية من الهيئات السابق التنويه عنها- تدهورت فى السنوات الأخيرة، بما يتضح من البيانات والأرقام التالية:

* **المساحة المنزرعة قطنا:**

عام ٧٠ / ١٩٧١ **مليون ، ٦٢٧ ألف فدان.**

عام ٨٢/ ١٩٨٣ **مليون ، ٦٥ ألف فدان.**

عام ١٩٩٥/٩٤ **٧١٩ ألف فدان.**

* **حجم التصدير:**

عام ٦٩/ ١٩٧٠ **٥ مليون ، ٨٦ ألف قنطار.**

عام ٨٠/ ١٩٨١ **٤ مليون ، ٥٠٠ ألف قنطار.**

عام ١٩٩٤ **٢٨٠ ألف قنطار.**

* **قيمة تصدير القطن الخام:**

عام ١٩٨٩ **٥٩٤ مليون، ٢٠٠ ألف جنيه.**

عام ١٩٩٤ **١٤٦ مليون ،٧٠٠ ألف جنيه.**

.. وهذا التدهور العام الذى أصاب محصول القطن- رغم أنه محصلة عدة أسباب واعتبارات -يرجع في الأساس إلى«الخصخصة على الطريقة المصرية فى الزراعة:

١- **رفع الدعم عن مستلزمات الانتاج** وترك المزراعين لاستغلال السوق السوداء.

٢-**تهميش دور الحركة التعاونية الزراعية.**

٣- **الارتفاع الكبير فى سعر الفائدة لبنوك القرى.**

٤- **الغاء التسويق التعاونى بدلا من تطويره لصالح المزارعين والانتاج.**

٥- **تأخير صرف مقدمات سعر القطن -المورد للدولة- بما يرهق الفلاح.**

٦- **وأخيرا -وليس آخرا- رفع القيمة الايجارية بمعدل كبير أعلى من طاقة المستأجرين.**

ثانيا: انهيار صناعة الغزل والنسيج.

هذه الصناعة المصرية الهامة ، التى تمثل محورا اقتصاديا مصريا رئيسيا والتى تزيد استثماراتها عن **٢٥ مليار جنيه** ، وتقترب صادراتها من **٣٠ ٪ من جملة صادرات مصر غير البترولية** ، والتى يقوم عليها **٣١ شركة غزل ونسيج كبرى قطاع عام وحوالى ١٦٠٠ مصنع متوسط** ، وما يقرب من ١٠,٠٠٠ مصنع خاص صغير ويعيش على العمل بها أكثر من **٥ مليون مواطن(من العمال والمنتجين وأسرهم)** تداعت هذه الصناعة فى الأعوام الأخيرة ، بما أوصل الوضع بها إلى ما يلى:

* **قيمة صادرات الغزول المصرية:**

١٩٩٠ **مليار،٤٥ مليون ، ٨٠٠ الف جنيه.**

١٩٩٣ **٧٢٠ مليون، ٥٠٠ الف جنيه.**

عريان نصيف

الحكومة تتنازل عن ٦ سنوات قررتها «الجات» لدعم الصناعة!

تقلصت مساحة القطن من مليون و٢٦٧ الف فدان إلى ٧١٩ الف

انخفاض التصدير من ٥ مليون قنطار إلى ٢٨٠ ألف قنطار

الاختراق الإسرائيلى لصناعة الغزل والنسيج المصرية

حملة أمريكية على القطن المصرى ...

* نسبة الصادرات القطنية إلى جملة الصادرات المصرية:
١٩٨٧ ٣٤٫٩٪.
١٩٩٣ ١٧٫٩٪
* عدد المصانع
١٩٨٨ ١٥٧٥ مصنعاً كبيراً ومتوسطاً.
١٩٩٥ ٢٠٠ مصنع فقط.

بالاضافة إلى ما يلى:
- الشركات الكبرى لم تعد تعمل بأكثر من ٥٠٪ من طاقاتها الانتاجية.
- تم افلاس عدد كبير من المصانع الصغيرة (حوالى ١٠٠ مصنع فى المحلة الكبرى وحدها).

.. والأسباب أيضا ليست ناتج الصدفة أو بفعل الشيطان ولكنها ترجع فى الأساس إلى« الخصخصة على الطريقة المصرية» ،المتمثلة فيما يلى:

١- هيمنة «الحالة الاحتكارية» على سوق القطن.

ولقد أدى هذا الاحتكار إلى خسارة الاقتصاد المصرى لأكثر من ٣٫٥ مليار جنيه فى موسمين فقط، على الوجه التالى:

*** احتكار شركة واحدة -قطاع خاص طبعا- لسوق القطن فى موسم ٩٥/٩٤** مما مكنها من أن تشترى من الزراع أكثر من مليون قنطار (٢٠٪ من جملة المحصول) وبأسعار زهيدة ، ثم تحكمت بهذه الكمية الكبيرة فى شركات الغزل والنسيج، إما أن تبيع لها بسعر مضاعف بالنسبة لقيمة الشراء، أو تبيع لها بسعر معقول ، ولكن بشرط أن تسلمها هذه الشركات الغزول المنتجة لتبيعها هى بمعرفتها ولحسابها، أو بحرمانها من احتياجاتها من الأقطان وكانت النتيجة توقف حوالى ٥٠٪ من مغازل هذه الشركات الكبيرة وخسارة الاقتصاد المصرى أكثر من مليار ونصف جنيه.

*** احتكار رأسمالى مصرى / أمريكى هو وزوجته المقيمين بولاية كاليفورنيا ، للنسبة الغالبة من القطن الأمريكى المصدر إلى مصر فى موسم ٩٣/ ١٩٩٤**،وكانت النتيجة خسارة مصر لحوالى ٢ مليار جنيه، حيث صدر القطن المصرى -الجيد- بسعر ٩٠ سنتا للرطل، ثم اشترت-من هذا المحتكر- القطن الأمريكى الأقل جودة بسعر ١٠٥ سنت للرطل.

٢- التستر على فساد الادارة فى بعض شركات القطاع العام، فقد بلغت خسائر قطاع الصناعات النسيجية فى عام واحد هو ١٩٩٤-وفقا لتقرير لجنة الصناعة والطاقة بمجلس الشعب-**مليار و٨٣٩ مليون جنيه** ، ثم تزايدت لتصل عام ١٩٩٥ إلى **٢ مليار ، ٧٤٦ مليون جنيه.**

وقد أرجع تقرير اللجنة هذه الخسارة الكبيرة- فى الأساس- إلى سوء الادارة والفساد واساءة اختيار رؤساء مجالس الادارات فى بعض الشركات .

٣- الاصرار على خصخصة شركات الغزل والنسيج الكبرى رغم التأكيدات السابقة عن عدم المساس بشركات القطاع العام الكبرى فى مجال الغزل والنسيج لأهميتها الانتاجية من ناحية والعمالية من ناحية أخرى، إلا أن الواقع يؤكد العكس من ذلك..

وآخر ما تم فى هذا الشأن -كتمهيد لخصخصة شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى(٣٥ ألف عامل) -قيام ادارة الشركة ووزارة قطاع الاعمال بتأجير جزء كبير منها (عنابر نسيج ١، ٢، ٣) إلى مستثمرين أجانب. ولعل هذا الوضع ليس منعدم الصلة بما تم اتخاذه مؤخرا تجاه عمال الشركة.

***تقديرات «ضعيف» لمئات العمال تمهيدا لفصلهم.**

*** الطرد -لأول مرة- للمئات من العمال القدامى أصحاب المعاشات- الذين قضى بعضهم ما يقرب من نصف قرن فى العمل بالشركة-من مساكنهم وتشريدهم هم وأسرهم.**

٤- صمت الجهات المسئولة على الحملة المحمومة فى الصحف الأمريكية ضد القطن المصرى:

فمنذ عدة شهور والصحف



الرئيس حسنى مبارك

الأمريكية- القريبة الصلة من الادارة الأمريكية والممولة من جانب الشركات الكبرى متعدية الجنسية-تشن حملة شعواء على القطن المصرى (زراعة بدائية- جنى يدوى، مغازل متهالكة.. الخ) ولم يفت صحيفة **«نيويورك تايمز»** أن تستثمر الحادث الذى وقع فى بعض قرى صالحجر وراح ضحيته حوالى ٣٠ من عمال التراحيل، لكى تحاول أن تدلل به على تخلف العملية الانتاجية الزراعية فى مصر وبشكل خاص بالنسبة للقطن.

وحرصا- كما أسلفنا- من حكومتنا على الالتزام بالتسامح والطيبة والاكتفاء بالدعاء لمن يسيئ الينا بالهداية، لم تقم بأى اجراء سياسى أو دبلوماسى أو حتى اعلامى للرد على هذه الحملة الأمريكية بنفس النهج الذى سارت عليه عند الهجوم الأمريكى العنيف على مصر لمجرد رفع شعار «تنمية الانتاج القمحى»..

٥- التسلل الصهيونى لصناعة الغزل والنسيج فى مصر. سواء بانشاء مصانع وشركات اسرائيلية فى مصر أو بشراء مؤسسات مصرية تعمل فى هذا المجال أو بنقل مؤسسات اسرائيلية لصناعة النسيج إلى مصر أو بمشاركة بعض المستثمرين المصريين فى هذه الصناعة أو بفتح العديد من منافذ التوزيع والتوكيلات للمنتجات النسيجية الاسرائيلية.

بالتفصيل الذى أوردناه فى العدد السابق من «اليسار» (يناير ١٩٩٨).

.. هذا هو الواقع المؤسف لما آلت إليه صناعة النسيج المصرية.. تقلص محصول القطن.. إغلاق أو العمل بنصف طاقة المصانع.. خسائر بالمليارات سنويا.. اختراق صهيونى وتآمر أمريكى.

وهو واقع -بالتأكيد -لا يمكن أن يكون دافعا -أو مواتيا-حتى تقوم الحكومة المصرية -على الرغم منه- باغراق السوق بالسلع النسيجية المستوردة، مما دفع الشركات والمنتجين واتحاد العمال إلى رفض هذه القرارات والتحذير من مخاطرها الاقتصادية (على الصناعة) والاجتماعية (على العمال).

... وهذا الواقع -بالتأكيد أيضا- لا يدل إلا على رغبة الحكومة فى الاجهاز نهائيا على صناعة الغزل والنسيج فى مصر، وهذا ما نربأ بها عنه ولذلك نرى أن ذلك التصرف إنما هو نابع- كما قلنا فى صدر المقال -من


د. أحمد جويلى

الأريحية -وروح السماحة التى تتحلى بها حكومتنا تجاه الشركات الأجنبية التى ستصدر إلينا السلع النسيجية -حتى «تأخذ حسنتها ولقمة عيشها» من شعبنا الشهم، ولو على حساب صناعتنا وعمالنا واقتصادنا، فالمهم هو أن تكون أخلاقنا راقية، وصورتنا حضارية أمام الاجانب.

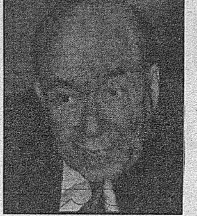
.. ولأننا-بطبيعة الحال- لسنا على هذا المستوى العالى من التجرد والأثرة وشفافية الملائكة كحكومتنا، فاننا نصر -رغم أنف الشركات المصدرة وعملائها ووكلائها بمصر- على حماية صناعة الغزل والنسيج المصرية، ونأمل أن يقف معنا -فى هذا السبيل- كل القوى الوطنية الحريصة على صناعاتها واقتصادها ومستقبل أبنائها -من منتجين (قطاع عام أو خاص) ومن عمال ومن سياسيين واقتصاديين ومفكرين، للتحرك الديمقراطى الجاد من أجل هذا الهدف، من خلال:

(١) مطالبة الحكومة بالغاء قرارها المدمر هذا، وتأجيله حتى عام ٢٠٠٤ وفقا لاتفاقيات الجات.

(٢) تبنى البرنامج التالى الكفيل بانقاذ هذه الصناعة الهامة ودعمها وتطويرها:

* تيسير عملية زراعة القطن على الفلاحين من خلال تمكين الحركة التعاونية الزراعية من القيام بدورها- العملى والدستورى- فى العملية الانتاجية بدءا من توفير مستلزمات الانتاج بالأسعار المعقولة والائتمان بالفوائد البسيطة، حتى انجاز عملية التسويق وحماية الفلاحين من مافيا الاحتكار واستغلال التجار.

* صدور قانون منع الاحتكار الذى أعده


د. يوسف والى

د. أحمد جويلى منذ توليه مسئولية الوزارة، وما زال حبيس«الادراج» حتى اليوم.

* دعم حركة البحث العلمى فى المجال القطنى- والخبراء المصريون فى هذا الشأن لهم مرجعية واحترام دولى -بما يمكنهم من استنباط سلالات جديدة من البذرة تغنينا عن الاستيراد من ناحية وتكون كفيلة بتجديد المناعة ضد الآفات من ناحية أخرى.

بالاضافة إلى الحركة البحثية الجادة فى مجال الغزل والنسيج وتطوير الآلات وآليات العمل.

* التمسك بما أعلنه الرئيس **حسنى مبارك** كثيرا من عدم خصخصة شركات الغزل والنسيج الكبرى بصفتها معاقل أساسية للانتاج والعمالة.

* تحسين ظروف العمل -اقتصاديا واجتماعيا ونقابيا- للعاملين.

(٩٣ التصدى -بحزم -للحملات الأمريكية- الاعلامية والحركية- المعادية لتطور -وحتى لاستمرار -صناعة الغزل والنسيج فى مصر.

والمنع -الكامل- للاختراق الاسرائيلى ورأس المال الصهيونى -لهذه الصناعة الأساسية فى مصر.

قد يكون فى هذه الدعوة خروج على مقتضيات «الطيبة والتسامح والتحضر» تجاه اخوتنا فى الانسانية من أصحاب الشركات الأمريكية والعالمية.. ولكن.. ألم نقل -قبل ذلك- أننا لسنا فى مستوى الرقى الخلقى والحضارى لحكومتنا العزيزة؟!.



الأقباط والأسد الأمريكى الأصولى


البابا شنوده

احتلت قضية الدفاع عن حقوق المسيحيين فى الشرق الأوسط ، وعلى وجه الخصوص الأقباط، اهتماما كبيرا فى الولايات المتحدة الأمريكية على مدى العامين السابقين ، بحيث أخذ الأمر يقترب من الحملة المنظمة المتصاعدة التى أخذت أشكالا عدة من كتابة المقالات، وتنظيم اللقاءات الدينية والسياسية ، وتشكيل اللجان ، وإصدار الكتب التى تتناول قضية اضطهاد المسيحيين فى العالمين الاسلامى والعربى ،وعقد جلسات استماع فى مجلسى التشريع الأمريكيين : الشيوخ والكونجرس ، وأخيرا **اقتراح قانون باسم: التحرر من الاضطهاد الدينى Freedom From Religious Pereseecution » ، يتضمن فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على الحكومات ورقابتها اذا لم تجر اصلاحات من شأنها تحسين أوضاع المسيحيين.**

ولا شك أن العديد من التساؤلات تثور حول هذا الاهتمام المفاجئ والمتصاعد من قبل الولايات المتحدة حول هذا الموضوع ، من حيث الدافع لاطلاق هذه الحملة ومدى مصداقيتها وهو ومن يحركها ، وتوقيتها .. وسوف نحاول فى مقالنا هذا أن نلقى الضوء على أبعاد هذه الحملة : بداياتها ، ومسارها ، وأهدافها.

الحملة الأمريكية .. البحث عن اليهود

بدأت الحملة بمقال كتبه محام يهودى أسمه **مايكل هورفيتز** (وهو أحد الذين كانوا يعملون فى ادارة الرئيس الأمريكى الأسبق **رونالد ريجان**) فى جريدة « **وول ستريت** » عام ١٩٩٥ حيث وجه النظر فى هذا المقال إلى أن« الاضطهاد المتنامى والمتزايد للمبشرين المسيحيين(فى بعض البلاد) قد صار مخيفا . وحث «اليهود الأمريكان بألا يصمتوا على ما يحدث لهؤلاء المبشرين» وأنه لابد من مواجهة ما وصفه «بالاضطهاد المماثل الذى جرى لليهود على يد **أدولف هتلر**» . ثم أضاف أن «المجتمع المسيحى الأمريكى مطالب بأن يواجه هذا التحدى ، وأن عليه مسئولية أخلاقية ، لممارسة تأثيرهم السياسى للوقوف إلى جانب أناس يضحون بكل شئ من أجل الشهادة للرب» وأخذ **هوروفيتز** يردد« ان المسيحيين فى الدول الاسلامية ممنوعون من اداء ممارساتهم الدينية ، وأنه بمجرد اكتشاف مسيحى فى أى دولة اسلامية يحمل انجيلاً يتعرض للتنكيل والسجن والتعذيب» . ثم بدأ يثير جهات عديدة خاصة المؤسسات والكنائس الانجيلية (البروتستانتينية) الأصولية اليمينية والمخترقة صهيونيا ،حيث أرسل ١٥٠ رسالة إلى قيادات ومجالس ادارات هذه المؤسسات والكنائس ، وقد بدأ رسالته بقوله:« كأمريكى يهودى ، فاننى سعيد جدا للأخوة التى أبداها المجتمع المسيحى فى مواجهة الحركات المناوئة للسامية .«كما يذكر بالدور المسيحى الأمريكى فى تحرير اليهود فى الاتحاد السوفيتى». وأخيرا ينهى رسالته بانه «متألم ومتحير لضعف الاهتمام النسبى الذى يبديه المجتمع المسيحى لاخوة مسيحيين يضطهدون كونهم مسيحيين فى أماكن متنوعة من العالم».

وبدأت ردود الأفعال تتوالى من المؤسسات الأصولية والتى تشترك مع اليهود فى رؤيتها وتفسيرها للعهد القديم ، حيث نظمت حملة اعلامية من أجل أمرين:

(١) الدفاع عن المسيحيين فى كل مكان فى العالم وعلى الأخص العالم الإسلامى .

(٢) الضغط على الادارة الأمريكية بهدف اصدار قوانين تنص على فرض عقوبات صارمة على أنظمة الدول التى يضطهد فيها المسيحيون.

وفى سبيل تحقيق ما سبق بدأ الخطاب الفكرى المسيحى الأصولى يركز على أمرين:

أولا: اعلاء الدين فوق الوطن ، وأخذت الاجتهادات اللاهوتية البروتستانتية الأصولية تسير فى اتجاه اثارة النزعة الدينية فى الذهن الجمعى للأمريكيين ،وانتاج ترسانة من التفسيرات اللاهوتية التى تعلى من قيمة الانتماء الدينى ودعوة الانجليين الأمريكيين أن يكونوا مسيحيين. وأن يقدموا خضوعا للصليب قبل العلم الوطنى للبلاد.

ثانيا: الحديث عن ما يمكن تسميته «**بالأممية المسيحية**» وذلك من خلال الاهتمام بالمسيحيين المضطهدين فى العالم والذين بدأ وصفهم «بأخوة الايمان» .

ومع بداية عام ١٩٩٦ وتحديدا فى٢٣ يناير ، نشرت الرابطة القومية للانجليين بالولايات المتحدة الأمريكية بيانا حول:« **الاضطهاد الدينى** » الذى يتعرض له المسيحيون فى العالم تحت عنوان« **بيان لاثارة الضمير** » **Statement of Conscience** حيث عكس مدى ما يلاقيه «**أخوة الايمان» فى العالم** ،ثم ذكر البيان بعض الوقائع التى يتعرض لها « المبشرون الانجليون» فى العديد من الدول ، وأخيرا انتهى البيان بنداء إلى الحكومة الأمريكية للتحرك.

ثمار الحملة

وبالفعل أثمرت هذه الحملة فى النهاية على المستوين الكنسى والحكومى ، **كنسيا** من حيث عدد اللقاءات التى نظمتها آلاف الكنائس والعديد من الاصدارات والترتيبات

سمير مرقس

مع رجال السياسة. **وحكوميا** من حيث استجابة ادارة **كلينتون** في وضع قضية اضطهاد المسيحيين على جدول أعمالها. وهنا يمكن رصد بعض الملاحظات بالنسبة للمستويين السابقين كخلفية تاريخية تفيد في إلقاء مزيد من الضوء حول الموضوع.

أولا : بالنسبة للمستوى الكنسى:

يلاحظ أن الكنائس المسيحية التى تحركت وتبنت حملة الدفاع عن مسيحيى الشرق الأوسط وعملت على الضغط على الادارة الأمريكية ، هى الكنائس الأصولية اليمينية ، **وهم فى الاجمال متطرفون فى نظرتهم وتفسيرهم لنصوص الكتاب المقدس وعلى الأخص العهد القديم ويعيدون تفسيره لصالح اليهود واسرائيل الحالية. كذلك ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم: المسيحيون المولودون من جديد :-The Born Again christians** وقد صعدوا صعودهم اللافت أثناء حملة **ريجان** الانتخابية وكان لهم تأثير كبير على الخطاب السياسى الأمريكى بل واتخاذ القرار فيما بعد. وهم يقسمون العالم إلى معسكرين: معسكر «الخير» ومعسكر «الشر».

يضم الأول: المسيحيين المولودين من جديد فقط ..«الأمريكيون بالطبع أو من يتبعهم»).

يضم الثانى : الديانات الأخرى.

وهم يرون أنهم فى حرب دائمة مع أعدائهم وان الانتصار سوف يتحقق لهم فى النهاية«بمعونة الرب».

مثلت هذه الأفكار دعما كبيرا للادارة الأمريكية فى ادارتها للصراع العالمى وخاصة فى ظل الحرب الباردة بين القطبين: الأمريكى والسوفيتى.

وتلقف هذه الافكار مجموعة من الاستراتيجيين السياسيين سموا فيما بعد« بالمحافظين الجدد » ومن الأسماء التى ناصرت هذه الحركة(على سبيل المثال لا الحصر):

* **جين كيركباتريك ، السياسة الأمريكية المعروفة.**

* **روبرت تيكر ، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جونز هوبكنز.**

* **صموئيل هانتيجتون ، المفكر الاستراتيجى المعروف.**

يلاحظ بالطبع ، ان هناك خطا ممتد للأفكار الدينية نادى بها الأصوليون، وما روجه **هانتيجتون** لاحقا بعد سقوط المعسكر الشرقى عن العدو الجديد من خلال أطروحته عن صدام الحضارات / الأديان.

لقد استطاعت الحركة الأصولية أن تكون لها عناصر مؤثرة داخل الادارة الأمريكية حتى مع حكم الديمقراطيين . إذن نحن أمام شبكة ثلاثية الأطراف تتكون من عناصر يهودية ومسيحية أصولية وسياسية حكومية.

ثانيا: بالنسبة للمستوى الحكومى:

تدرج الاهتمام بقضية « **اضطهاد المسيحيين** » من الاهتمام الأدبى إلى التحرك العملى. ففى **نوفمبر من عام ١٩٩٥ ، نجد جون شاتوك** مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الديمقراطية وحقوق الانسان والعمل يقول:

«ان الحرية الدينية واحدة من الموضوعات الرئيسية فى جدول أعمال حقوق الانسان بالنسبة **لكلينتون**».

وأخذت الدوائر السياسية تستمع لبعض الشهادات حول اضطهاد المسيحيين فى الدول الاسلامية وكان معظم هؤلاء الشهود من اليهود من أمثال:

- روزنتال الكاتب الصهيونى نيويورك تايز.

- ستيفن امرسون الكاتب المتصهين وصاحب كتاب : الأسلمة وأثرها على العلاقات الدولية وحقوق الانسان.

- بات يؤول الكاتب الصهيونى وصاحب كتاب : انقراض المسيحيين الشرقيين فى ظل الحكم الاسلامى.

- نينا شيا ، الباحثة اليهودية صاحبة كتاب عرين الأسد (وسوف نلقى الضوء عليه لاحقا).

لقد عرض الرأى العام الأصولى/ الصهيونى على وزارة الخارجية أن تهتم بالموضوع حتى أخذ هذا الموضوع العنوان الآتى:

«قضية اضطهاد المسيحيين فى الدول العربية والاسلامية». وقام الرئيس الأمريكى بتكليف **وارين كريستوفر** بتشكيل لجنة أطلق عليها اسم: «**لجنة الشريط الأزرق**» برئاسة **جون شاتوك** وذلك فى نوفمبر ١٩٩٦ . وتهدف هذه اللجنة إلى بحث موضوع الحريات الدينية واضطهاد المسيحيين فى الشرق الأوسط . وتكونت اللجنة من ٢٠ عضوا منهم ١٢ مسيحيا (ستة منهم من الأصوليين) ويهوديين ومسلمتين (إحداهما مصرية الأصل الدكتور **ليلى الحرياتى**) ، وواحدة بهائية وشخص هندوسى.

والتقت اللجنة للمرة الأولى فى ١٣ فبراير من عام ١٩٩٧ ، بمقر وزارة الخارجية الأمريكية لمناقشة موضوعين:

(١) دراسة وضع الحرية الدينية والاضطهاد الدينى فى العالم ومساندة الأقليات الدينية.

(٢) التعاون بين الاديان لبلوغ الحرية الدينية.

وقسمت اللجنة إلى مجموعتين وبدأت فى إعداد تقارير مفصلة حول هذين الموضوعين ثم التقت فى يوليو ١٩٩٧.

فى هذه الاثناء وفي ضوء ما أعلنه الرئيس كلينتون فى ١٦ يناير من نفس العام فيما سمى «**باليوم الوطنى للحرية الدينية**» ،حيث قال : ان ادارته سوف تضع قضية حق ممارسة الحرية الدينية كأحد المعايير التى تحكم علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالدول الأخرى ». **بدأت وزارة الخارجية الأمريكية تعد تقريرا نصف سنوى حول: الحرية الدينية في عدد من الدول مع«التركيز على وضع المسيحيين» Focus on Christians وبالفعل صدر التقرير الأول فى يناير من عام ١٩٩٧ ثم صدر التقرير الثانى فى ٢٢ يوليو من عام ١٩٩٧ حيث صدرته مادلين أولبرايت بكلمة جاء فيها:**

«.. إن الحكومة الأمريكية تقوم بدعم حرية الدين والضمير والعقيدة باعتبار ذلك حق انسانى أساسى لا يمكن نزعه من الانسان . والاضطهاد الدينى انتهاك لحقوق الانسان الأساسية لا يمكن التسامح بشأنه .كما أن تعزيز الحرية الدينية ومقاومة الاضطهاد الدينى على رأس أولويات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.. ولقد ركزنا على الاضطهاد الدينى وقمنا بإدانته فى سياساتنا الثنائية.. ويتم نشر أهدافنا المتعلقة بحقوق الانسان من خلال برامج المساعدة الأمريكية إلى الجمعيات التى تراقب وتعزز حقوق الانسان ، وتسهل التبادل الثقافى والتعليمى، وتقوى حكم القانون والعدالة والمجتمع المدنى والحكومات الصالحة كما تشجع الولايات المتحدة الأمريكية، قطاعات أخرى فى المجتمع بما فيها رجال الأعمال علي وصف الحالة فى الدولة المعنية ثم الاجراءات التى يتم اتخاذها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية كذلك القاء الضوء على دور السفير الأمريكى فى هذه الدولة حيال موضوع الاضطهاد الدينى.

وفى أثناء كل من التحرك الكنسى والحكومى صدر كتاب : «**عرين الاسد**» **Lions Den** للمؤلفة اليهودية **نيناشيا** وذلك عن مؤسسة باسم: «**دار الحرية**» **Freedom House** بواشنطن تهدف هذه المؤسسة إلى متابعة وضع حقوق الانسان والمضطهدين فى العالم . ويتحدث هذا الكتاب عن الاضطهادات التى يتعرض لها المسيحيون وأهمية التصدى لهذا الاضطهاد . **وقامت برصد أحوال المسيحيين فى عدد من الدول من ضمنها مصر** (ص٤٣) من خلال مجموعة من الشهادات والأحداث والوقائع .

والقارئ للكتاب يجد المؤلفة تعمل بكل جهدها على أن تحفز الكنائس المسيحية فى أمريكا أن تتحرك من أجل إنقاذ الذين يضطهدون من مسيحيى العالم وخاصة فى الدول الاسلامية . كذلك تتحدث عن «**الفشل الغربى**» **Western Failure** المتمثل فى سكوته وصمته حيال ما يحدث . وفى ثنايا الكتاب تستدعى المؤلفة مقولة **هانتيجتون** «**صدام الحضارات**» ، بان ما يحدث الآن هو صدام بين الاديان ، هذا الصدام الذى سوف يكون جوهر الصراع العالمى مستقبلا.

وتعقد المؤلفة مقارنة بين حماس ونشاط الادارة الأمريكية فى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات فى الدفاع عن الكنائس فى المجتمعات الشيوعية . وتتساءل لماذا لا تنتهج الادارة الأمريكية الحالية نفس السياسة فى المجتمعات التى يعانى فيها المسيحيون؟.

مشروع قانون للحماية الدينية

بالطبع كانت المحصلة النهائية لكل ما سبق ذكره ايجابية ، حيث تقدم كل من السيناتور **فرانك وولف** وهو عضو الكونجرس عن ولاية فرجينيا ، والسيناتور **أرلين سبكتر** ، وهو عضو الكونجرس عن ولاية بنسلفانيا ورئيس لجنة الاستخبارات بها ، والعضوان جمهوريان بتشريع مقترح ينص على **فرض عقوبات على عدة دول من ضمنها مصر بحجة انها تمارس التمييز ضد المسيحيين** . وقد دعم هذا التشريع بعض النواب الذين لهم أصول أو ميول يهودية مثل **بنجامين جيلمان** وهو ليكودى الهوى . وتم عقد جلسة استماع بالكونجرس فى «سبتمبر الماضى حيث خطب **جينجريتشى**» (رئيس مجلس النواب الأمريكى وهو جمهورى مدعم من الاتجاه المسيحى اليمينى الأصولى) يقول:

«ان مكافحة التمييز الدينى ستكون من أولويات مهام الكونجرس الأمريكى».

وأيد هذا القانون الكثير من الكتاب والباحثين من ذوى الميول اليهودية مثل: **روزنتال واريل كوهين بالواشنطن تايمز** . كذلك اليمين المسيحى المتمثل فيما يسمى« **بمنظمة الائتلاف المسيحى**» ، والتى تؤمن بالتفسيرات اليهودية للعهد القديم وتؤمن بتجميع اليهود واقامة الوطن اليهودى ،كما تؤمن بان الله يقف إلى جانب اسرائيل . ويذكر بعض المراقبين ان هذه المنظمة رغم انها لا تشكل الا نسبة ١٠٪ من الأمريكيين إلا أنهم يتحكمون فى ٣٠٪ من القاعدة التصويتية الأمريكية ، الأمر الذى يفسر محاولات المرشحين المحتملين للرئاسة والكونجرس وحكام الولايات المتحدة الأمريكية لاسترضاء هذه المنظمة.

أما القانون المقترح فلقد نص على:

انشاء مكتب فى البيت الأبيض لمراقبة الاضطهاد الدينى حول العالم ، واذا ثبت الاضطهاد على دولة ما ، فإن هناك عقوبات يحددها القانون تفرض تلقائيا على هذه الدولة. كما سيكلف المكتب بالتحقيق فى اضطهاد المسيحيين.

ورغم أن الكنيسة القبطية والأقباط قد رفضوا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية فى شئون مصر وان مشاكل الأقباط لا تحل فى أمريكا وانما فى مصر ، فإن جلسات الاستماع استمرت بعد ذلك بدعم من مؤتمر الائتلاف المسيحى.

وبالطبع لم يكن مجلس الشيوخ بعيدا عن كل ذلك ، حيث ناقشت اللجنة الفرعية للشرق الأدنى التابعة للجنة العلاقات الخارجية موضوع «الاضطهاد الدينى فى الشرق الأوسط» واستمعت إلى شهادات العديد من الشخصيات حول وضع المسيحيين فى العديد من الدول من ضمنها مصر . ومن الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم:

*****بات يبعور** وهى يهودية من أصل مصرى ، تقيم فى سويسرا ولها دراسات عن نظام الذمة .

* **نيناشيا مؤلفة كتاب عرين الأسد.**

* **ستيفن كوفى وكيل مساعد وزير الخارجية.**

وبعد لم يزل الملف مفتوحاً ولم يزل القانون المقترح محل نقاش . وربما تعاد مناقشته مرة أخرى فى لحظة ما. وها هو السيناتور **أرلين سبكتر** رئيس لجنة الاستخبارات بالكونجرس يزور مصر فى الشهر الماضى.

أتصور أن ماحذرنا منه على صفحات هذه المجلة على مدى مقالات لم يلق الاهتمام الكافى. **وها هى الولايات المتحدة الأمريكية تنصب نفسها حامية للحرية الدينية قسرا** ، وهنا المفارقة فهى تسعى لتأكيد الحرية الدينية بالتهديد باستخدام القوة والعقوبات. وتثور هذه الحملة فى لحظة تاريخية دقيقة تمر بها المنطقة حيث تتشابك المصالح والمواقف والأحداث بشكل معقد.

ان هذه الحملة ما هى إلا حلقة من حلقات تعامل الغرب مع المسألة الطائفية فى مصر وفى المنطقة ، فهناك دائما مصالح عليا وأساسية لابد لها من وسائل وأساليب تحققها . لهذا فليس غريبا أن يحدث هذا الأمر وتتصاعد الحملة ضد مصر وروسيا فى نفس التوقيت وان يكون المدخل الأساسى للحملة هو المبشرين الإنجليين «فى الدول التى يذهبون اليها وهى نقطة البدء فى الحملة ، فهناك صعوبة فى أن يتحرك المبشرون وينشرون أفكارهم كذلك هناك أيضا اضطهاد للمسيحيين فى هذه الدول.

وفى المحصلة **اضعاف الانظمة القائمة والكنائس الوطنية واخضاع الدولة فى النهاية للسياسة الأمريكية** . والثابت أن المجتمعات الاسلامية والعربية والتى توجد بها كنائس وطنية سوف تتعرض لضغوط للسماح للمبشرين فى ممارسة عملهم لصالح غرب يؤمن بالمبادرات الفردية ، وتتجدد العلاقة القديمة الاقتصاد والثقافة / الدين.

نحو مبادرة وطنية

وأخيرا .. لقد بدأت الكنيسة القبطية الوطنية كذلك أكد أقباط مصر رفضهم للتدخل الخارجى ، وان هموم ومشاكل الأقباط لا تحل فى أمريكا ولا تحت الوصاية الأمريكية ، وانما تحل فى مصر وفى إطار الجماعة الوطنية.

ويبقى أن يستكمل هذا الموقف باعلان مبادرة وطنية من كل الاتجاهات السياسية والتيارات الفكرية بما فيها الاسلامية والحكومية تؤكد على:

*****التنديد الواضح والحاسم بالأعمال العنف الطائفى.**

* **حل الهموم الحياتية للأقباط من خلال اعلاء قيم المواطنة والمساواة نظريا على مستوى الفقه والفكر وعمليا على أرض الواقع من خلال اجراءات محددة فى مجالات بعينها مثل الاعلام والتعليم.**

* **الاصرار على وجود الأقباط فى كل الكيانات والقنوات المشروعة .**

* **العمل المشترك من أجل القضايا الوطنية العليا.**

* **الادراك بان الاقباط هم مكون رئيسى من مكونى الجماعة الوطنية فهم ليسوا وافدين على مصر وانما هم مصريون ،وهم ليسوا أقلية أو أهل ذمة.**

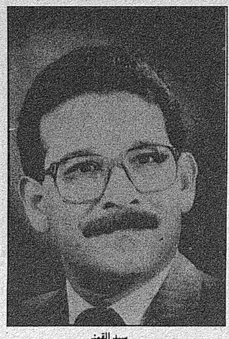
* **كشف الأبعاد السياسية وراء هذه الحملة والبحث عن أيدى اليهود.**

انها مهمة مقدسة يجب العمل من أجلها والتحرك السريع لمواجهتها ، فالتراخى عن المواجهة يعنى استمرار الحملة وحصار شعوبنا دون تفرقة مع شراسة الواقع العالمى الحالى.

ان هذا السعى المستميت لاسكات «خطاب التنوير» بأي شكل وبأية صورة يبرز مدى الخطر الذي يمثله هذا الخطاب على نقيضه «الخطاب الديني» لاعلى مستوى كشف ايديولوجيا المصالح التى يحاول جهده أن يخفيها تحت قناع الدين فحسب ، بل على مستوى أعمق بكثير من مجرد الفضح الايديولوجي.

إنه الخطاب النقيض الذي يحاول أن يطرح وعياً بالدين ، ليس مغايرا فحسب، بل وعلميا . وهذا يمثل خطرا على الوجود السياسي ، بل والاجتماعي للخطاب الديني السائد والمسيطر وذلك بشرط أن يتاح له الذيوع والانتشار . ومن هنا خاض ممثلو الخطاب الديني واشياعهم المعركة على أرض «الوعى الزائف» لدى الجماهير.

د. نصر أبو زيد
التفكير فى زمن التكفير
ضد الجهل والزيف والخرافة



سيد القمنى

وقائع تكفير واغتيال المفكرين



عبثا نحاول الخروج من دائرتهم ، فيجبرنا **شيوخ التكفير** إلى معاودة الحديث فى نفس الموضوع- التكفير -مرة أخرى . فيبدو أنه قد كتب علينا أن ننسى مشاكلنا ومستقبلنا وان نخوض نفس المعارك صباح مساء.

فقبل نهاية العام الماضي طالعتنا انباء «تؤكد أن الفكرالديني المتطرف بقيادة قائده الجديد الشيخ« **يحيى حيلوش**» أمين جبهة علماء الازهر ما زال مصراً على اغتيال كل محاولة مخالفة للتفكير . يساعده في ذلك مجموعة من الشيوخ يتسم خطابهم بالجمود الفقهي الشديد وذلك في محاولة لاخلاء الساحة لفكرهم المتعصب الجامد وتحقيقا لمصالحهم ومصالح من يعملون فى خدمتهم تمهيداً لاقامة سلطتهم السياسية فى المجتمع .

ففى الوقت الذى كان الرصاص يحصد أرواح السائحين الاجانب فى الاقصر نزل إلى الاسواق كتاب جديد بعنوان« **الايات البينات لما فى اساطير القمنى من الضلال والخرافات**» . والكتاب هو فتوى تكفيرية واضحة وحكم بإباحة دم **د. سيد القمنى** وعدداً آخر من مفكرينا المستنيرين.

مؤلف الكتاب شخص غير مصرى- قيل أنه سعودى -واسمه **د. عمر عبد الله كامل** وقدم له أمير التكفير الجديد الشيخ **يحيى حبلوش** . والكتاب يقع فى ٣٩٢ صفحة وثمنه عشرة جنيهات فى حين أن تكلفته لا تقل عن عشرين جنيها وهو مليئ بالاغلاط والاتهامات ومبنى علي قراءة مجتزئة ومحرفة ومشوهة لكتابات **د. سيد القمنى** وبعض اقوال **د. حسن حنفى ونصر أبو زيد.** فالكاتب ينسب ل. د. سيد القمنى أقوال ليست له . ويقتطع من كلامه أقوالاً ويخرجها عن سياقها ليبنى عليها اتهامه له بالكفر والالحاد .

ولا يكتفى **عمر عبد الله كامل**-مؤلف الكتاب-بتكفير د. **سيد القمنى** ولكنه يقوم بعملية تكفير جماعية حين يربط بين تحليلات **د. حسن حنفى ونصر أبو زيد** باعتبارها مفاتيح لقراءة فكرد. **سيد القمنى** . ثم لا يلبث المؤلف أن يضيف إلى قائمة التكفير **محمد سعيد العشماوى وخليل عبد الكريم** متسائلا «هل هى حملة علمانية منظمة على الشريعة» ويعقب: «اترك للقارئ أن يستنتج مغزى كلامى».

وللتسهيل علي الشخص الذى لا يريد القراءة، أو الذى لا يستطيع قراءة كتاب بهذا الحجم واحد اهم المستهدفين من هذا الكتاب، يقدم المؤلف ملخصا للكتاب فى تسع صفحات على شكل فهرس تحوى **حيثيات اغتيال د. سيد القمنى** وفيها يتهم المؤلف **د. سيد القمنى** بانه «**منكر للدين، ناقم على الاسلام ، نافيا للنبوه والانبياء ، مكذب للقرآن ولرسول الله ، وان كتابته تتضمن التهكم والسخرية والاستهانة بالعلماء و التراث الاسلامى والأمة الاسلامية**» وهي اتهامات سبق وان برأته المحكمة منها فى ١٥ سبتمبر الماضى حين حققت المحكمة هذه الاتهامات وأثبتت كذبها.

والكتاب بشكله هذا هو **فتوى للقتل واضحة** ولكن القائمين عليه لم يكتفوا بذلك فحرصوا على إعلان الهدف منه مرات عديدة مرة بالتلميح ومرة أخرى بالتصريح- سواء فى مقدمة الكتاب أو على غلافه الخلفى.

ففي مقدمة الكتاب والتى كتبها الشيخ **يحيى اسماعيل حبلوش** شيخ التكفير لهذا العام وأمين جبهة علماء الازهر ، والذى خاض هو وجبهته حملة التكفير الشهيرة ضد**د. حسن حنفى** في منتصف العام الماضى ، نجد اشارات كثيرة للهدف من الكتاب يقول **يحيى حبلوش** فى المقدمة: «كنت احب للمؤلف وقد سارع لمنازلة الناكثين الماكرين ان ينازلهم.

قبائلنا تسترد مفاتنها
خيام، خيام
تضيئ الثريات فيها الاثاث
الوثير
ويمرح فيها ذباب الكلام

«سعدى يوسف»

منازلة المحارب لا منازلة المحايد» ثم يطالب «بمحاربة هؤلاء العلمانيين وترويعهم وتشريد من خلفهم» . ثم يختم مقدمته برسالة واضحة لمن يهمه الأمر من المتطرفين مقسما فيها الادوار ومعلنا لهم أن دورهم قد حان فيقول «ولقد كان الكاتب وفيا لدينه فيما فعل مؤديا عن الامة واجبا فيما قدم، فشكر الله له سرعة استجابته وظاهر غيرته ، وغفر لى وله ضعف السلاح، وقلة العمل».

وفى الغلاف الأخير للكتاب تنتقل عملية التلميح بالهدف من جانب القائمين على الكتاب إلى تصريح واضح وصريح بالقتل ، وذلك فى تعليق على الكتاب احتل صفحة الغلاف الاخير تحت عنوان **«قتل الخراصون»** تاركين للقارئ أن يستنتج من هم هؤلاء الخراصون بعد قراءة الكتاب أو حتى مجرد مشاهدته.

فتاوى التكفير ورصاص الارهاب

وقبل أن نفيق من صدمة هذا الكتاب الكارثة كانت حملة التكفير التى سبق وان قادها الشيخ حبلوش **ضد د. حسن حنفى** فى منتصف العام الماضى قد أتت أكلها على شكل **تنظيم ارهابى فى الاسكندرية كان يخطط لاغتيال د. حسن حنفى** بناء على فتاوى الشيخ حبلوش حسب ما ورد فى اعترافات قادة التنظيم امام مباحث أمن الدولة والتى قامت بالقاء القبض عليهم قبل تنفيذهم للجريمة.

وهكذا تتكشف المؤامرة لنكتشف أن الشيخ يحيى حبلوش أصبح مفتياً لمجموعة إرهابية من المتطرفين ، وان فتاوى التكفير تحولت إلى رصاص يستهدف عقل الأمة من المفكرين المستنيرين.

فحسب ما اوردته روزاليوسف فى ٢٢ ديسمبر الماضى فان تقرير مباحث أمن الدولة بشأن عملية اغتيال د. **حسن حنفى** خرج ليقرر أن جبهة علماء الازهر هى جبهة تكفير ، وانها حكمت على د. حسن حنفى بالكفر والردة ، وان الأمين العام للجبهة **الشيخ يحيى حلبوش** هو الجانى الاساسى فى محاولة اغتيال د. حسن حنفى التى لم تتم» . ورغم كل ذلك فالشيخ يحيى حلبوش ما زال مصراً على أن من الف فهو مستهدف.

كان لهذه الاحداث والممارسات وقع عنيف على كل من د. **سيد القمنى ود. حسن حنفى** .فحسن حنفى بعد الكشف عن محاولة اغتياله آثر الصمت وعدم الحديث للصحافة بينما يعيش **سيد القمنى** عيشه المطارد الذى لا يقر فى مكان فترك بيته وأهله واضطر إلى التنقل بين العديد من الأماكن بعد أن أصبح هو وابناؤه مستهدفين من قبل الجماعات الارهابية فنصح ابنته **ايزيس** الطالبة بكلية الطب أن تغير فى بطاقتها الشخصية وتمحو من اسمها كلمة القمنى.

رغم أن وزارة الداخلية قد رصدت ل د. **سيد القمنى** حارسين خاصين لحراسته فلقد كان حريصا على لفت نظرى إلى عدم نشر مكان اللقاء به فى الموضوع.

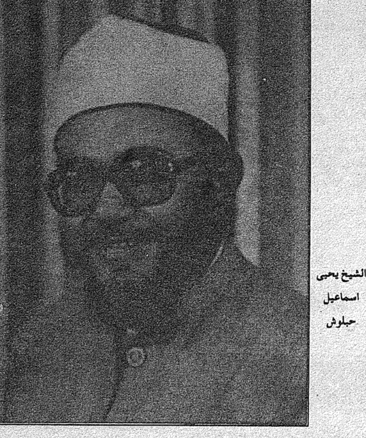
صيحات الرصاص لن ترهبنى

وعن تأثير حملة التكفير الاخيرة على حياته وابحاثه يقولد. **سيد القمنى** باختصار حياتى اتلخبطت فانا باحث ووقتى موزع توزيعاً دقيقاً وأى اختلال فيه يؤدى إلى اختلال العمل والانتاج. ولكننى أود أن أوضح **أن صيحات الرصاص والتكفير لن ترهبنى وسأظل أقاتل بقلمى وفكرى دون هوادة لفضح الأرض المنهجية التى يقف عليها دعاة التأسلم السياسى الارهابى ولن تسكت كلمتى حتى ولو بالرصاص أو الخنجر** .فالكلمة إن نزفت أثمرت ولا تموت أبدا.

اما عن رؤيته للكتاب وما به من اغلاط وهدف القائمين عليه فيقول: هذا الكتاب يعود لمؤلف بلغنا ولسنا على يقين أنه شقيق للشيخ **صالح كامل السعودى** وأكدت مجلة روزاليوسف أنه غير مصرى مما يدعم هذا القول بشأنه. ويبدو انه اذا كان بالفعل كذلك فان الارهاب القادم من الخارج لم يعد يستخدم التقية ولا يتخفى ولا يحتشم ومن هنا كانت هذه الهجمة الصريحة الفصيحة.

لكن المهم هنا أن نؤكد أنه لو لم يجد غطاء مصرياً سواء كان هذا الغطاء ناشراً مصرياً مثل صاحب **مكتبة التراث الاسلامى** أو ناطقا بلسان البترو دولار مثل الشيخ **حبلوش** أو مردداً لنفس التهم مثلما فعل« **الشيخ » عماره**فى صحيفه الشعب بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧ لما أقدم على ذلك.

عموما أنا أرى أنه قد تم اختيار الغطاء المصرى للتكفير المتسلل من الخارج بعناية



الشيخ يحيى اسماعيل حبلوش

حيث اننا لا نشك للحظة ان **الارهاب المسلح هو الوجه الاخر للارهاب الفكرى وان كليهما عمله واحدة رديئة** . وقد تم الأمر كما لو كان هذا الكتاب وأغطيته يقدمون لوناً من الحوار مع المختلفين معهم تحت شعار «كتاب بكتاب ورأى برأى» لكن الحقيقة ان الكتاب ليس كذلك اطلاقا بل هو فتوى تكفير واضحة ودعوة للقتل- ولقد أرسلت رداً على ما به من اتهامات لصحيفة الاهالى -فلو ربطنا بين عنوان الغلاف الخلفى للكتاب «قتل الخراصون» وما فى داخل هذا الكتاب لمعرفة من هم هؤلاء الخراصون المطلوب قتلهم ، سنجد أن سيد القمنى يتهم بأنه يتخرص على الاسلام أى يفترى عليه الكذب.

بل أننا عند مطالعه الفهرست سنجد أنه لخص . ٤٠ صفحة هى حجم الكتاب فى تسع صفحات جمعت اتهامات كفيلة فى ظل هذا المناخ الردئ الذى نعيشه بقتل المئات وليس شخصاً واحداً مثلى.

أنا لا أفرق اطلاقا بين أى مهووس يحمل السلاح للقتل وبين بقية أطراف المشتغلين بالاسلام السياسى . بل لا استبعد أبداً بعض شخصيات الازهر ذات الاسماء اللامعة ونجمهم المكفراتى الشيخ حبلوش من هذا الاطار . كل ما فى الامر أنهم استفادوا من تجارب الاخرين فلم يبقوا على التنظيم السرى تابعاً لجماعة الاخوان بشكل علنى . وقسموا الادوار بينهم ، لتقوم جماعات الارهاب بدور جهاز التنظيم السياسى وتلعب الوجوه العلنية الدور الثقافى المزعوم والسياسى المعلن.

وعن تعليقه على ما يحدث وعلى أقوال المؤلف والشيخ حبلوش بان الاسلام مستهدف يقول: هذا الكلام هو التخلف نفسه وهو الهزيمة نفسها لان هناك زعم ان ما يحدث هو نتيجة الهزيمة أمام قوى مقتدرة تقف ضدنا وتبغى هلاكنا . وأنا أقول اننا لم نهزم حقيقة الا يوم ان فقدنا الثقة فى ممكناتنا الانسانية والسياسية والاقتصادية والفكرية وما يندرج تحتها من علم وفن وثقافة وقررنا استدعاء قوى السماء لتحارب لنا معركتنا نيابة عنا بتقصير الجلباب واطالة اللحية والسعى على طريق الاسلاف بالفعل حذو الفعل إن هذا يعنى هزيمة الحضارة برمتها وهزيمتنا العقلية والنفسية.

وأنا أكرر انها هى التخلف ذاته **فلا يمكن ان نتصورشخصا يعود إلى وقائع تبعد بأكثر من ١٤ قرناً من الزمان ليواجه بها حضارة اليوم وتقنياتها وتقدمها العلمى الهائل**. ان هذا لا يوصف فقط بانه تخلف ولكنه كساح عقلى وعجز وتسليم واعتراف بهذا العجزعن مواجهة الاخر المتفوق.

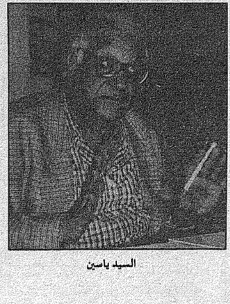
وهو تخلف مرة أخرى لان مواجهة الاخر لن تتم ابداً ولن **تكون دولة محترمة بين الأمم اليوم الا بالحريات والعلوم والفنون على أصنافها** . بينما هؤلاء ينشرون مناخاً تحريماً يكبح أى لون من الانطلاق وأى لون من العلم وأى لون من الفن. بل وزاد من كم التحريمات فى حياتنا زيادة هائلة لم تكن فى صحيح الاسلام البكر.

** السؤال الان هل الاسلام هو ما يطرحونه من قهر للاخر وتكفير له وكبت للحريات أم أن هناك رؤية اخرى يتجاهلها هؤلاء المكفراتية؟

ليس فى الاسلام تكفير

يقول د. **أحمد صبحى منصور** عندما تتحدث عن قضية التكفير سنجد أن لها جانبان الموقف الفقهى النظرى و المستوى العملى.

على المستوى العملى سنجد أن شيخ الازهر فى أهرام الجمعة ٩ يناير يقول أن الذى يكتفى بالقرآن وحده ويستغنى عن السنة هو بعيد عن الاسلام وجاهل وغبى . فعلى المستوى الواقعى فان الموقف السلفى بداية من شيخ الازهر إلى الشيخ يحيى حبلوش وكل من يعتقد انه يمتلك الحقيقة المطلقة يرى أن كل من يختلف معه فهو كافر ، وذلك مع اختلاف



السيد ياسين

درجة التعبير عن ذلك. فشيخ الازهر يقول عنه انه جاهل و يحيى حبلوش يقول إنه كافر.

بل اننا سنجد انهم فى حوارهم مع بعضهم البعض لا يتورعون عن اتهام بعضهم البعض بالكفر بدرجة أو بأخرى.

فمن الناحية العملية الواقعية سنجد أن الفكر السلفى يدعى أنه يحتكر الحقيقة المطلقة مع أن هناك دارسون اسلاميون غيره فهناك شيعه وهناك قرآنيون وهناك صوفيه وهناك دارسون من طوائف أخرى.

الخطورة تتمثل فى أن جهة ما بسبب نفوذها العلمى أو السياسى أو الشعبى أو المشيخى تدعى أنها تمتلك الحقيقة المطلقة وتزعم أنها تتحدث باسم الاسلام . ولذلك فقبل أن نلوم **يحيى حبلوش** أو غيره . فاننا نلوم كل من يستعمل هذه الاساليب استنادا إلى درجته فى السلم الوظيفى أو إلى سلطته العلمية أو الدينية.

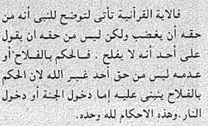
من الناحية النظرية القرآنية أو من ناحية الفقه النظرى فانه ليس من حق النبى نفسه أن يكفر أحداً . وسأذكر لك واقعتين من القرآن للدلالة على ذلك. والواقعتان جاءت بهما سورة آل عمران.

فحينما هزم المسلمون فى أحد وحينما وقع النبى وجرح فى المعركة قال« لا يفلح قوم فعلوا بينهم هذا » فنزل قول تعالى «ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم »الايتان ١٢٨ ،١٢٩ من سورة آل عمران.



محمد عمارة يقود حملة تكفير ضد حسن حنفى وأبو زيد والعشماوى

محمود العالم: بنية التعليم فى مصر تدعم الفكر الارهابى





محمد سعيد العشماوى

فالاية القرآنية تأتى لتوضح للنبى أنه من حقه أن يغضب ولكن ليس من حقه ان يقول على أحد أنه لا يفلح . فالحكم بالفلاح أو عدمه ليس من حق أحد غير الله لان الحكم بالفلاح ينبنى عليه إما دخول الجنة أو دخول النار.وهذه الاحكام لله وحده.

فى نفس السوره« آل عمران» وبعد أن قص القرآن حكاية عيسى بن مريم من أول ميلاده حتى تم رفعه يقول الله العزيز فى الآية ٥٩ «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» وذلك ليوضح ان عيسى بن مريم بشر خلق من تراب كمثل آدم.

وبعد هذا التوضيح القرآنى لطبيعة المسيح عليه السلام يقول الله لنبيه فى الآية «٦١» من نفس السورة «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» . وهنا فان القرآن بعد ما أوضح له الطبيعة البشرية للمسيح عليه السلام يقول أن من يأتى ليحاجك فى بشرية عيسى بن مريم ويقول لك أن عيسى بن الله فلا ترمه بالكفر والالحاد وإنما تدعوه للمباهله بان تجتمعوا جميعا وتبتهلون لله أن يصب لعنته على الكاذبين.فالقرآن هنا يبتعد بالنبى عن أن يكفرهم أو يكفرونه .

اذن فليس فى الاسلام تكفير و ليس من حق النبى أن يكفر أحداً وإنما هذا الحق لله وحده ،وعلى هذا فليس من حق الشيخ **يحيى حبلوش** أو شيخ الازهر ان يكفر احدا وإلا يكون قد تقمص دور الله أو ادعى الألوهية هذا من الناحية الفقهية . أما من الناحية العملية فنحن نجد أن كل فريق يدعى أنه يمتلك الحقيقة المطلقة وان غيره كافر« أو جاهل».

فالقاعدة الفقهية أن النص القرآنى حق« مطلق» فى ذاته . ولكن حين استشهد به فى قضية يصبح حق نسبى يجوز عليه الصواب والخطأ . فالأدب القرآنى يقول أنه ليس من حق أحد ان يدعى انه يمتلك الحقيقية المطلقة حتى فى الامور الواضحة مثل العقائد فعلى الرغم من ان القرآن أوضحها تماما إلا أنه لا يجوز أن نكفر أحداً بسببها.

لقد علم القرآن النبى كيف يتكلم مع خصومه فلا يتهمهم ولا يكفرهم فى قوله تعالى«قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين . قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون» الايات ٢٤ و٢٥ من سورة سبأ. فحين نقرأ هذه الآيات نجد أن النبى لا يسفه خصومه ولا يكفرهم . وعندما يأتى ليحادثهم ويجادلهم ويكلمهم عن الحساب فإنه ينسب الاجرام لنفسه حين يقول« لا تسئلون عما أجرمنا » ولا ينسبه لغيره وانما يترك الحكم لله رب العالمين وهذا هو الادب القرآنى.

فاسلوب الحوار الذى يعلمه القرآن للنبى أن يحاور بالحسنى ويؤجل الحكم إلى الله يوم القيامة أما **الذى يزعم انه يمتلك الجنه والنار، وان من يختلف معه فهو كافر أو مرتد فانه بذلك ينتهك حقا من حقوق الله ، ويتقمص دوراً ليس له** . لانه دور الله فليس من حق احد غير الله ان يحكم على بشر بالكفر.

ويتصدى الاستاذ **السيد ياسين** لتوضيح خطر ممارسات شيوخ التكفير على المجتمع فيقول فى اهرام الخميس ١ يناير ١٩٩٨ بالاضافة للارهاب كفعل مادى ملموس هناك ممارسة ثقافية فى المجتمع للارهاب المعنوى ،الذى لا يقل خطورة عن الارهاب المادى.

وخطورة الارهاب المعنوى أنه لا يقتصر فى ممارسته فقط على الجماعات الارهابية وانما تتسع شبكته لتشمل دوائر أوسع منها بكثير، وتشمل مرجعيات دينية حزبية ، ومثقفين وكوادر اعلامية.

ويمكن القول إن هناك مرجعيات دينية يتسم خطابها بالجمود الفقهى الشديد ، و الانغلاق الفكرى ، والعجز عن التجديد ، والدعوة لمجموعة من المبادئ والسياسات ،ليس من شأنها في نهاية الأمر الا أن تصب في مجرى الفكر الدينى المتطرف.

وحتى لا يكون تقويمنا لهم بغير دليل . يكفى ان نقوم بتحليل خطاب فتاويهم وتصريحاتهم الصحفية وخطبهم الدينية وكتبهم ومقالاتهم لكى ندرك انهم في الحقيقة يصدرون عن روح مفارقة لروح العصر ويتشبثون بالتفسير الضيق للنصوص الدينية.

ومن هنا فهؤلاء وغيرهم من عناصر الجماعات الارهابية ومن لف لفهم من هيئات سياسية أو مثقفين أو كوادر اعلامية ، ليس هدفهم سوى الطعن فى سلامة توجهات الدولة، والدعوة الصريحة إلى تكفير المجتمع باعتباره ليس مجتمعا اسلامياً.

ويصبح الوضع خطيرا . حين ينتسب بعض هؤلاء إلى المؤسسات الدينية الرسمية لان أوضاعهم الوظيفية تعطى لكلامهم- فى الظاهر على الأقل- ثقلا معينا . فهذه القيادات الدينية لم تقنع بالفتيا فى أمور جوهرية مخالفة فى ذلك الممارسات العالمية شرقاً وغربا ولكنها ابعد من ذلك ارادت أن تنتقل إلى عالم الفكر لتمارس فتاوى التحريم ضد المبدعين من المفكرين والادباء والفنانين استناداً إلى اجتهادات سطحية ، وسعياً إلى تأكيد سلطة دينية غير مشروعة تصف خصومهم بالكفروالالحاد والخروج عن ملة الاسلام.وللاسف الشديد استطاعت بعض العناصر الغوغائية ان تكسب بعض الجولات من خلال استخدام الثغرات القانونية لاستصدار احكام تتبنى فيها مقولاتهم وفى ذلك مافيه من ممارسة الارهاب المعنوى ضد اصحاب الفكر والرأى وكل من يمارسون الابداع فى حدود الدستور والقانون.

وهكذا يمكن القول إن هذه القيادات

الدينية تحاول ممارسة الارهاب المعنوى فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة بل إنها تحاول ان تسيطر بفكرها على المقررات الدراسية وتسعى لتسريب أنصار فكرها فى قلب المؤسسات التعليمية حتى تهيمن على عملية التنشئة الاجتماعية لاجيال الاطفال والشباب».

كيفية المواجهة

على حين يرى د. **سيد القمنى** أن الطريق لن يكون سهلا ومفتوحا امامنا لمواجهة مثل هذه الحملة الشرسة الا بتأسيس مناخ كامل من الحريات التى أقرتها الانسانية بعد كفاح طويل ، فإن د. **نصر أبو زيد** فى كتابه **«التفكير فى زمن التكفير»** يرى أنه« لا سبيل امامنا لتجاوز ازمتنا الراهنة على جميع المستويات والاصعدة الابمحاولة الوصول إلى ناظم تعليمى قادر على تنمية قدرات الفرد الذهنية والعقلية و العضلية بل والخيالية ايضا ، بالاضافة إلى تنمية حواسه التذوقية للآداب والفنون . ولا شك أن إشاعة مناخ الحرية فى الثقافة والمجتمع شرط مهم جدا لوضع أساس هذا النظام التعليمى المرجو. ولا نقصد بمناخ الحرية الدلالة السياسية التى تتبادر إلى الذهن حين تذكر كلمة «الحرية» ،وهى الدلالة التى تقصرها على حرية التصويت وانشاء الاحزاب واصدار الصحف.. الخ. ان ما نقصد بالحرية المطلوبة فى المجتمع تتجاوز تلك الدلالات رغم أهميتها التى لا يمكن انكارها . انها حرية التفكير والنقاش والبحث والحوار دون كوابح أو شروط مسبقة ودون اهداف بعينها يسعى المفكر أو الباحث للوصول إليها».

اعادة النظر فى الجرعة الدينية فى الإعلام

وترى فريدة النقاش «إن مشكلة هذا النوع من السجال أنه لا يندرج بحال ضمن الحوار الفكرى الخلاق الذى يدور عادة بين طرفين مختلفين اختلافا جذريا ولكنهما يعترفان ببعضهما البعض ويحاول كل منهما أن يغتنى بوجود الآخر ولا ينفيه.

ما يحدث الآن من قبل **جبهة علماء الازهر** أو الوعاظ والمشايخ ومن يسمون أنفسهم برجال الدين أنهم يبدأون من فكرة ثابتة هى امتلاكهم هم للحقيقة الدينية أي المطلقة والوحيدة ، **وطبقا لهم يصبح كل من يقف علي أرض أخرى كافر وعدو لابد من**

جبهة علماء الازهر تنطلق من فكرة ثابتة هى امتلاك الحقيقة المطلقة والوحيدة.. واتهام كل من يخالفهم الرأى بالكفر!!

فريدة النقاش

إلغائه وإصدار الفتاوى بقتله أو جرجرته إلى المحاكم دون مجادلته ، وبالتالى هم لا يقدمون إضافة معرفية -حتى من موقعهم- يمكن التحاور معهم على أساس منها وتفنيدها واختبار قدرتها على إضاءة الواقع بكل مستوياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية اضاءة جديدة تجعلنا أكثر قدرة على تفهم حركته وتفاعلاته وصراعاته، أو اكتشاف زوايا جديدة ومناطق غير مأهولة فى تراثنا وإنتاج معرفة جديدة به أو استخدام مناهج بحثية جديدة تكشف الثغرات التى يقولون بوجودها فى مناهج البحث العلمية الموضوعية التكاملية التى يعتمدها المفكرون العقلانيون التقدميون والباحثون من أمثال **نصر حامد أبو زيد وسيد القمنى** وغيرهم.

وبدلا من أن يصبح السؤال حول أفكار هؤلاء عن الخطأ والصواب ينتقل إلى ميدان الكفر والايمان والحرام والحلال فتتوقف المناقشة ولا تتقدم وتصبح دون أفق **ويستفيد الذين يكفرون العلماء والباحثين من المناخ العام المشبع بالدين ، ومن يأس الفقراء الذين لا يرون أى إمكانية لحل مشكلاتهم المتفاقمة على الأرض فيهربون إلى السماء ..** يستفيدون من هذا المناخ للتشهير بالمفكرين التقدميين ساعين إلى محاصرتهم وعزلهم بالاتهامات الجاهزة التى تعوض ضعف حجة الشيوخ والوعاظ. ■

نحن فى أمس الحاجة للاستفادة القصوى من المنابر الديمقراطية القائمة لتتسع قاعدة الرأي العام الذى يرفض التسليم الخاضع لغوغائية هؤلاء ، ويكون بوسعه أن يقرأ- نقديا -وعلى نطاق واسع كتابات المفكرين والباحثين العقلانيين، وزيادة عدد الندوات وحلقات البحث والمؤتمرات العلمية التى تطرح القضايا الأساسية للمناقشة والمناظرة والحوار بما فيها قضايا التراث والفكر الدينى وإصدار مجلات وكتب مبسطة على نطاق واسع تناقش أفكار وكتابات ومواعظ هؤلاء التى تنهال علينا كالسيل.

كذلك تشتد الحاجة للمطالبة القوية بالغاء النص على دين الدولة فى الدستور المصرى فلا يجوز لدولة عصرية أن تختار لنفسها دينا لأن النتيجة العملية فى الممارسة كانت دائما عزلا لأصحاب الديانات الأخرى وانتقاص مواطنتهم.

وإعادة النظر الشاملة فى الجرعة الدينية فى الإعلام ضرورة أخرى لا فحسب لأن هذه الجرعة كبيرة جدا وهى التى تمهد الأرض أساسا للتطرف الدينى ومناخ التكفير ولكن لأنها أيضا مشبعة بالخرافات ومعادية . للعلم الذى هو أساس لا غنى عنه من أسس نهضتنا التى نتطلع إليها.

تنمية الفكر العقلانى

أما المفكر الكبير« **محمود أمين العالم**» رئيس تحرير قضايا فكرية فيقول من «الواضح أن مسلسل تكفير الفكر العقلانى ما زال مستمرا ولابد من مواجهته بشدة . فى البداية احب أن أوضح أننى لا أطالب **بمصادرة هذا الكتاب أو هذا الفكر بشكل عام** كما لا اطالب بمنعه . فانا أرى أن السبيل لمواجهة هذا التفكير هو ضحده . ففكرة مصادرة الكتاب من الممكن أن تكون سببا لرواجه ولرواج افكاره بدلاً من اختفائها والامثلة على ذلك كثيرة.

المهم أن نناقش هذا التيار الفكرى الجامد المتعصب على أرضيته وفى داره . وقدرة المفكرين والمشايخ المستنيرين على ضحد هذا الامر التى ستعريه وستكشف عواره أمام الرأى العام.

أنا أود أن الفت الاهتمام ان هذه الممارسات توضح ان **بنية التعليم فى مصر ما زالت تدعم الفكر الارهابى ، وتدعم الافكار التكفيرية ، وتدعم الدعوة إلى الادانة البدنية** . فاخطر ما فى الموضوع ان هذا الشيخ-

يحيى حبلوش- استاذ فى الجامعة الازهرية ويدرس هذا الفكر لالاف الطلاب كل عام فيزرع بذور التطرف والارهاب والجمود العقلى بداخلهم . أما الكتاب فعادة ما يكون تأثيره محدود الان عدد قرائه قليل ولذلك اعتقد أن البداية تبدأ من مناقشه هذا الفكر وضحده وإدانته على أرضيته وأمام طلابه.

من المهم أيضا أن نبحث عن مصادر طبع هذا الكتاب وكيف مول ؟ وما هى الجهة التى لديها الاستعداد للخسارة فى سبيل نشر هذا الفكر المتطرف فى مصر . فالتفتيش حول ذلك سيوضح لنا من أين تبدأ هذه الظاهرة وما هى مصادرها ؟ فنستطيع أن نحاصرها ونفضحها فكريا . أعود لأكرر أن الكتاب اثره محدود فقله هى التى تقرأه . فلو أحطنا بمصادر الظاهرة سنستطيع مواجهتها فكريا .

لعل الحكومة نجحت بالاجراءات الامنية فى محاصرة ظاهرة الارهاب المسلح وذلك بغض النظر عن حادثة الأقصر . ولكننى اعتقد انها فشلت فى مواجهة هذه الظاهرة ايديولوجيا **.فالحركة التكفيرية اتسعت ايديولوجيا . والاتجاه الدينى المتعصب ينتشر اكثر واكثر عن طريق بعض الجهات الحكومية أو التى تسيطر عليها الحكومة سواء كان ذلك عبر بعض الأحاديث فى الاذاعة والتلفزيون أو عبر البنية التعليمية المخترقه** ولقد اعترف وزير التعليم **حسين كامل بهاء الدين** بنفسه ان هناك تسللاً للفكر الدينى المتعصب الجامد داخل البنية التعليمية سواء فى الجامعات أو المدارس.

عموماً المواجهة الحقيقية لا تكون بمواجهة هذا الكتاب فقط بل بمواجهة الصيغة الدينية الجامدة المتعصبة وحصار ومواجهة روافدها سواء المتسللة داخل مناهج التعليم أو عبر الاذاعة والتلفزيون أو فى الجامعات.

مواجهة هذا الفكر لن تتحقق الا عبر تنمية التفكير الموضوعى والعقلانى وعبر تنمية روح النقد والتسامح وروح الاختلاف فى المجتمع . ومن الممكن تحقيق ذلك فى المجتمع عن طريق نشر ثقافة عقلانية سواء عبر وسائل الاعلام أو عبر الكتب فالدولة وسيلة من الممكن أن تساعد على ذلك وهى مكتبة الاسرة.

فهذه السلسلة سهلة ومنتشرة ولكنها فى محاولتها لاعادة بناء الفكر العقلانى فانها تعيده بكتب قديمه. وأنا أعتقد ان الاساس فى مواجهة هذا الفكر يكون عبر فكر جديد نابع

بعض القيادات الدينية تحاول ممارسة الارهاب المعنوى فى السياسة والاقتصاد والثقافة..

السيد يسن

من هذا العصر وأنا لا أدرى ما هى المشكلة فى عملية نشر هذا الفكر الجديد.

اذا كانت المشكلة فى الفكر نفسه فاعتقد انه من الممكن الاستفادة من مراكز الثقافة الجماهيرية ولو استجابوا لنا لاقترحنا الكثير من الكتب العقلانية التى من الممكن ان تغطى هذه السلسلة.

ولكن لابد أن الفت النظر إلى أن نشر هذا التفكير ليس بكاف وحده على حل المشكلة ولكن المهم أن يصبح هذا الفكر موضع حوار ونقاش وجدل داخل المجتمع بحيث يستطيع التأثير.

لابد من وجود حركة مجتمعية عامة لتنمية الفكر العقلانى سواء من خلال التأليف الجديد الذى يتيح للفكر المصرى أن يكون مواكباً للعصر، فالملاحظ أن العلم فى العالم يتقدم و الابداع بتقديم ونحن نتقهقهر . فنحن نعرض العلم ليس من خلال انه علم ولكن من خلال التكنولوجيا الناتجة عن هذا العلم.

خلاصة الأمر هى كيف ننشر الفكر العلمى العقلانى النقدى ؟ كيف ننشر فكر التسامح وينبغى أن يصدر هذا من خلال حركة مجتمعية عقلانية تدعم عملية القراءة داخل المجتمع . ولكن لابد أن نضع فى اعتبارنا ان القضية ليست قراءة للجميع ولكن القضية هى ماذا نقرأ؟ القضية هى نوعية القراءة وليس حجمها . القضية هى كيف نتيح قراءة مختلفة فى مواجهة هذه الحملة الفكرية المتعصبة الجامدة؟ كيف نواجه ذلك بحملة فكرية مستنيرة تبرز الجوانب المتسامحة فى الدين . وتنمى الهوية الفكرية المتسامحة العقلانية؟.

أنا أعتقد أن الفكر مرتبط بالاطار السياسى العام . فبدون احساس الناس بالانتماء وبوجود مشروع يتجمع حوله الناس فان الأمر يكون صعباً . وأعتقد أن ربط المجتمع بمعارك ذات بعد قومى ومواقف كبيرة يرفع ويدعم روح المعاصرة.

لابد من تدعيم فكر جديد يؤكد فكرة المواطنة وروح الوطن ويدعم الروح القومية ويعلى من شأن التصدى للعدو الامريكى والصهيونى . ويعمل على اشاعة وتنمية الهوية العربية والمصرية.

أما بالنسبة لهذا الشيخ فاعتقد أن مواجهته تكون بمحاسبته محاسبة فكرية على أرضيته وفى مقره حتى يتم فضحه فكريا أمام طلبته أحدهم مصادر تأثيره على المجتمع.

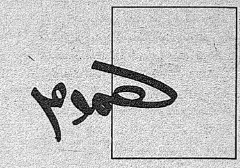
اعتقد أن القضية هي كيف نضع مشروعاً لتنمية مجتمعية تقوم على العقلانية وتنمية روح الهوية وتدعم مناخ الحريات وتعمل على نشر الفكر العقلانى النقدى . أعتقد أن المسألة تحتاج لاستراتيجيته».

***

ويبدو أن مسلسل تكفير الفكر العقلانى ما زال مستمرا فقبل الطبع طالعتنا جريدة الدستور بحملة تكفيرية ل.د **محمد عماره** موجهه ضد كل من.د**. حسن حنفى ونصر أبو زيد ومحمد سعيد العشماوى** حيث قال أن حسن حنفى افرغ الاسلام من محتواه وان ما كتبه نصر أبو زيد يتناقض مع اعلانه للاسلام وان سعيد العشماوى عميل ايديولوجى.

وفى النهاية لا نملك الا أن نقول ان هذه الاشكال من المصادرة واغتيال الفكر وحرية التعبير والابداع هى اغتيال للمجتمع نفسه لانها تجميد لطاقات التحرك والتجدد فى المجتمع.

ان المعركة ضد قوات التكفير والمصادرة والمنع والاغتيال ليست قضية ثقافية فقط وانما هى قضية كرامة اجتماعية تمس جوهر ثقافة الانسان . ونحن نعتقد ان مصر تستحق وعياً آخرا أصلته ثقافتها الممتدة وفهماً جديداً لفاعلية الكتابة فى تغيير الحياة وتفادياً حاسماً لاصطناع هذه الفتن، التى لا تزيد الناس ايماناً بقدر ما تخلق سلطة جديدة لا يعرفها الاسلام ولا يستطيع العمل فى ظلها المجددون والمهتمون.



الفقر والفقراء فى القرن الحادى والعشرين

د. أحمد محمد صالح

(ينتشر الفقر فى العالم اليوم أكثر من أى وقت فى تاريخ البشرية)

فى بداية العام الميلادى الجديد ١٩٩٨، تقترب البشرية من الدخول إلى القرن الحادى والعشرين، والفقر يتصدر قائمة أجندة مشاكل العالم. ورغم التقدم التكنولوجى الذى تميز به القرن العشرون، والرفاهية التى يتمتع بها البعض، فقد استمر الفقر فى التزايد فى كثير من أنحاء العالم، بما فى ذلك الدول الصناعية المتقدمة. **لذلك فرضت ظاهرة الفقر نفسها على المجتمع الدولى. فأعلنت الأمم المتحدة عام ١٩٩٦ عاما دوليا للقضاء على الفقر. كما أعلنت عقد الأمم المتحدة للقضاء على الفقر ١٩٩٧-٢٠٠٦ بقصد تنمية الوعى بخطورة الموقف فى العالم كله.**

وهناك سيل مستمر من المطبوعات الورقية والاليكترونية حول موضوع الفقر، والجهود الأكاديمية مستمرة لا تتوقف فى هذا المجال، وخبراء الإحصاء يجتهدون لكشف ورصد ابعاد الفقر فى العالم، وتتوالى الندوات والمؤتمرات ومجموعات المناقشة عن هذا الموضوع فى الإنترنت، ومن خلال ما توفر لدى من فرص عبر المصادر السابقة نستطيع هنا أن نرصد الآتى:

***أن الفقر الذى نتكلم عنه هنا، هو الفقر بكل مقاييسه ومعانيه المختلفة،** فنعنى به الفقر الذى يتحدث عنه البيروقراطيون فى المنظمات الدولية، وتقسيماتهم المعتمدة على خط الفقر إلى سكان دخلهم منخفض، وفقر مطلق وفقر نسبى. ونعنى به أيضا الفقر عند الفلاسفة من علماء الأخلاق وهم يصنفون الناس إلى الفقير إلى الله، والمعدوم، والمحروم، والكادح، ومستحق العون، والفقير باختياره، والفئات الخطرة، والطبقات الشعبية وهو المصطلح المفضل لدى اليسار السياسى بعد أن كان يستخدم مصطلح الجماهير للدلالة على من يطلق عليهم فى علم الاجتماع المعاصر «**الطبقة الدنيا**»، أو من أطلق عليهم الجيل القديم من الماركسيين أسم التكتل العمالى أو البروليتاريا. ونعنى بالفقر أيضا هنا الفقر كما يفهمه الأكاديميون من الفقر الهيكلى والعزل والتهميش والاستغلال.

أن الأغلبية العظمى من بنى البشر تعيش فى فقر منذ أن خرج سيدنا آدم وحواء من الجنة ونزلا إلى الأرض. وخلال كل الاف القرون التى عاشتها البشرية قبل الثورة الصناعية، والسباق الانسانى مستمر من أجل البقاء على قيد الحياة، ومعظم تاريخ الانسانية وعبر كل حضاراته الرنيسية مرت بالبشرية أنساق اجتماعية مختلفة كانت دائما تأخذ شكل قلة غنية مسيطرة على الثروة وجماهير عريضة من الفقراء العبيد.

واليوم بعد قرنين من الثورة الصناعية ما زال الفقر منتشرا انتشارا واسعا فى العالم. فى أفريقيا ملايين البشر تعيش على حافة المجاعة، فى شبه القارة الهندية تفيض الشوارع بالشحاذين والمشردين. وفى كل آسيا عشرات الملايين يعيشون بصعوبة بالغة وعلى حافة الجوع. وفى أمريكا اللاتينية تحاط المدن بالأحياء القذرة والفقيرة جدا، حيث يختصر الناس طعامهم إلى الحد الأدنى، ويبحثون فى الزبالة والنفايات ما يسد رمقهم للاستمرار فى الحياة. وفى الصين والشرق الأوسط والكثير من بلدان الاتحاد السوفيتى السابقة يعيش مئات الملايين من الناس الذين يواجهون صعوبات بالغة ويتحملون مصاعب جمة فى الحصول على طعامهم. حتى فى **أوروبا يعانى فيها منذ الحرب العالمية الثانية ملايين العمال المهاجرين الفقراء من شظف العيش. وفى أمريكا نفسها يمتلئ الريف الأمريكى بالأكواخ الفقيرة والأسر المعدمة،** وينتشر فيها ملايين العاطلين عن العمل، ومئات الاف من المتشردين، ففى كل مدينة أمريكية تجد من يعيش فى المتنزهات وفى السيارات وتحت الكبارى والجسور، حيث ما زال خمس الأمريكيين أو حوالى خمسين مليونا أمريكيا يعيشون اليوم فى ظل الفقر.

ونذكر هنا بمقال الدكتور رشدى سعيد بمجلة الهلال عدد يناير ٩٥ حيث وصف فقراء مصر بكتلة البشر الغاطسة. وهذه الكتلة البشرية الهائلة من الفقراء، تبلغ ٥٠ مليونا وتنتظم فى ٥ر٨ مليون أسرة يتراوح دخلها الشهرى بين ١٠٠ و ٥٠٠ جنيه مما يجعلها تحصل على ٢٦٪ من جملة الدخل القومى. على الرغم من أنها تمثل ٨٦٪ من جملة سكان مصر، ويسكن ٥٦٪ من أسر هذه الشريحة فى الريف، والباقى فى عشوائيات المدن، طبعا فى ظروف غير آدمية بالمرة، فمتوسط الأنفس فى الحجرة ٦ أفراد و٨٠٪ من مساكن تلك الكتلة من غير دورات مياه، ويعيشون فى قرى ومناطق عشوائية لا تعرف الصرف الصحى أو التنظيم أو الكهرباء أو خدمات عامة كالبريد والتليفون، أو طرق ممهدة أو خدمات اجتماعية وثقافية، بمعنى ليس فيها أبسط الخدمات، ولايذهب الجزء الأكبر منهم إلى المدارس المختلفة، والتى يتسرب الجزء الأعظم منها إلى العمل الشاق فى أعمال الخدمة الهامشية، وهى تكتلات عاجزة عن إيصال صوتها إلى الحكام.

والفقر فى العالم لا يعتبر أمراً حتميا لأنه على الأقل كان يمكن لتكنولوجيا القرن العشرين ان تنتج مستلزمات حياتيه ما يكفى لكل إنسان على وجه الأرض، وتجعله يعيش حياة كريمة. فأختراع الماكينة البخارية، واكتشاف الكهرباء، وتطوير تكنولوجيات محركات الاحتراق الداخلى وغيرها من اختراعات واكتشافات القرن العشرين استطاعت أن تدمج الماكينات مع القوة العضلية فى إنتاج السلع والخدمات للإنسان. والأحداث والظروف التى أحاطت بالحرب العالمية الثانية زودت القرن العشرين بقدرات تكنولوجية واسعة فى الزراعة والصناعة لانتاج كميات هائلة من المنتجات التى يحتاجها الإنسان. وعمليات إعادة بناء أوروبا الغربية واليابان خلال الخمسينات والستينات أظهرت مقدرة العالم على الاستثمار البناء لإحداث نمو اقتصادى سريع.

فقد أتاحت التكنولوجيا الفرص والموارد والإمكانيات الجديدة التى تجعلنا نرفض جميع الأسباب الطبيعية أو الأسباب التقنيه التى توجب وتحتم الفقر على البشر.

فالبشر فى العالم اليوم يمتلكون التكنولوجيا والموارد اللازمة لتوفير الغذاء والكساء والمساكن والتعليم والصحة لكل إنسان فى العالم. علاوة على ذلك فإنه بدخولنا القرن الحادى والعشرين، سوف يعبر العالم عتبة ثورة صناعية جديدة أو عالم ما بعد الصناعة، وهذه الثورة سوف تزود العالم بقفزة هائلة فى قدراته الانتاجية اعتمادا على الكومبيوتر والذكاء الاصطناعى كبديل للعقل البشرى فى انتاج السلع والخدمات. فالتقدم السريع جدا فى تكنولوجيا المعلومات وصناعة الكمبيوترات الرخيصة، والمواد الخام البديلة والجديدة سوف تمكن وتسهل من إنتاج السلع والخدمات الحياتية الكافية لكل البشرية، والتى يمكن أن تمحو تماما من أجندة هموم الانسانية مصطلحات مثل الفقر والفاقة والعوز.

حتى الآن يبدو أن التقدم ضئيل جدا فى الجهود المبذولة للقضاء على الفقر فى العالم، بل إن الأمل فى تحقيق ذلك ضعيف للغاية، فدول قليلة جدا اقتربت من الازدهار والرخاء الاقتصادى، وفيما عدا مقاطعات صغيرة جدا فى العالم مثل إمارة موناكو Monaco ومقاطعة Liechtenstein ليشتشتين، فأن الفقر موجود فى العالم كله، ومنتشر علي المستوى الاجتماعى فى كل دولة فى العالم، حتى فى الدول الصناعية المتقدمة الغنية، الفقر فيها واقع فعلى ينمو ويتزايد، فالفقر فى العالم أكثر من أى وقت فى تاريخ البشرية.

فلماذا لا يزال الناس فقراء؟

ما هو الخطأ فى النظام الاقتصادى القديم وفى النظام الاقتصادى الجديد؟!.

لماذا لا تستطيع التكنولوجيا الجديدة أن تزيل الفاقة من على وجه الأرض، وتعطى لكل فرد حياة كريمة ومحترمة؟!.

لماذا لا يستخدم العالم ما يملكه لانتاج ما يحتاجه؟! لماذا لا يجد الناس أعمالا، رغم أن هناك الكثير من العمل الذى يحتاجه العالم؟

لماذا تجوع الناس بينما هناك مزارعون مدعمون لا ينتجون حبوبا كافية؟

لماذا يتشرد الناس فى الشوارع بلا مأوى بينما يوجد ملايين من عمال البناء بلا عمل؟ لماذا ملايين الجهلة والأميون بينما المعلمون لا يجدون فرصة عمل؟

لماذا؟ ولماذا؟.

هناك بالطبع العديد من الأسباب التى تجعل الناس فقراء، فالاعداد للحروب يحول مخرجات عمليات الإنتاج المختلفة إلى وسائل تدمير. والجهل والأمراض وإدمان المخدرات، والنقص فى مهارات العمل، وانهيار اخلاقيات العمل كلها أسباب تجعل الناس غير منتجين عاطلين، علاوة على نقص رؤوس الأموال للاستثمار .ونقص المواد الخام تعوق نمو معدلات الانتاج. حتى فى أوقات السلام التى تسود العالم أحيانا ويكون الناس فيها أكثر صحة وتعليما واكتسابا لمهارات العمل، وأكثر دافعية لإنجاز أعمالهم حيث الكثير من المواد الخام ورؤوس الأموال، نجد الفقر يقاوم كل ذلك وينتصر وينتشر لبطء وضعف النمو الاقتصادى.

والزيادة البطيئة فى النمو الاقتصادى لا تشبع ملايين الفقراء الذين يتزايدون بنسبة أكبر من النمو الحادث. وآليات إعادة توزيع الثروة الموجودة فى العالم لا تستطيع أن تحل مشكلة الفقر، على الأقل لا تستطيع ذلك فى المجتمعات الديمقراطية ذات الضمانات الدستورية لحقوق الملكية الفردية. **فالنمو الاقتصادى القوى والسريع فقط هو الوسيلة الأكثر احتمالا فى مواجهة مشكلة الفقر،** فمثلا للحد من الفقر بدون السياسات الراديكالية فى إعادة توزيع الثروة يتطلب ذلك من بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية مضاعفة إجمالى انتاجها القومى أربعة أمثاله، وإذا كان معدل النمو السنوى الأمريكى فى العقدين الأخرين يدور حول ٢٪ فالأمر يتطلب ٣٥ عاما لمضاعفته، وحوالى ٧٥ عاما ليصبح أربعة أمثاله. فالمجتمعات الصناعية المتقدمة تعانى فى السنوات الأربع الماضية من بطء شديد فى معدلات نموها الاقتصادى ،على الرغم من إنتهاء الحرب الباردة، وتراجع انفاق العالم على الدفاع. ويتوقع العديد من الاقتصاديين استمرار النمو الاقتصادى البطئ فى دول العالم المتقدم فى المستقبل المنظور. هذا يعنى أنه لا شئ يمكن عمله لزيادة سريعة فى النمو الاقتصادى، فالفقر فى أمريكا وفى بقية دول العالم سيبقى سوطا على رقاب العباد على الأقل لمدة جيلين من البشر اذا استمرت الأوضاع كما هى.

ومشكلة الفقر ليست فى نقص القوى العاملة، فالملايين من العمال الماهرين والقادرين يعانون بطالة شديدة ويبحثون عن عمل، ففى جميع أنحاء العالم حتى فى الدول المتقدمة ينتشر العاطلون والمهاجرون اليائسون الباحثون عن فرصة عمل، وتفيض بهم حدود الدول وهم يتنقلون بحثا عن وظيفة. فالعالم يفيض بالايدى العاملة العاطلة التى يمكن تستخدم لزيادة إنتاج العالم من السلع والخدمات لصالح الانسانية.

والمشكلة ليست فى نقص رؤوس الأموال، فالبنوك تمتلئ بالنقود وترغب بشدة فى إقراضها واستثمارها، فالبنوك المركزية فى العالم تستطيع بتخفيض بسيط فى فوائدها أن توفر فيضاً من الأموال للاستثمار. ومشكلة الفقر ليست فى نقص المواد الخام، فرغم وجود نقص نسبى فى بعض المواد فإن النمو الاقتصادى البطئ فى دول العالم يساعد على عدم زيادة النقص فى المواد الخام فهناك ملايين الآلآت الحديدية العاطلة عن العمل، ليس بسبب نقص خام الحديد. ولكن لأن هناك إنتاج من الصلب أكثر من الطلب. فشركات الكمبيوتر والاليكترونيات والملابس والسيارات تخسر الأسواق وتنخفض أسهمها وتفصل عمالها، ليس بسبب نقص المواد الخام، لكن بسبب النقص فى أعداد المشترين، والمنافسة الأجنبية الشديدة، لدرجة أن هناك فى الولايات المتحدة الأمريكية مزارعون يدفعون لكى لا ينتجون الطعام الذى يفيض منهم ويتبقى منه الكثير ولا يجدون من يشترى منهم.

والمشكلة ليست فى نقص الطاقة، فسعر النفط تقريبا ثابت أو يقل باستمرار رغم جهود احتكار النفط بتحديد إنتاجه. بل أن هناك الآن بدايات وان كانت صعبة فى انتاج طاقة وفيرة مستخرجة من الطاقة الشمسية، وهى طاقة رخيصة ذات استثمارات ناجحة، والتقدم العلمى فى تكنولوجيات الاندماج فى وقت مبكرمن هذا القرن يبشر بانتاج طاقة غير محدودة ونظيفة بيئيا، طاقة آمنه بدون تلويث البيئة.

والمشكلة ليست فى نقص العمل الذى يحتاج العالم القيام به، فالعالم يفيض بالناس الذين يحتاجون الطعام والمسكن والملبس والتعليم والرعاية الصحية والصرف الصحى والبيئة النظيفة، فهناك الكثيرمن الاعمال التى ينتظرالعالم أن يتم إنجازه أو يتم إعادة بنائها وتحسينها.

ورغم كل ما يحتاجه العالم من أعمال فالغريب والعجيب أن كل تلك الاحتياجات لا تخلق فرصة للعمل لاستيعاب ملايين العاطلين، فالمنطق يقول إن كل هذه الاحتياجات التى يحتاج لفعلها العالم من مسكن وغذاء، وصحة وتعليم وبيئة لابد أن تخلق فرص عمل للعاطلين وتختفى تماما البطالة من على وجه الأرض. لكن الوظائف لا تخلقها الاحتياجات فقط بل تخلق الوظائف

بواسطة أصحاب الأعمال القادرين على دفع أجور عمالهم فكمية العمل التى يحتاجها العالم لإشباع احتياجاته ليس لها حدود، ولكنها تتناسب مع عدد العمال المخصص للقيام بها، وعدد العمال يتناسب مع السيولة النقدية المتوفرة للاستثمار والقادرةعلى دفع أجورهم.

باختصار مشكلة الفقر ليست فى نقص العمالة أو نقص كمية العمل المطلوبة أو فى نقص المواد الخام أو نقص رؤوس الأموال أو الطاقة. **إذن لماذا يصر الفقر على التواجد والانتشار فى العالم وزيادة معدلاته؟!.**

من السخرية الشديدة أن تكون الاجابة أنه يحتمل أن تكون السياسات الاقتصادية نفسها لا تستهدف فى خططها القضاء على الفقر. فعلى مستوى الواقع الفعلى فى كل دولة فى العالم نجد دائما سياساتها الاقتصادية مهما اختلفت ايديولوجيتها تخدم وتحافظ فى حقيقة الأمر بشكل أو بآخر على دوام احتكار الثروة والمكانة فى يد هؤلاء المالكين لها فعلاً، وعلى أقل تقدير تعمل تلك السياسات بشكل أو بآخر على إيجاد شرعية لكى يستمر الذين يفتقدون الثروة والمكانة كما هم والان. وانطلاقا من روح السماحة والرحمة حاولت كل دولة بصدق تحسين حالة مجموع الفقراء لديها، إلا أنه من النادر فى أى دولة فى العالم أن تجعل هدف إزالة الفقر من ضمن أهدافها العليا ذات الاولوية فى سياستها الاقتصادية.

ويميل اغلبية البشر إلى السعى إلى أن يكونوا اعضاء ناجحين فى الطبقة المتوسطة، أما هؤلاء القلة التى تملك وتتحكم وتسيطر على معظم الثروة عادة ما يكونون قادرين على التأثير فى صياغة السياسات الاقتصادية لصالحهم وهم كطبقة يعملون بشدة على تثبيت وتعميق مصالحهم والمحافظة على مزاياهم الاقتصادية.

وإذا قرأنا تاريخ البشرية بتفاؤل سوف نلاحظ الكثير من المحاولات التى بذلت لتنمية فلسفات وسياسات وصياغات اقتصادية توفر السلع والخدمات لكل البشر فنجد مثلا السير **توماس مور Sir Thomas More وآدم سميث Adam Smith وجون ستيورات ميل Jon Sturat Mill، وكارل ماركس Karl Marx** كلهم طرحوا نظريات اقتصادية تسعى من أجل تحقيق الرفاهية العامة لجميع البشر. وفى العصر الحديث سعى اقتصاديون مثل **كينز Keynes وجايلبريث Gaibraith وفريدمان Friedman ودينسيون Dennison وسولو solow وثرو Thurow** وغيرهم من الاقتصاديين إلى طرح فلسفات ونظريات اقتصادية تسعى إلى تحقيق الازدها ر الاقتصادى والرفاهية للعالم.

وإذا كانت الشيوعية حاولت القضاء على الفقر بأن تأخذ من كل شخص وفقا لقدراته وتعطى لكل شخص وفقا لحاجاته، والرأسمالية حاولت القضاء على الفقر بتحقيق الازدهار الاقتصادى والرفاهية معتمدة على استغلال الكفاءات المختلفة فى سوق حرة تنافسية. فقد فشلت الأ ولى وزاد الفقر فى الثانية.

والسؤال الآن لماذا كل الفلسفات والنظريات والمداخل والمناهج الاقتصادية فشلت فى تحقيق النمو الاقتصادى؟! لماذا هناك ملايين العاطلين؟ وما زال هناك فقراء بالملايين؟ ولماذا ينتشر ويسيطر الفقر على العالم؟ ما هو الخطأ فى كل تلك السياسات والفلسفات الاقتصادية السابقة والحالية، فكلها فشلت فى تحقيق الازدهار والرخاء الاقتصادى والأمان للعالم والرفاهية للبشر؟ ما الذى يمكن أن يفعله العالم ؟! وما الجديد الذى يمكن أن يفعل ويعمل ولم يفعله أو يعمله العالم من قبل للقضاء على الفقر؟!! وهل العالم كله يحتاج إلى عقد اجتماعى جديد بين كل حكومة ومواطنيها يقوم على احترام حقوق البشر فى ولادة أطفال تحت اشراف صحى، وفى رعاية صحية فى متناول اليد، وفى فضاء واتساع أو مساحة معيشية آمنة ومأمونة، فى غذاء كاف وتعليم جيد وحياة اقتصادية منتجة، فى تأمين ضد البطالة، وفى حياة كريمة لكبار السن، وفى مدفن لائق فى نهاية العمر؟!!.

الأمراء ..والعبيد

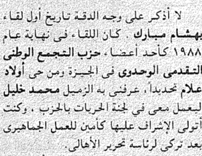
فى جريدة **الأهرام المحافظة** جدا نشر يوم السبت ٢٧ ديسمبر عن **حادث الاعتداء على طبيب مصرى أثناء عمله بأحدى مستشفيات الكويت**، وقد تعرض للضرب مرتين من جانب مواطنين كويتيين داخل المستشفى، وتهشمت عظامه مما استدعى تركيب مسامير بلاتينية قد تستمر طوال حياته، وقد تواطأ موظفو المستشفى فى إنكار معرفتهم للجناة، وقبل ذلك فى أهرام يوم الاثنين٢٢-١٢-١٩٩٧ نشر على لسان السفير المصرى فى **قطر أن السلطات هناك تواصل عمليات ترحيل العمالة المصرية دون سبب**، وتتمادى فى تصرفاتها العصبية تجاه العمالة المصرية دون جميع الجنسيات داخل **قطر**، وفى نفس الأهرام يوم ٢٢-١٢ فى صفحة الحوادث نشرت **حادثة اعتداء حارس شخصى لأمير عربى على مخرج تليفزيون وطالب جامعى بالضرب** وأصابهما بكدمات وكسور وسحجات، لاعتراضهما على إغلاقه أحد الشوارع بسيارته بالمعادى، والقى القبض على الحارس الأجنبى للأمير العربى، وأمرت النيابة باخلاء سبيله بكفالة ٢٠٠٠ جنيه، وعرفنا بعد ذلك من جرائد أخرى أن الحارس أمريكى الجنسية والأمير سعودى.

ولن نعلق على تلك الأحداث حتى لا نتهم بتعكير وتصديع الجبهة العربية، أو نتهم بالشوفينية أو العداء للقومية العربية والوحدة العربية، ولكنى أسألكم الآن ما رأيكم هل نحن نلح فى الحديث عن هذا الموضوع أم أن حوادث الاعتداء على المصريين فى الداخل والخارج من قبل بعض الخليجيين وحراس بعض الأمراء زادت عن الحد وأصبحت ظاهرة وأمراً واقعاً وليست حوادث فردية؟! حيث ترصد جريدة الدستور فى عددها ٣١-١٢-١٩٩٧ حوالى ألف حالة تحرش وأعتداء على المواطنين المصريين من حراس الأمراء والسفراء ورجال الأعمال، وأن الحارس الأمريكى للأمير السعودى ويدعى تركى بن عبد العزيز سبق أن رحلته الداخلية المصرية فى واقعة سابقة أعتدى فيها هذا الحارس على مصرى وكسر عظامه أمام فندق سميراميس، وعاد إلى مصر رغم أنف الحكومة وكرر اعتداءه على مواطنين مصريين، ورغم كل ذلك تجد بعض الصحف مثل **جريدة الاسبوع** يوم الاثنين ٢٩-١٢-١٩٩٧ يحاول رئيس تحريرها أن يخفف من الحادث لصالح هذا الأمير.

ونستطيع أن نقول أن المشكلة ليست فى حراس الأمراء العرب المقيمين فى القاهرة لأنهم ينفذون أوامر أسيادهم، بل المشكلة فى بعض هؤلاء العرب سواء أمراء أو خفراء الذين يتصور لهم أن مصر سداح مداح يفعلون بها كما يشاءون، لذلك يجب مقابلة تلك الحوادث بحسم شديد من الدولة حتى لا نكون وطنا للعبيد تحكمه حكومة ذليلة تابعة لأهواء الأمراء على حساب الوطن، فلا يكتفى بالغرامة المالية أو حتى بترحيل الحارس الأجنبى عن البلاد كعقاب بل يجب ترحيل الأمير نفسه الذى يعمل عنده هذا الحارس مهما كان مركزه. وقتها فقط لن تتكرر تلك الحوادث.

الايكفيهم ان فقه البداوة النفطية مزق عقل مصر، والآن يتجهون نحو ما تبقى من أجسادنا.

رحيل هشام مبارك بعد أن تعب قلبه من هموم الوطن وناسه



حسين عبد الرازق

لا أذكر على وجه الدقة تاريخ أول لقاء **بهشام مبارك** . كان اللقاء فى نهاية عام ١٩٨٨ كأحد أعضاء **حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** فى الجيزة ومن حى **أولاد علام** تحديداً، عرفنى به الزميل **محمد خليل** ليعمل معى في لجنة الحريات بالحزب ، وكنت أتولى الإشراف عليها كأمين للعمل الجماهيرى بعد تركى لرئاسة تحرير الأهالى.

كانت اللجنة فى هذا الوقت من أكثر لجان التجمع نشاطا في توفير الدفاع ورعاية المسجونين السياسيين ، وتضم فى عضويتها عدداً من الشباب أذكر منهم **أمينة النقاش ، محمد سعيد، سيد أبو زيد، حازم منير** .. وآخرين. وتعددت لقاءاتنا أسبوعيا . كل ما كنت أعرفه عنه فى ذلك الحين أنه ابن لاحد الفصائل الماركسية المصرية، ينتمى لاحد أحياء مدينة الجيزة الفقيرة من حيث النشأة (**أولاد علام**) أمدت الحركة اليسارية المصرية بكثير من كوادرها الشابة اللامعة. **ولفت نظرى هدؤه الشديد وقلة كلامه وانخفاض صوته مهما كان الحوار ساخنا ومحتدماً.**

وبعد أقل من عام- عقب اعتصام عمال الحديد واقتحام الشرطة للمصانع واعتقال وتعذيب بعض قادة الاعتصام -اعتقل« **هشام مبارك**»، مع عدد من الكتاب والصحفيين منهم« **مدحت الزاهد**،ود. **محمد السيد سعيد**».. وتعرضوا بدورهم للتعذيب.

وبعد الافراج عنه انغمس هشام فى العمل فى المنظمة المصرية لحقوق الإنسان ولم أعد أراه كثيرا ، وإن ظل الود والتقدير متواصلاً بيننا.

ومع صدور مجلة« **اليسار**» في مارس ١٩٩٠ ، وتصاعد ظاهرة التعذيب فى مصر مرة أخرى ، بدأ **هشام مبارك** يكتب **لليسار** كاشفا عن جانبا آخر من شخصيته . كان أول مقال له فى العدد الثالث(مايو ١٩٩٠) تحت عنوان« **تلاميذ زكى بدر يملأون أقسام الشرطة**» . وتواصلت دراساته فى اليسار حول ظاهرة التعذيب وحول جماعات الاسلام السياسى ، لتكشف عن قدرات باحث جاد موضوعى . ثم ازدادت علاقتنا توثقا من خلال الاهتمام المشترك بقضايا الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان.. أنا من موقعى الحزبى والصحفى ،وهو من موقعه في **المنظمة المصرية لحقوق الإنسان**، ثم فى **مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان** الذى أسسه **هشام** عام ١٩٩٤ ليلعب دورا بالغ التميز فى حركة حقوق الإنسان فى مصر ، وليدعونى مع عدد من رجال القانون والسياسة والصحافة والفكر المهتمين بحقوق الإنسان أمثال «**نبيل الهلالى وعادل عيد والسيد يسن ود. مصطفى كامل السيد**» للمشاركة فى مجلس أمناء المركز.

وكم كانت سعادتى عندما فوجئت ذات يوم بـ« **لميس النقاش** » تبلغنى أنها ستتزوج **هشام مبارك** . وهكذا أصبحت علاقتنا تتراوح بين العمل معا فى المركز ، والاهتمام المشترك بقضايا حقوق الانسان ، وعلاقة النسب.. **لأكتشف جوانب جديدة فى شخصية هشام المنحاز دوما للفقراء والمظلومين والمستضعفين.** كان من أبرزها كم القلق الداخلى والتوتر والحساسية والتواضع والهرب بعيدا عن الاضواء.

كان هشام مهموما بقضايا الوطن وناسه ، يؤرقه حلم أن يسود العدل وأن لا يحرم إنسان من حقوقه الاساسية فى الحرية والكرامة ولقمة العيش . وفى أحيان كثيرة كنت أشعر أنه لا توجد له حياة خاصة، فقد وهب نفسه بالكامل للعمل العام . ومارس هذا العمل باستقامة ووضوح وشرف جعله يغرق فى بحار من الالم المكتوم عندما فوجئ بالبعض- وأحيانا من رفاق الطريق- يسعى لتعطيل أعمال كبيرة والنيل منها من أجل أشياء شخصية صغيرة. ولكنه كان ينجح فى النهاية فى تجاوز هذه العقبات والاستمرار فى العمل ، وان لم ينجح أبدا فى الخلاص من هذا الالم الداخلى الدفين.

وعندما أعود بالذاكرة إلى بعض الادوار الهامة التى لعبها **هشام مبارك** من خلال قيادته الديمقراطية **لمركز المساعدة القانونية** أجدنى أتوقف أمام ثلاث معارك رئيسية.

** **معركة قانون اغتيال حرية الصحافة (٩٣ لسنة ١٩٩٥)**. فبعد صدور القانون الجريمة فى يوم الأحد ٢٨ مايو ١٩٩٥ بأربعة أيام ، كان المركز قد انتهى من اعداد أول دراسة نقدية للقانون، وقام بطبعها وتوزيعها فى المؤتمر الذى عقد بنقابة الصحفيين مساء الخميس أول يونيه ١٩٩٥.

ومع تصاعد المواجهة والاحساس بالحاجة لإعداد مشروع قانون بديل لكل التشريعات المقيدة لحرية الصحافة ، نظم مركز المساعدة القانونية ورشة عمل، شارك فيها عدد من فقهاء القانون والصحفيين وأساتذة الاعلام، انتهت باعداد «مشروع قانون بشأن **حرية الصحافة والصحفيين**» صدر فى كتاب تحت اسم «**معركة حرية الصحافة**».

وكانت أعمال الورشة والمشروع خير عون للصحفيين فى مؤتمرهم الرابع ، وفى إعداد مشروع القانون الذى أعدته نقابة الصحفيين وتقدمت به فى مواجهة القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥.



زياد هشام مبارك.. ووالدته ليس

** **معركة الدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد والتصدى للموجة الظلامية** ، وساهم المركز فيها مع جموع المثقفين باصدار مجموعة من الدراسات تواجه الهجمة الشرسة ضد. **د. نصر حامد أبو زيد والمفكرين المجتهدين** ،وقضايا الحسبة ضد المفكرين والمبدعين ، أثمرت عنتكوين «**اللجنة المصرية للدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد** وإصدار مجلة «**حرية**».

** **معركة التصدى للقوانين والتشريعات المناهضة للدستور وحقوق الإنسان** .. مثل مشروع قانون العمل الجديد ، قانون الاحزاب ، المحاكمات العسكرية .. والدراسة المتميزة لاحكام المحكمة الدستورية والعليا.

وقبل هذا كله الاف القضايا التى رفعها المركز للعمال والنساء، ولكل من انتهكت حريته ولجأ المركز ليوفر له الدفاع القانونى المجانى.

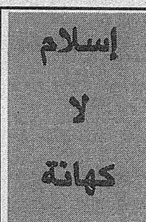
وكم كان ملفتا أن يمتد نشاط المركز بسرعة من القاهرة إلى الاسكندرية ثم أسوان ، وأن يحرص هشام منذ اليوم الأول على الشفافية ونشرميزانية المركز ومصادر التمويل فى سابقة هى الأولى من نوعها.

ورغم هذا الجهد الخارق الذى قام به هشام والمجموعة الصغيرة المخلصة المضحية التى تعمل معه خلال هذه السنوات الثلاث، فقد واصل البحث والدراسة فأصدر كتابه الهام« **الارهابيون قادمون**» عام ١٩٩٥ ، وسافر إلى لندن خلال العام الماضى لمدة شهرين استعدادا لاستكمال الدراسات العليا وإعداد رسالة حول «**جماعات الاسلام السياسى من منظور حقوق الإنسان**».

ولكن قلبه الجسور لم يستطع أن يتحمل كل هذه المسئوليات التى ألزم هشام نفسه بها . اتعبته هموم الوطن وآلام الناس ، وقسوة البعض الذى لم يكف عن تشويه كل عمل جميل . فرحل عنا هذا الانسان الجميل فجأة مساء الاثنين ١٢ يناير ١٩٩٨ ، تاركا فى قلب كل منا الما وحزنا ،وفى عيوننا دموعا لا تجف.



هشام مبارك
و
رجاء النقاش
فى
سهرة عائلية



يا أهل مصر المحروسة ابشروا السلطة الدينية فى الطريق إليكم

خليل عبد الكريم

إن يقبل دعوة الانيقات المترفات العطرات عضوات نوادى الليونز والروتارى وينأى بجانبه عن نسوان حوارى الجمالية التفلات(اللاتى لم يعرف البارفان طريقه إلي اجسامهن الخشنة) ذوات الايدى المجلة(غطتها البثور لكشرة الكد والكدح) والارجل القشفة (تقول العامة فى مصر مقشفة) فهذا لهم نسال الله أن يغفره له، وان يحول المعهد الدينى العتيق المشهور اعلاميا بـ الازهر إلي خزانة تتلقى الصدقات والزكوات ليأخذ هو وخشد اسينه ثمن(٨/١) الحصيلة التى تعد بمئات الملايين باعتبار انهم من(العاملين عليها) فهذا اجتهاد خاطئ ندعو الله أن يهديه لقوم منه وان يخضع لضغوط النظام الحاكم(حتى لا يفقد البلهنية التى يتمرغ فى حناياها ويعوم فى بحارها) ويقابل الحاخام الأكبر للكيان الصهيونى فالله حسيبه.

أما أن يعلن صراحة وبدون مواربة أن في مصر المحروسة «سلطة دينية» (جريدة الاهرام ٩٧/١/٢) فهذا كما كانت تقول عنه العربة المستعربة : لا مترك له- أى لا يجوز ولا يصح أن يترك.

بهذا التصريح الذى نعده اخطر ما صدر عنه يكون شيخ الازهر محمد سيد طنطاوى قد انفلت عياره وجاوز حده وتخطى مقامه وتعدى قدره ولم يعد يحسب حسابا لأى شخص أو أى شئ ولا يلتزم بأى قيد حتى دستور الدولة، الذى عدد ثلاث سلطات حصراً وتحديداً التشريعية والتنفيذية والقضائية فاذا بفضيلة الصاحب أو صاحب الفضيلة يقول بسلطة رابعة هى السلطة الدينية.

ولا يمكن أن يرد على ذلك أنها زلة لسان فبدلاً من أن يقول المؤسسة الدينية قال: (السلطة الدينية).

وهذا امر وارد لا نستبعده بشرط أن يصدر من الشيخ ذاته تصحيح لمقولته الفلوت -بيد أن ظاهر الامر أن هناك قصد وتصميم والتبعة فى ذلك علي حكومة الحزب الوطنى فنظرا لرخاوتها وهشاشتها وهزالها وافتقارها إلي القاعدة الشعبية يمت شطر المؤسسة الدينية علها تجد لها فيها دعامة.

وكما يحدث دائما علي طول التاريخ وفى كل الاديان اغدقت عليها المنح والعطايا والرواتب والبدلات .. الخ وفتح ذلك شهية المؤسسة لمزيد من النعيم والرفاهية فحدثتها نفسها : لم لا اتحول إلى سلطة وما الذى ينقصنى لأغدو كذلك؟.

ومن هذا المنطلق أعلن رئيس شئون التقديس انهم لم يعودوا مؤسة انما هم سلطة وهذه هى الطامة والواقعة والغاشية والحالقة وقاصمة الظهر لأن معنى ذلك انها ستكون المرجعية العليا فى كل الشئون كبيرها وصغيرها من إصدار القوانين مروراً بتأليف الكتب وابداع المبدعين وانتهاء بدخول الخلاء (دورة المياه أو التواليت)

وهكذا ينهار فى لحظة واحدة الكفاح الذى استمر ما يقرب من مائتى عام(من عهد محمد على) والذى شارك فيه شيوخ من الازهر ذاته مثل **حسن العطار ورفاعة رافع الطهطاوى** لتحديث مصر وتمدينها(جعلها دولة مدنية) لترجع القهقرى وتتحول إلى **مشيخية يتحكم فيها أصحاب العمائم وتحدد لها خطوات سيرها (مسطورات) مضى عليها أربعة عشر قرناً؟.**

وتكون الكلمة العليا والأولى والأخيرة لرجل الدين خاصة وأن الشيخ لافض فوه وانقمع حاسدوه وانقهر شانئوه ذكر فى الحديث أن فى الاسلام كما فى اليهودية رجل دين...

ورجل الدين ما هو إلا جهاز تسجيل (ريكودر) لمجموعة من المحفوظات والمأثورات والمصمومات والمرويات والمنقولات والمكرورات والمعادات.

ومن لديه ذرة من شك فليستمع إلى خطبهم في المذياع أو التلفاز يجد انها عبارة عن قطار أو قافلة من النصوص يفرغ من نص ليبدأ فى ترديد الاخر إلى أن تنتهى الخطبة العصماء.. ليس فيها رأى أو عقل أو دراية.

وعندما تهيمن هذه النوعية من البشر على مقدرات دولة فقل عليها السلام..

وبعد

فلقد تعودت أن تلقى تحذيراتى الاستخفاف والاستهانة وأن يقابلها الرفاق اليساريون والمستقبليون والمستنيرون والعلمانيون والليبراليون والناصريون (وجمال واخوانه الف سلام) بانها نوع من المبالغة- وهذا هو شان الغافلين -مع تقديرى لهم جميعا- الذين يسدرون فى غفلتهم حتى يصبحوا ذات يوم ويجدوا أنفسهم وجها لوجه مع ما كان يحذرهم منه أمثالى من الناصحين.

ولما كان الأمر لا يقف عند حدودهم بل هو يمس مستقبل مصر المحروسة ومن ثم تغدو الاستهانة به (خيبة بـ الويبة).

اللهم أنى قد بلغت اللهم فاشهد.



كل الطرق التى يسلكها رئيس الحكومة الاسرائيلية في معالجته قضية السلام ، تؤدى إلى صدام .. وربما انفجار فى الأراضى الفلسطينية . هناك من يسميه «انتفاضة ثانية» .وهناك من يقول إنه أخطر من انتفاضة . ومع ذلك، ورغم التحذيرات العديدة حتى من داخل الجيش الاسرائيلى ، فان نتنياهو ماض فى طريقه فلماذا ؟ هل هو غير مقتنع بان انفجاراً سيقع؟ أم أنه يريد هذا الانفجار؟.

هل نتنياهو معنى بانتفاضة فلسطينية؟!

فى أواسط الشهر الماضى ، عشية سفر رئيس الحكومة الاسرائيلية ،**بنيامين نتنياهو** ، إلى واشنطن للقاء الرئيس **بيل كلينتون** ، كشف النقاب عن خطط عسكرية لدى الجيش الاسرائيلى من جهة والقيادة الفلسطينية من جهة ثانية، تفصل كل منها سبل المواجهة العسكرية الشاملة بين الطرفين. المراقب من بعيد ، يصاب بالذهول وهو يراجع هذه الخطط ، ويربط بين اعدادها ومدى جديتها وضخامتها وبين واقع الحديث عن عملية السلام .. ولقاءات فى البيت الأبيض باشتراك **نتنياهو** والرئيس الفلسطينى **ياسر عرفات.**

لكن هذه المفارقة ، تعبر عن الواقع الذى تعيشه المنطقة وشعوبها . فالطريق إلى السلام مفروشة بالالغام وكل خطوة فيها إلى الأمام أو إلى الخلف ، تحمل أخطاء حقيقية للانفجار. وحتى عندما نكتب هذه الكلمات قبل إجراء اللقاءات فى واشنطن ، فإننا لا نغامر اذ نقول ان نتائج تلك اللقاءات لن تغير كثيرا فى هذه التقديرات ، اللهم الا إذا حدثت معجزة **ونتنياهو** في واشنطن لم يعد **نتنياهو** الذى نعرفه.

فالقضية لم تعد قضية الحل الجذرى الدائم. ولم تعد قضية تطبيق اتفاقات أوسلو المرحلية التى رفضها نتنياهو وحزبه في حينه ، وقبلها على مضض عشية الانتخابات.**انما أصبحت القضية، بقدرة قادر، قضية تطبيق بند واحد فقط من بنود الاتفاقية الثانوية(اتفاقية الخليل) التى وقعت عليها حكومة نتنياهو نفسها، وهو بند الانسحاب الثانى من الضفة الغربية** (وهناك انسحاب أول لم يتم بسبب الموقف الاسرائيلى وهناك انسحاب ثالث تشترط اسرائيل من الآن ان لا يتم حتى تنفذ انسحابها الثانى.

والفلسطينيون ، شعبا وقيادة وتنظيمات وفصائل ومعارضة بشتى لون : إذا كان تنفيذ بند صغير كهذا يحتاج كل هذا الوقت وهذه المماحكات، فمتى تنفذ البنود الباقية فى الاتفاقيات؟.

وإسرائيل تجيب: سنوات طويلة.

وخلال هذه السنوات ، لا تبدو هناك أجواء سلام حقيقى بين الشعبين . بل إن التوتر يزيد ويتفاقم بين الطرفين على جميع الأصعدة . ويعيش الفلسطينيون هذه السنين في ظروف قاسية. **ازمة اقتصادية متواصلة حصار خانق اتساع البطالة (بمعدل ٤٥٪ فى** قطاع غزة و٢٨٪ في الضفة الغربية) . استعلاء إسرائيلى على كافة المستويات وشبه اذلال ، ليس فقط على الحواجز العسكرية بل فى العلاقة مع القيادات الرسمية أيضا . وفرض للأمر الواقع بتوسيع المستوطنات اليهودية الاستعمارية والسيطرة على الأرض وتهويد مدينة القدس وقطع كل اتصال سكانى لقسمها الشرقى مع البلدان الفلسطينية المحيطة بها.

ومع كل اجراء إسرائيلى جديد فى هذه السياق ، يتعاظم الغضب الفلسطينى ويتصاعد التوتر. وأصبحت المنطقة كأنها تعيش على فوهة بركان يغلى . والمناطق الفلسطينية كأنها فوق برميل بارود ، قد يشتعل فى كل لحظة ،مع اندلاع أول شرارة.

إسرائيل ، من جهتها ، تقرأ هذه الخارطة جيدا .**وقيادات الجيش والمخابرات والشرطة تتحدث بوضوح عن احتمال اندلاع انتفاضة فلسطينية جديدة ،ويقولون إن أحدا لا يعرف** كيف ستنفجر هذه الانتفاضة واية وسائل تستخدم ولذلك اعدوا خططا عسكرية لمواجهة كل احتمال . والخطط المعروفة ثلاث، هى:

-**«صيف هندى»** وهى المعدة لمواجهة انتفاضة شعبية شبيهة بانتفاضة الثمانينات ، وتقضى بتطويق المدن الفلسطينية من الخارج وقمع كل محاولة فلسطينية لاختراق الطوق وهذه الخطة تمتنع عن دخول المدن الفلسطينية المحررة أو قطاع غزة ، لكنها تشمل على اشراك طائرات مروحية من الجو «لمعالجة مشاكل عينية محدودة».

-«**فولاذ حار**» : وهى التى «تعالج» معارك في مناطق جغرافية محددة ، مثل مدينة معينة أو بلدة صغيرة أو تواجه عملية سيطرة فلسطينية على مستوطنة يهودية أو على باص اسرائيلى . وتتركز هذه الخطة بالاساس على حماية المستوطنات.

-«**حقل الاشواك**» : وهذه خطة عسكرية شاملة لإعادة احتلال المدن الفلسطينية بالمدرعات والدبابات والطائرات.

الفلسطينيون من جهتهم يقرأون هذه الخطط ولا يجلسون مكتوفى الايدى . هم أيضا يعدون الخطط العسكرية لمواجهة تلك الاحتمالات . وهم أيضا يجرون المناورات العسكرية اللازمة وحسب تقرير للمخابرات الاسرائيلية فانهم قد بدأوا في زراعة حقول ألغام حول المدن الفلسطينية وأقاموا مطبات لغمية لمواجهة احتمال دخول دبابات إسرائيلية إلى المدن ، فحفروا عشرات الحفر على مداخل المدن وفى بعض شوارعها الداخلية وملأوها بالمواد المتفجرة الجاهزة للتفجير بواسطة جهاز تحكم من بعد فى حالة الضرورة . وقاموا بشراء صواريخ مضادة للدبابات ويجرون التدريبات على حرب المدن، من أجل الاشتباك مع القوات الاسرائيلية فى حالة قدومها إلى المنطقة وجرها إلى مطبات فى الاحياء ،كما كانوا يفعلون خلال حرب لبنان.

وتقول المخابرات الاسرائيلية أن المواد المتفجرة والاسلحة تهرب إلى الأراضى الفلسطينية بعدة طرق ، ابرزها : بواسطة **انفاق تحت الأرض من سيناء المصرية إلى قطاع غزة أو بواسطة القوارب والزوارق البحرية (أيضا عن طريق مصر) ، وبشرائها من جنود وضباط اسرائيليين** . وقد كشف

نظير مجلى

رسالة حيفا

النقاب عن خلية تضم اربعة افراد ، بينهم ضابط يهودى فى جيش الاحتياط ومواطن عربى من اسرائيل (عرب ٤٨) قامت ببيع الغام إلى عناصر فلسطينية . وهذا ليس حادثا فرديا.

وفى حديث مع احدى الصحف الاسرائيلية (معريب١٦ / يناير / كانون الثانى ١٩٩٨) ، قال ضابط شرطة فلسطينى «ربما تستطيعون احتلال المدن الفلسطينية خلال خمس دقائق . فأنتم جيش كبير وقدير ومجرب . ولكن ستحتاجون إلى ٤٥ سنة حتى تخرجوا منها . ولن تخرجوا سالمين .ستدفعون ثمناً باهظاً جدا ، مثلما دفعتهم وما زلتم تدفعون فى لبنان».

وفى إسرائيل يعرفون هذا .ويقدرون ان إعادة احتلال المدن الفلسطينية تكلف مئات القتلى ، والوف الجرحى . وخلال الحديث عن تلك الخطط ، يجرى الاهتمام بأن «يقلص الثمن» . لكن أحد الجنرالات الاسرائيليين قال «للصحيفة نفسها : «مثل هذه العملية ستكلف ثمناً باهظاً ، حتى لو ابتدعنا انجح الطرق وأكثرها مفاجأة» وشكا من أن الحكومة لا تهتم بإعداد الجيش لهذه الوضعية.

إذن هنالك وعى عام فى إسرائيل للانفجار المتوقع وهناك خطط عسكرية جاهزة لمواجهته . فلماذا لا توجد خطط سياسية لمنعه؟.

من الصعب أن يتخيل المرء أن الحكومة الاسرائيلية تتصرف ازاء هذا الاحتمال بسذاجة . فهى تعرف الاخطار . وتعرف ان منع هذه الاخطار يكون فقط بتحريك العملية السلمية بقوة وبكل جدية وبشكل يقبله الفلسطينيون ويوافقون عليه.

من هنا ينشأ السؤال: **هل نتنياهو معنى بهذا الانفجار ؟ ما هى مصلحته فى ذلك؟.**

هذا السؤال طرحته لأول مرة بشكل صريح ، صحيفتان تصدران في إسرائيل ، فى مطلع يناير الماضى : صحيفة **«الاتحاد»** (الصحيفة اليومية الوحيدة التي تصدر فى إسرائيل باللغة العربية ، وهى صحيفة وطنية تقدمية معروفة . ولذلك طرحها السؤال لم يكن مفاجئا) . وصحيفة «معريب» ، التى جاء طرحها شجاعا ومفاجئا . وقد عادت هذه الصحيفة إلى السؤال نفسه مرة أخرى وبشكل أوضح فى ١٦ يناير : هل يريد نتنياهو الانفجار؟.

بالطبع ، لا يمكن الحديث عن فوائد أى انفجار لكن هناك من يرى ان **نتنياهو يفتش عن سبب خارجى ما يوحد صفوف اليمين من حوله ، واليمين ممزق اصلا وحتى وزراء نتنياهو لا يثقون فيه ، وفى الحروب ، عادة يرتفع فى اسرائيل شعار يقول:« اسرائيل عائلة واحدة فى مواجهة العدو».**

أسس واقعية لتحرك مشترك فى مواجهة خطة نتنياهو

حنا عميرة

رسالة القدس

ينطوى الحوار الداخلى حاليا فى اسرائيل **،حول مستقبل التسوية مع الفلسطينيين** على معالم أزمة داخلية عميقة ، ويشير إلى انحسار كبير في القدرة على المناورة ، لدى التحالف اليمينى الحاكم، وفى قدرته على فرض سياسته التوسعية، وان كان لا يزال يحاول تسجيل نقاط لصالحه ويقاتل معركته الأخيرة ، فى مجال الاستيطان وفرض الأمر الواقع ، على أمل أن ينجح ، فى الابقاء على مشروعه الاستراتيجى ، القائم على الاحتفاظ والسيطرة على ما يسميه « **أرض اسرائيل الكاملة**» ،هذا المشروع الذى بات ، غير قابل للتنفيذ.

فالوجود الفلسطينى الضارب عميقا فى هذه الأرض ، والوقائع العملية التى نشأت بفعل عملية التسوية ، وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية ، لم تعد مجرد عوامل طارئة ومؤقتة ، كما يرغب برؤيتها تحالف اليمين الحاكم فى إسرائيل ، ويمكن تجاوزها والتغلب عليها ،وإنما تحولت وبعكس ما يرغب ، إلى واقع سياسى معترف به ، ولابد من التعامل معه. وفى هذه النقطة بالتحديد تكمن أزمة المشروع الصهيونى ، الذى تمثله هذه الحكومة ، والذى اضطر للتراجع نصف خطوة إلى الخلف ، والانتقال ولو من الناحية المعلنة على الأقل ، من الصراع للسيطرة على كل الأرض باعتبارها أرض الآباء والاجداد ، إلى الصراع للاستحواذ على أكبر مساحة ممكنة من «الأرض التاريخية»!.

وبالتالى فان النجاح العسكرى للمشروع



الصهيوني ، في السيطرة على فلسطين من البحر إلى النهر ، لم يحسم المستقبل السياسي لهذه البلاد ، وفشلت مقولة أرض بلا شعب فشلا ذريعا فمجرد بقاء الشعب الفلسطيني على أرضه ، وصموده عليها ، وعدم استسلامه ، ونضاله المستمر والمتواصل ، من أجل إنجاز حقوقه الشرعية ، لا يزال يحتل ركنا أساسيا ، ويعتبر طرفا مركزيا في معادلة التسوية المقترحة ، وهذا ما لا تريد حكومة إسرائيل الحالية الاقرار به ، ولذلك فهي تناور لكسب بعض الوقت ، وتنتظر معجزة تأتيها ربما من السماء لإخراجها من أزمتها.

فالمظهر الأساسي لهذه الازمة يكمن في عدم قدرة حكومة الليكود لاسباب ايديولوجية أو امنية ، أو ذات صلة بطبيعة التحالف أو كل هذه العوامل مجتمعة، على التقدم إلى الأمام في مجال التسوية المعقودة ،أو التراجع إلى الخلف واعلان تنصلها الكامل من هذه التسوية، ولهذا فهي تكرس جهدها للبحث عن مبررات تتيح لها تجميد الأمور والتخلص من الاستحقاقات المترتبة عليها.

فاذا تقدم **نتنياهو** باتجاه تنفيذ اعادة الانتشار ، على سبيل المثال ، فانه سيغامر بخسارة الاكثرية البرلمانية لحكومته ، لان ثلث هذه الاكثرية على الأقل يعارض أي انسحاب إضافي للجيش الاسرائيلي ، حتى ولو من شبر واحد من أراضي الضفة ،كما أن التراجع بات أمرا غير ممكن ، وخاصة أمام المجتمع الدولي ، وبسبب الضغوط الداخلية والخارجية التي سيتعرض لها ولن يستطع مواجهتها بسهولة. أما تجميد الأمور على حالها الراهن ، وهو الخيار المتبقي ، فهذا ما قررت أن تلجأ اليه حكومة الليكود على ما يبدو ، وذلك على الرغم من صعوبة هذا الخيار وما ينطوي عليه من مخاطر واحتمالات ، لاسيما وان هذه الحكومة ، ليست اللاعب الوحيد، الذي يستطيع لوحده تقرير قواعد اللعبة الجارية!.

وباختصار ، ليس لدى هذه الحكومة ما تقدمه لعملية السلام ، وقد جاء الاعلان عن خارطة مصالح اسرائيل العسكرية في الضفة ، وبعد ذلك عن خارطة مصالحها الأمنية والاستراتيجية ، التي ستلتهم أكثر من ٦٥٪ من الأراضي الفلسطينية ، لتؤكد هذه الحقيقة ، ولتزيل ما تبقى من أوهام حول نواياها ومخططاتها ذات الطبيعة الاستيطانية التوسعية ، وعدم استعدادها للتجاوب مع متطلبات عملية السلام.

لكن هذه الأمور قد لا تظهر طبعا بنفس المستوى من الوضوح الذي نتحدث عنه ، فقد



ياسر عرفات

بينت التطورات اللاحقة ، أنه لا يزال في جعبة نتنياهو بعض الاسهم التي قرر اطلاقها ، وذلك بناء على نصيحة شريكه في الحكومة حزب المتدينين الوطنيين ، والذي يمثل أيضا قطاعات واسعة من المستوطنين.

ووفقا لهذه النصيحة ،ومن أجل الاحتفاظ بوحدة الائتلاف الحكومي اليميني الحاكم ، جرى تطوير نظرية تقسم إعادة الانتشار في الضفة، بحيث تبدأ باتخاذ قرار في الحكومة الاسرائيلية بالموافقة المبدئية على إعادة انتشار الجيش الاسرائيلي مع وقف التنفيذ! ثم يتبع ذلك القرار ، فترة اختبار أمنية لمدة خمسة أشهر على الأقل ، تقوم السلطة الوطنية الفلسطينية، خلالها بتنفيذ ما يسمى ب« **وثيقة الالتزامات الامنية**»، وبعد ذلك بناء على طبيعة التنفيذ، ونتائج هذا الاختبار ، تقرر الحكومة الاسرائيلية مجدداً ، البدء باعادة الانتشار، ولكن بعد أن تأخذ تعهدا خطيا من السلطة ، وبضمانة الادارة الأمريكية ، بالتنازل عن المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار ،كما نصت عليها الاتفاقات المعقودة ،والبدء فورا بمفاوضات المرحلة النهائية.

أما « **وثيقة الاختبار الأمني**» المذكورة، فقد تضمنت حوالي ٤٠ مطلبا أمنيا وسياسيا موزعة تحت اربعة عناوين رئيسية: **الأول** ويقضي بمحاربة السلطة الوطنية للارهاب ومنع العنف، بما في ذلك تفكيك البنية التحتية لمنظمتي حماس والجهاد ، وتسليم ٣٤ مطلوبا ، ووقف التحريض في وسائل الاعلام الفلسطينية وفي المساجد، ومصادرة الاسلحة.. الخ.

العنوان الثاني ويقضي بتقليص عدد افراد الشرطة الفلسطينية التي وصل إلى حوالي ٤٠ ألفا ، وهو ضعف العدد المسموح به وفق اتفاق أوسلو ٢ . وينص **العنوان الثالث** على استكمال عملية تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني. **أما العنوان الرابع** فيطالب بوقف انشطة السلطة الوطنية الفلسطينية في مدينة القدس، وفي جميع المناطق الاخرى التي ليست تحت إشراف هذه السلطة.

من الواضح أن هذه المطالب الاسرائيلية ليست جديدة ، لكن الجديد هذه المرة أنها قد تحولت إلى اشتراطات، ملزمة على السلطة الفلسطينية وغير ملزمة للحكومة الاسرائيلية لتنفيذ أي اتفاقات سابقة أو لاحقة!.

ونقول غير ملزمة للحكومة الاسرائيلية ، لانه عندما سئل وزير المواصلات الاسرائيلي **اسحق ليفي** وهو من حزب الوطنيين المتدينين، عن الخطوة التالية في حالة تنفيذ السلطة الفلسطينية لهذه الاشتراطات ، أجاب: ستجتمع الحكومة الاسرائيلية عندئذ، وسيصوت كل فريق فيها على الخطوة التالية وفق ما يراه مناسبا». أي أنها لن تنفذ اعادة الانتشار حتى ولو نفذ الجانب الفلسطيني ما تريد!.

هذه هي خطة نتنياهو للاحتفاظ بائتلافه الحكومي اطول مدة ممكنة ، وهذا هو برنامجه لخوض الانتخابات المقبلة، فهو سيواصل تجميد عملية التسوية ما دام لا يتعرض لأية ضغوط تجبره على التصرف بطريقة مغايرة.

وفي ظل مثل هذه المعطيات ، يكون من الواضح أن الطريق التفاوضي الحالي مع الحكومة الاسرائيلية ، يكاد يصل إلى نهايته، وحتى الاعتقاد بامكانية تحقيق تقدم ملموس في المفاوضات ، فلن يكون عن طريق تقديم التنازلات لهذه الحكومة، لمساعدتها على الخروج من أزمتها ، وانما بتعميق هذه الازمة ، وذلك، أولا : بمواصلة التمسك بالموقف الفلسطيني المعلن والمطالب بتنفيذ جميع الاتفاقات المرحلية، كشرط للوصول إلى مفاوضات المرحلة النهائية، والتوجه لتعزيز الجبهة الداخلية الفلسطينية ، واستنهاض إسناد شعبي للموقف السياسي الرسمي. وثانيا بتعزيز التنسيق مع العرب، والتوجه نحو صياغة خطة تفاوضية مشتركة تعالج القضايا المشتركة والمتداخلة على مختلف المسارات ، وتعيد الاعتبار لهذا العامل الهام من عوامل القوة، فالطرف الاضعف في

المعادلة، يجب أن يبدأ بمعالجة أسباب الضعف، حتى يستطيع أن يكون طرفا متكافئا فى أية اتفاقية.

وفى المجال المباشر يمكن أن يبدأ التحرك الفلسطينى ، باستنفار التأييد والدعم للرد على مخطط المناطق الأمنية العازلة ، أو ما يسمى بالخرائط الامنية والعسكرية الاسرائيلية، التى تستهدف تكريس السيطرة الاحتلالية على أرض الشعب الفلسطينى، والحيلولة دون إقامة دولته الوطنية المستقلة، وذلك من خلال التوصل لاعلان امنى عربى مشترك مع دول الجوار، مصر والاردن وسوريا ولبنان، يؤكد رفضها للصيغة الامنية الاسرائيلية حول« **المناطق العازلة** » باعتبارها تشكل خطرا ، سياسيا واستراتيجيا ، ليس على الأمن الفلسطينى فقط، وانما ايضا على الأمن القومى للدول العربية المجاورة ، وخاصة الاردن ، والتأكيد مجددا على ان مصلحة هذه الدول ، تكمن فى اقامة دولة فلسطينية مجاورة ، وليس حزاما أمنيا إسرائيليا مجاورا.

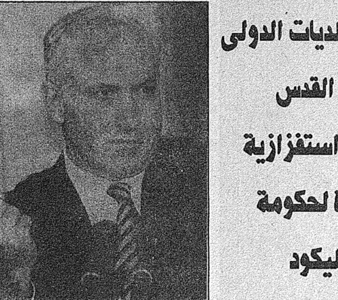
ومما يزيد من أهمية التحرك الفلسطينى فى هذا الاتجاه ، فى الوقت الراهن بالذات مصلحتنا الماسة فى مواجهة التحركات والاتصالات الاسرائيلية ، التى تستهدف أخذ موافقة الاردن على اقامة المنطقة الأمنية العازلة، فى منطقة الاغوار بالضفة، من حدود بيسان وحتى البحر الميت مرورا بمنطقة الاغوار ، فقد تحدثت الانباء عن زيارة قام بها سكرتير الحكومة الاسرائيلية دانى نافيه، مؤخرا إلى عمان لاقناع الحكومة الاردنية باعلان موافقتها على اقامة مثل هذه المنطقة، بدعوى انها ضرورية لأمن الاردن!.

كما أن **التعاون العسكرى الاسرائيلى -التركى** ، والمناورات المشتركة الاخيرة بينهما ، وما تنطوى عليه من مؤشرات عن تحالفات مستقبلية ، تشكل أخطارا على الأمن القومى العربى، وهذا بدوره يعتبر عاملا آخر يستدعى التعاون والتضامن العملى بين الاطراف العربية المستهدفة.

لقد صدرت عن مصر مؤخرا مواقف صريحة ، تؤكد أن مصلحتها القومية تكمن فى إقامة دولة فلسطينية قوية إلى جوارها ،كما أعلن الاردن بأن إقامة الدولة الفلسطينية ، لن يشكل خطرا على الأمن الاردنى ، وذلك ردا على تصريحات المسئولين الاسرائيليين التى ادعت عكس ذلك.

ان مثل هذه المواقف ، تشكل أساسا ومنطلقا ، يمكن البناء عليها والاستفادة منها ، فى بلورة موقف مشترك ، يرد على مخططات حكومة الليكود الامنية التوسعية ، *وعلى سياستها للاستمرار فى تجميد الوضع* القائم دون أن تتعرض لرد عربى مناسب.

مؤتمر البلديات الدولى فى القدس خطوة استفزازية جديدة لحكومة الليكود



فى محاولة جديدة لتكريس واقع ضم **القدس**، وتأمين الشرعية الدولية لهذا الضم ، يحضر اتحاد السلطات المحلية الاسرائيلية ، وبجهد مكثف من رئيس بلدية القدس الغربية **ايهود أولمرت** ، لعقد مؤتمر دولى ضخم، فى مدينة القدس فى الفترة الواقعة بين ٢-٥ اذار ١٩٩٨

إن أهداف هذا المؤتمر السياسية واضحة لا لبس فيها ، فهى تستهدف إقرار شرعية ضم القدس، وتجاوز كافة القرارات الدولية الخاصة بها ، سواء تلك الصادرة قبل العام ١٩٦٧ أو بعده ، وذلك بمشاركة السلطات المحلية على مستوى العالم باسره ،كما تستهدف توفير غطاء داعم لرئيس بلدية القدس الغربية ، ومسلكه التهويدى المتواصل ضد مدينة القدس العربية وابنائها ،كما أنها ترمى إلى تخفيف الرفض الدولى المتصاعد للسياسة المعادية للسلام التى تتمسك بها حكومة اسرائيل.

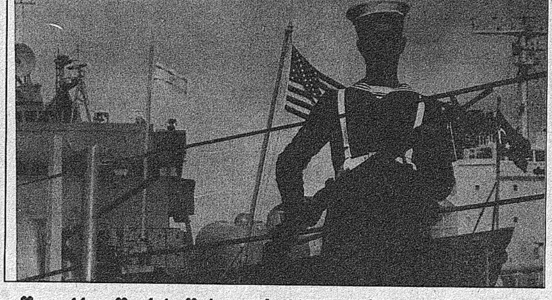
ان بناء شعبنا الفلسطينى في مختلف أماكن تواجده، وفى مدينة القدس خاصة ، اذ يتوجهون إلى كافة البلديات والسلطات المحلية الصديقة فى العالم لمقاطعة هذا المؤتمر ، وعدم تمرير الاهداف التى يتوخاها **ايهود اولمرت** وحكومة اسرائيل من ورائه ، فانهم يدينون بشدة كافة الاجراءات الاسرائيلية فى مدينة القدس، والتى تتلخص فى تكثيف الاستيطان وتهويد المدينة ، والتعدى على المقدسات ، وهدم المنازل العربية وعدم منح رخص البناء للاهالى ، والتضييق على التجار *، واغلاق المدينة وعزلها عن أبناء شعبنا ، وسحب هويات المقدسيين ، والاصرار على* رفض تطبيق قرارات الشرعية الدولية فى القدس.

واذ يتوجه حزبنا إلى مؤسساتنا البلدية الفلسطينية ، من أجل الابراق والمراسلة مع كافة بلديات العالم ، لدعوتها إلى مقاطعة هذا المؤتمر وتفويت الفرصة على منظميه ، فانه يتوجه أيضا إلى مؤسسات القدس وهيئاتها وقواها ،من أجل تعزيز التحرك الشعبى فى هذا الاتجاه ، ورفع المذكرات والعرائض التى تنبه من المخاطر السياسية الكامنة وراء التجاوب مع دعوة اتحاد السلطات المحلية الاسرائيلية ، وتشرح مختلف اشكال الممارسات الاسرائيلية فى مدينة القدس الشرقية،كما يتوجه حزبنا إلى مختلف هيئات السلطة الوطنية الفلسطينية ، وخاصة وزارات الحكم المحلى والاعلام والتعاون الدولى ، من أجل رفع وتائر نشاطها وجهودها لتوضيح مضمون المسلك الاسرائيلى فى القدس ، إلى بلديات وحكومات العالم وحثها على عدم المشاركة فى هذا المؤتمر. ويكتسب اهمية كبيرة فى هذا المجال ، تنسق التحرك الفلسطينى مع حكومات الدول العربية ومؤسسات الحكم المحلى فيها ،ومع لجنة القدس وغيرها من اللجان العربية والدولية.

ان حزب الشعب الفلسطينى ، اذ يرى فى مواجهة المخططات الاسرائيلية فى مدينة القدس، جزء لا يتجزأ من نضال شعبنا، فانه يهيب بكافة أبناء شعبنا وقواه الوطنية لإبداء المزيد من التلاحم والنضال، من أجل إحباط أهداف المحتلين ، وتحقيق الدولة الفلسطينية *المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.*



السياسة التركية



بين تسلط العسكر والخيبات المتوالية

لن تكون **المناورات العسكرية التركية -الاسرائيلية -الأمريكية** يتيمة ، فستتبعها مناورات بحرية أخرى فى مطلع الصيف المقبل ،ومناورات برية فى نهايته . وبالتالى فإن هذه المناورات إضافة للاتفاقات العسكرية التركية الاسرائيلية ، وشراء معدات عسكرية الكترونية والسماح للطيران الاسرائيلى باستخدام القواعد التركية والاجواء التركية ، هذه كلها تدل على **أن العلاقات العسكرية التركية الاسرائيلية تجاوزت مرحلة التعاون ، ووصلت إلى مرحلة تحالف استراتيجى متعدد الجوانب لا يقل عن أى حلف عسكرى معلن آخر** . وقد أغلقت السياسة التركية أبواب التراجع عن هذا الحلف إغلاقا كاملا ، وضربت عرض الحائط بالنداءات والشجب والتحذيرات العربية و الاسلامية والدولية ، وسارت فى طريق لا رجعة فيها ، مدعومة من الولايات المتحدة التى أعلن المتحدث بإسم وزارة خارجيتها **جيمس روبن** بأن التعاون العسكرى التركى الاسرائيلى (طبيعى ومستحسن) وانه بين (أعز أصدقاء) الولايات المتحدة فى المنطقة.

يبدو ظاهريا أن تركيا تصر على هذا التحالف، إرضاء للولايات المتحدة، وتغطية لاحتلالها العسكرى لشمال العراق بحجة ضرب حزب العمال الكردستانى التركى ،ولاغتصابها لمياه الفرات وإنكارها حقوق سورية والعراق، واستعدادا مسبقا لمواجهة أى نمو محتمل للقوة الايرانية . .فى الوقت الذى ترى فيه **اسرائيل** محاصرة لسورية ، ورسالة لمصر التى تصلبت سياساتها فى السنوات الأخيرة ، ومحاولة إضعاف دور مصر العربى وزعامتها فى المنطقة.

وترى الأوساط السياسية السورية- الرسمية وغير الرسمية -أن هذه المبررات والأسباب صحيحة ، ولكنها ليست كل شئ ، وأن الاسباب الحقيقية أكبر من ذلك وأشمل ، وتتعلق بواقع المنطقة الحالى وبمستقبلها وبالظروف الداخلية التركية وعلاقاتها الدولية ، وبالبنية الحقيقية للجيش التركى وقيادته العسكرية ، وبالمأزق الحقيقى الذى وقعت فيه هذه القيادة أو أوقعت نفسها فيه منذ عشرات السنين.

تذكر الأوساط السياسية السورية ، بأن القيادة العسكرية التركية التى اعتمد عليها **كمال اتاتورك** هى أساسا من **الدونمة (والدونمة طائفة يهودية اسبانية تخفت ثم أعلنت اسلامها فى القرن الثامن عشر ، ولعبت دورا قياديا فى الثورة التركية عام ١٩٠٨ وكان منها وزير المالية داوود بك وأزرت الحركة الصهيونية فى فلسطين)**. وبهذه القيادة تولى اتاتورك السلطة واستطاعت الدونمة فرض أفكارها بواسطة عسكرييها ، وحاولت توجيه تركية إلى الغرب وتقاليده ، وأبعادها عن وسطها الإسلامى والشرقى ، وبقيت تدعم الصهيونية حتى قيام اسرائيل ثم تحولت إلى دعم دولة إسرائيل . وأجبرت السياسيين الاتراك على إقامة علاقات مبكرة ومتعددة الجوانب معها ، بدأت سرا ثم أخذت تظهر للعلن حتى وصلت إلى التحالف الحالى ، الذى لا يستطيع السياسيون الاتراك منعه أو التخلى عنه ، بسبب سطوة العسكريين . وتستدل الأوساط السياسية السورية على ذلك بأنه **حتى لو كانت مصلحة تركيا فى هذا التحالف ، فإن الخطوات التى تمت والحماس الشديد الذى تسير فيه ، لا يفسره إلا حماس العسكريين وسطوتهم ، ومعاداتهم لأية سياسة تهدف لتطبيع العلاقات بين تركيا ودول المنطقة، أو إبقاء بعض الوشائج بينها وبين وسطها الطبيعى ،تحت شعار العلمنة أو أى شعار آخر.**

يرى سياسيون سوريون مخضرمون أن النظام السياسى التركى ، وعلى عكس ما يبدو هو نظام ضعيف مثقل بالمشاكل والصعوبات إلى درجة الهشاشة. والقوى فيه ، أو الذى يظهره قويا ، هو تماسك الجيش وسطوته بقيادة ضباطه من الدونمة أو من أوساطها أو من الذين تربوا على سياساتها، **فالمجتمع التركى هو موزاييك من القوميات والاثنيات والطوائف ، نسيجه الاجتماعى**

رسالة دمشق

حسين العودات

هش وغير متماسك. وقد مارست السلطات العسكرية التركية خلال الخمسين سنة الماضية ، مختلف أساليب القمع والقهر على القوميات من أكراد وعرب وأرمن وغيرهم ، فمنعت عنهم حقوقهم الثقافية والقومية ، حتى أنها منعتهم من الغناء بلغتهم ، وحرمتهم حتى من إعلان انتماءاتهم القومية . فالاكراد هم بنظرها (أتراك الجبال) والعرب في اسكندرون وجنوب تركيا (لا وجود لهم) وهم يخشون التحدث بلغتهم، ومجازر الأرمن معروفة. **وفي العقد الأخير ، وبعد ثورة الاتصال وانتهاء الحرب الباردة ، أصبح المناخ مهيئا جزئيا لتطالب هذه التكتلات القومية ببعض حقوقها الثقافية المدنية بل والسياسية،مما أربك النظام السياسي التركي** ،وجعله يواجهها باجراءات غير متوازنة (طرد بعض النواب الاكراد من المجلس النيابي، والقيام بعمليات قمع وحشية في المناطق الكردية/ ومزيد من الاضطهاد للعرب.. الخ) . هذا إضافة للمشاكل الطائفية داخل المجتمع التركي ، بين الطوائف الاسلامية المتعددة ، وتفجرها هنا وهناك مما لم يعهده المجتمع التركي من قبل، فضلا عن نمو التيار الاسلامي حتى أصبح (أكبر حزب ممثل في البرلمان) . هذا إلى جانب الصعوبات الاقتصادية من تضخم وعجز ميزان تجاري وعجز موازنة وزيادة البطالة ، وتضييق الدول الأوروبية على سيل هجرة اليد العاملة التركية (تبلغ عدة ملايين) إلى البلدان الأوروبية مما جعلها تبدأ بالتراجع.

هذه بعض مؤشرات الوضع الداخلي التركي ، كما تراها بعض الأوساط السياسية السورية ، أما الوضع الخارجي فهو أشد سوءا وتعقيدا فالعلاقات مع الجوار سيئة بالمطلق باستثناء العلاقات بين تركيا وأذربيجان (لأسباب مؤقتة) .

فمع سورية لم تحل بعد قضية احتلال لواء اسكندرون (محافظة سورية احتلتها تركيا عام ١٩٣٦ وما زالت تحتلها ، وقد غيرت بنيتها الديموغرافية تغيرا كليا، ولم تعترف سورية بهذا الاحتلال وما زالت تركيا تصر أن الفرات نهر تركي وليس نهرا دوليا ، وبالتالي لا تنطبق القوانين الدولية على تقاسم مياهه (تطالب سورية والعراق بتقاسم المياه بالتساوي بين الدول الثلاث، وتصر تركيا على أن تأخذ تلثي المياه وحدها تحت المبرر المذكور آنفا) . هذا اضافة إلى الخلافات حول أملاك وأراضي السوريين في تركيا وغيرها من القضايا .وفي الوقت نفسه تتهم تركيا سورية بأنها تساعد في إقامة قواعد لحزب العمال الكردستاني في سهل البقاع وتقدم مساعدات لوجستية لهذا الحزب.

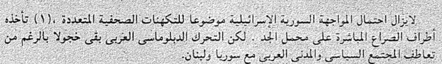
ومع العراق، فرغم المكاسب الاقتصادية الجمة التي تجنيها تركيا من أنبوب النفط العراقي ،ومن السوق العراقية التي كانت (قبل الحصار) وما زالت مفتوحة أمام البضائع التركية ، رغم هذا، **فإن العدوان التركي المتواصل على شمال العراق، واحتلال أرضه ، واقامة ما تسميه (حزاما أمنيا) يجعل العلاقات متأزمة دائما** . ويجعل تركيا تخشى من العراق بعد فك الحصار ، خاصة إذا تعاون مع سورية ومع إيران . هذا إضافة للمطامع التركية بشمال العراق (حتى الموصل) وخاصة بتلك الأراضي الغنية بالنفط.

ومع إيران ، تذكّر الأوساط السياسية السورية بالعداء التاريخي التركي الإيراني ، وترى أن **نمو القدرة الايرانية الاقتصادية والعسكرية المتنامية وثقل السياسية الايرانية ، والمحاولات الجدية والجديدة من القيادة الايرانية الحالية لتطبيع علاقات إيران مع الدول العربية والإسلامية ، إنما هي تهديد- بنظر العسكر الاتراك- للقوة التركية والدور التركي في المنطقة** . خاصة أن السياسية التركية فشلت فشلا واضحا في إقامة علاقات متينة مع دول آسيا الوسطى الاسلامية (الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق) فلا هي نجحت باقامة علاقات اقتصادية استراتيجية ولا بعلاقات ثقافية وسياسية متينة ، وكل ما استفادته هو انتشار تلقي قنواتها التلفزيونية الفضائية في هذه الجمهوريات -لأن معظم سكانها يتحدثون التركية) . باستثناء علاقاتها المتينة مع اذربيجان ، وحتى هذه ليست علاقات استراتيجية (فأذربيجان شيعية من جهة ولغتها فارسية من جهة أخرى) وهي مضطرة لإقامة علاقات مع تركيا بسبب خلافها مع أرمينيا حول منطقة لاقامة علاقات مع تركيا بحكم الجوار ، وكون أرمينيا عدو تاريخي لتركيا بسبب مذابح الأرمن في نهاية القرن الماضي ، واضطهادهم حتى الآن . أما سوء العلاقة مع أرمينيا ومع اليونان ومع قبرص فلا تحتاج إلى شروح . والأمر نفسه مع روسيا التي رأى المتحدث باسم خارجيتها **غينادي تاراسوف** أن مناوراتها المشتركة مع إسرائيل (تزيد من عدم الثقة، وتسيئ إلى الجهود الآيلة إلى إرساء الاستقرار في المنطقة) ،وعلى أية حال ، لم تستطع تركيا الحصول على حصة مهمة من وراثة تركة الاتحاد السوفيتي السابق كما كانت تظن ،وفي الوقت نفسه فقدت الورقة التي كانت تتاجر بها أمام الغرب أيام الحرب الباردة ، بانها دولة المواجهة المباشرة الرئيسية في المعسكر الغربي مع الاتحاد السوفيتي.

بقيت رغبة تركيا الشراكة مع المجموعة الأوروبية ، وهذه ما لا يريدها الأوروبيون حتى الآن ، سواء بسبب أوضاع تركيا الداخلية الهشة (الوضع الاقتصادي السيئ ، انتهاك حقوق الإنسان ، عدم حل المشكلات القومية والثقافية الداخلية ، موقفها من المسألة القبرصية ، خلافاتها مع اليونان ، انتهاء دورها كرأس حربة بمواجهة روسيا..) أم بسبب عدم الحاجة لها في مواجهة روسيا بعد انتهاء الحرب الباردة ،**وهكذا أوصلت سياسة العسكريين الاتراك البلاد إلى مأزق ، فلا الغرب يقبل تركيا كشريك كامل الحقوق ، ولا العسكر يريدون عودتها إلى وضعها الطبيعي ضمن دول المنطقة ،ولم يبق أمامها إلا الاستسلام للمطالب الأمريكية والاسرائيلية ،حتى لو أوصلتها إلي حلف عسكري معلن معاد لدول المنطقة ومضاد لمصالح الشعب التركي ،هذا ما فرضته سياسة العسكريين الذين يصرون على الهروب إلى الأمام ،عل وعسى.**

إن السياسة التركية هذه، تتطلب بنظر الأوساط السياسية السورية تعاونا جادا بين دول المنطقة لمواجهتها ، خاصة بين **مصر وسورية والعراق وإيران** ، تعاونا كثيفا في مختلف المجالات ، قادرا على ردع العسكريين الاتراك وتفويت الفرصة على الاسرائيليين ،ويبدو أن هذا ما تعمل إليه دول المنطقة ، ولو كان عملها حذرا وبطيئا ، وطريقها ليست سهلة لأسباب عديدة ،**ولعل محاولات تطبيع العلاقات المصرية -الايرانية، والسورية- العراقية ، والعراقية الايرانية ،هي بدايات لقيام تعاون وثيق يقطع الطريق على الاسرائيليين وحلفائهم الاتراك ومن ورائهم الولايات المتحدة.**





مشروع الاعتداء الإسرائيلى على لبنان وسوريا



الرئيس حافظ الأسد

لايزال احتمال المواجهة السورية الإسرائيلية موضوعا للتكهنات الصحفية المتعددة ،(١) تأخذه أطراف الصراع المباشرة على محمل الجد . لكن التحرك الدبلوماسى العربى بقى خجولا بالرغم من تعاطف المجتمع السياسى والمدنى العربى مع سوريا ولبنان.

ومايزال هذا الاحتمال موجوداً رغم التطمينات الأمريكية المخادعة المتتالية . هذه التطمينات نفسها مهدت لمفاجأة الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . **وهنا ننطلق من فرضية مفادها بقاء المشروع الصهيونى محوريا نظرا لسببين هما شبه الهيمنة الأمريكية ومدى الدعم الأمريكى لإسرائيل فننتهى بفرضية أن ثمة مشروع عدوانى تعتبره إسرائيل احتمالا يحظى بدعم أمريكى وبشبه قبول دولى** . ولعل استباق الأمور واستنجاد الأخوة العرب دولا وشعوبا خير من السكوت.

تدلنا المشاهدة العيانية المباشرة على واقع شبه الهيمنة الأمريكية إلا أن هذه الهيمنة ليس مردها انهيار القوى الاقليمية الأخرى . فترسيخ دعائم الكيان الأوربى الموحد والقوة الاقتصادية للكتلتين الأوربية والشرق أسيوية يحولان دون استئثار الولايات المتحدة بالسلطة الاقتصادية وبقرار التصرف بالتكنولوجيا.(٢)

لذا يصح القول أن التناقض السياسى على الصعيد العالمى هو الذى انهار من جراء انهيار الكتلة الاشتراكية ، بحيث احتلت الكتلتان الأوربية والشرق أسيوية مكان الاتحاد السوفيتى السابق ، وقد تميزتا ليس بانصياعهما المطلق للمشروع الأمريكى بل بعدم استعدادهما لتحدى هذا الأخير واستطرادا بالاستعداد للبقاء ضمن إطار الحدود التى رسمها البنتاجون.(٣)

وإزاء هذا الواقع البديل لم يسع الدول العربية أن تعتمد فى استراتيجيتها على حليف دولى بديل للولايات المتحدة من أجل التصدى للمد الصهيونى فاختصرت الخيارات باثنين:

١- أولهما خيار الاعتماد على الولايات المتحدة واتباع استراتيجيتها بما فيها التطبيع مع إسرائيل.

٢- وثانيهما خيار الاعتماد على **الذات على أن ينحصر** الدعم الخارجى على مختلف أنواع الصفقات التجارية ونقل التكنولوجيا ، مع انهيار القارية المنافسة للولايات المتحدة ، وهو الخيار الذى اتخذته سوريا وكرسته منذ انهيار الحليف السوفيتى.

ولايعنى الخيار الثانى المغامرة واستفزاز القوة المهيمنة بل يتناسب مع الانكفاء الاستراتيجى والذى قد ترافقه مسيرة بناء القوة العسكرية - الاستراتيجية . **فالعديد من الاستراتيجيين العرب نظروا إلى مسألة العلاقة مع الولايات المتحدة من زاوية ثنائية تكاد تكون مبسطة : فاما الانخراط وأما المواجهة والانتحار بحيث اختارت العديد من الأنظمة العربية الخيار الأول فى حين تمسكت المعارضات الاسلامية بالحل الثانى.**

أما خيار الاعتماد على الولايات المتحدة فقد رافقه حل ملازم له وهو حل السلام بشروط إسرائيل . وذلك بسبب العلاقة العضوية التى تربط الأولى بالثانية . لقد **تبين أن التحالف الأمريكى مبنى على ثلاثة أركان هى :**

١- العلاقة الأداتية التى بمقتضاها تستخدم الولايات المتحدة إسرائيل كقاعدة أمامية.

٢- السيطرة اليهودية على قرار السياسية الخارجية والتى اتخذت منحى متصاعدا منذ الخمسينات وبلغ ذروته مع إدارة كلينتون.(٤)

٣- التواصل الثقافى والأيديولوجى بين الدولتين والمجتمعين.(٥)

ولكل هذه الأسباب تبقى الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع ليس عن الكيان الصهيونى وحسب ، بل أيضا عن التفوق الاستراتيجى الإسرائيلى .. على مجموع دول الجوار العربى ، كما تظل ملتزمة بالخيار الاستراتيجى للدولة الصهيونية.

وفى هذا الإطار لايشكل الانتقاد الذى تواجهه سياسة اليمين الإسرائيلى إلا دعوة إلى احترام قواعد اللعبة التى أسست لها حكومة صهيونية سابقة حظيت بتأييد أوسع فى الأوساط الصهيونية الأمريكية . وكذلك لايشكل هامش الحرية المتروك لدى الحليف العربى للتعبير والتصويت ضمن إطار الخطوط الحمراء الأساسية دليلا على استقلالية القرار ، طالما أن المهم هو تمكن التحالف الأمريكى - الإسرائيلى من أحكام العزل العسكرى الاستراتيجى على الدولة العربية المستهدفة (العراق ، ثم ليبيا والسودان ، ثم سوريا)

لقد تبين أن الجهد الأمريكى فى العملية السلمية بقى رهنا بديناميكية إسرائيل بحيث هزلت مبادرة البنتاجون ماأن أفصحت الحكومة اليمينية فى إسرائيل عن رفضها للتسوية . ومن هذا المنظور يبقى محرك الضمانة الأمريكية للعملية السلمية إسرائيليا.

لكن كيف نحدد طبيعة المشروع الإسرائيلى للمنطقة؟ هب يتوقف على مطلب التطبيع ؟ إنه جدال تم التمعين فيه فى الندوات الفكرية العربية لكن لابد لنا أن نختصر المسألة بذكربعض المعطيات ومنها:

- إن المنطلقات الأيديولوجية للصهيونية تتضمن فكرة مركزية وتفوق الأمة اليهودية فى المنطقة . فان عبر اليمين عن هذه الفكرة من خلال التوسع والتفوق العسكريين من دون استبعاد الخيار السلمى ، اعطاها اليسار مضمونا اقتصاديا سلميا من دون استبعاد الخيار العسكرى.

- أن موازين القوى الاقتصادية تمكن إسرائيل من التحول إلى مركز اقتصادى شرق أوسطى ، والدليل أن المشاريع المالية الشرق أوسطية تجعل منها مصدرا ومصبا فى أن معا . ومن العوامل التى نذكرها التفاوت فى

فــــؤاد نهرا

تطور التصنيع والمستوى التكنولوجي بين إسرائيل ودول الجوار العربي ، وقوة الرأسمال الأمريكي - اليهودي على المستوى العالمي. (٦)

-أن المشروع الشرق أوسطى من شأنه أن يحول إسرائيل من دولة معادية إلى قوة ضبط سياسية - عسكرية للتدخل فى حل الأزمات العربية - العربية التى من شأنها أن تتفجر نتيجة انتهاء الصراع القومى.

لهذا السبب تأتى المبادرة السلمية الإسرائيلية استفرادية:

- استفراد مصر فى نهاية السبعينات تمهيدا للتعبئة على الحدود الشمالية.
- محاولة استفراد الكتلة الفلسطينية - الأردنية حتى ١٩٩٣ من خلال تكثيف الوساطة الأمريكية على الجبهة السورية ، وقد رفضت سوريا منطق الحل الانفرادى.
- استفراد الكتلة السورية - اللبنانية ابتداء من توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣.

أما محور السياسة الإسرائيلية اليوم فهو قائم على أساس استفراد سوريا وذلك لأسباب هى: (٧)

- استقلالية القرار السياسى للقيادة البعثية وقدرة سوريا على تحمل العزلة السياسية والاقتصادية ، وقد تبين ذلك من خلال استمرارية الخطط التنموية فى ظل مراحل الحظر الأوربي والأمريكي فى الثمانينات ، إذ أن مشروع قرار الكونجرس الأخير بوقف التعامل الاقتصادى مع سوريا ليس من شأنه أن يؤثر على الاقتصاد السورى بسبب ضآلة التبادل التجارى مع الولايات المتحدة.
- استمرارية المنطق القومى العربى فى السلطة السياسية بعد أن كادت أكثرية الأنظمة العربية تتخلى عن الكثير منه لجوءا إلى القطرية ، وهو منطق مرفوض إسرائيليا وأمريكيا سواء.
- القوة العسكرية السورية إن فى ترسانتها الكلاسيكية أم فى امتلاكها لبعض أسلحة الدمار الشامل مثل الصواريخ ذات الرؤوس الكيماوية والبيولوجية ومستوى تعبئتها.
- وقوف القيادة البعثية فى سوريا بوجه مشروع الشرق الأوسطية المذكور أعلاه لصالح سلام أكثر عدلا وانصافا.
- احتفاظ سوريا بالورقة اللبنانية بعد أن خسرتها إسرائيل منذ سقوط اتفاق ايار ١٩٨٣، وسعى القيادة البعثية لتوطيد التحالف الاستراتيجى اللبنانى - السورى.

أما أمريكياً ، فخيار استفراد سوريا واطلاق يد إسرائيل عسكريا وارد من خلال اصرار هذه الأخيرة على مشروع التفوق السياسى العسكرى الإسرائيلى ، وذلك بسبب التصاق السياسة الأمريكية بالمشروع الإسرائيلى (٨). وطبعا لهذا المشروع عدة متغيرات منها:

- إعادة غزو لبنان من أجل قلب موازين القوى السياسية ، ثم تطويق سوريا سياسيا وميدانيا ، إلا أن القادة الصهاينة لم يجدوا بعد الحليف البديل ذو النفوذ ، بل مازالوا عاجزين عن تحويل الانتصار العسكرى إلى انتصار سياسى بسبب شدة المقاومة الداخلية فى صفوف المجتمع السياسى اللبنانى ماعدا أقلية فى صفوف بعض الموارنة من المعادين للحضور السورى.
- احتمال الحرب الشاملة ضد سوريا ولبنان تمهيدا لتدمير آخر عقبة أمام التطبيع الشرق أوسطى المنتظر وهنا تقف وسائل الردع غير التقليدى مانعا أمام هذا الخيار.

لكن الموانع قد تزول لصالح موازين قوى مختلة تماما تتيح لإسرائيل باحكام ضربتها على المنطقة تحت غطاء دبلوماسى أمريكى ، وربما فى إطار جمود سياسى عربى . خاصة أنه تم التهيئة استراتيجيا وإعلاميا لهذا الأمر.

- فعلى الصعيد الاستراتيجى تشكل قدرة الولايات المتحدة على تحييد الدول المعتمدة عليها والمتعاقدة معها بما فيها الدول العربية رادعا دون تدخلها لمنع الانفجار.
- ثم أن الاتفاقات الإسرائيلية - التركية أكملت الطوق على سوريا.
- أما على الصعيد الاعلامى فقد استعد الرأى العام العالمى للنظر إلى أى اعتداء على لبنان وسوريا كاعتداء على مأوى الارهاب الدولى.

إن اضعاف سوريا من شأنه أن يقضى على قدرة العرب أجمعين على التفاوض مع إسرائيل وأن يقضى بعجزهم عن مجرد اقتراح بديل لمشروع الهيمنة المطروح ، فلا يترك للمفاوض العربى خيارا إلا الاستسلام والشرذمة.

ويبقى هذا الاحتمال واردا بسبب اختلال موازين القوى العسكرية لصالح إسرائيل ، مما يفسر ضرورة عمل سياسى عربى مشترك ، يتجاوز مستوى التصريح والاستنكار ، ويبرر ضرورة تأسيس معاهدة دفاع عربى مشترك يدخل من خلالها أهم الأطراف العسكرية العربية فى ميزان القوى الاستراتيجى إلى جانب سوريا حتى يؤدى الردع المتوازن إلى تجنب الوقوع الفعلى للحرب. (٩)

١- فيما يتعلق بالتكهنات الصحفية راجع اعداد مجلة " الوطن العربى " لمارس وابريل ومايو ١٩٩٧

٢- لقد بينت الدراسات الاقتصادية المتعلقة بالنظام العالمى أن الهيمنة الأمريكية تلاشت فى ميدان الاقتصاد لصالح ثلاثية قطبية .راجع Michel Beaud: Le Capitalisme dans les Annees 80, ed la Decouverte 1989. أما التفوق العسكرى فهو عائد إلى ضعف مستوى تعبئة القطبين الأوربى والأسيوى فى الساحة الدولية.

٣- ومانشهده هو مجموع قيم شبه اجماعية بين القوى المسيطرة و تراجع المجموعة الأوروبية واليابان ازاء المبادرة الأمريكية خاصة فيما يتعلق بحصار العراق والسودان وليبيا وقبولها بقواعد اللعبة السائدة والمحددة أمريكياً.

٤- وقد بين ميخائيل سليمان مدى توغل مجموعات الضغط الصهيونية داخل السلطة التنفيذية ومنها مجلس الأمن القومى والذى يضم غالبية من اليهود إلا أن التوغل هذا تحقق تدريجيا راجع مركز دراسات الوحدة العربية: فلسطين والسياسة الأمريكية بيروت ١٩٩٤.

٥- راجع المصدر نفسه ، ثم مقال نعده للنشر فى العدد القادم لمجلة معلومات دولية ، دمشق ١٩٩٧.

٦- راجع: مركز دراسات الوحدة العربية: التحديات الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربى ، بيروت ١٩٩٤

٧- أما الأدلة فتظهر فى مشروع القانون المتعلق باسترجاع الجولان ، ورفض التنازل عنه واستفزاز الأرض اللبنانية بالقصف والتدمير ثم التأهب لمواجهة واحكام الطوق على سوريا عبر المناورات مع تركيا وهى مواقف تقابلها قدر أكثر من البراجماتية فيما يتعلق بالجبهات العربية الأخرى.

٨- لقد تعددت التحليلات التى أصرت على ضرورة معاملة سوريا كدولة تأوى الارهاب ومنها تحليل اليوت ابرامز Eliot Abrams : Security and Sacrifice 1996 زد أن النقاش دار بين أعضاء الكونجرس حول تهديد سوريا للتفوق الإسرائيلى.

٩ - وبهذا الصدد يقول أمين هويدى فى كتاب « الصراع العربى الإسرائيلى بين الرادع التقليدى والرادع النووى» لن يفرض السلام فى هذه المنطقة ولن يحميه إلا العرب عن طريق الحصول على توازن فى الردع . ولايتحقق ذلك إلا بمزيج من القدرة على العقاب والإرادة فى استخدام هذه القدرة إذا تطلب ذلك من دون تردد» ١٥٤ م.د. و .ع بيروت ١٩٨٩ ، وهنا يأتى اشتراك الأقطار العربية إلى جانب سوريا ضروريا ، وقد بين أمين هويدى أن تكرار الحروب مرده ضعف الردع وتأثيره فى الصراع العربي الإسرائيلى ، ومنه أن عدم رد الدول العربية على الاعتداءات الجزئية يمهد لعدوان إسرائيلى أوسع . لذا لن يكون أى اعتداء محتمل على سوريا إلا تمهيدا لردع الأقطار العربية الأخرى والاعتداء على العصاة منها.

الحزب الشيوعي الاردني يعقد مؤتمره «العلني» الثاني





اميلي نفاع

د. منير حمارنه

عقد في عمان خلال الفترة من ١٧ إلى ١٩ كانون أول/ ديسمبر الماضي (١٩٩٧) **المؤتمر الوطني العلني الثاني للحزب الشيوعي الاردني**. بينما عقد المؤتمر العلني الأول قد عقد عام ١٩٩٣ بعد أن سمح للحزب ممارسة نشاطه العلني في ظل مرحلة الانفراج السياسي التي ابتدأت مع مطلع التسعينات.

كان انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي مظاهرة وطنية كبرى ،حيث شارك في حفل افتتاحه مندوبو (١٧) حزبا يمثلون أحزابا شيوعية وقومية وتقدمية وحركات تحرر من البلاد العربية والاجنبية كما حضر حفل الافتتاح ممثلو مختلف القوى السياسية والاجتماعية والنقابية والنسائية والشبابية في الاردن وجمهور غفير من أصدقاء ومناصري الحزب من جميع أرجاء البلاد. **ويقدر أن أكثر من ١٣٠٠ شخص شاركوا في حفل الافتتاح** ، بينما تلقى المؤتمر رسائل تأييد وتحية من حوالي **٤٠ حزبا** شيوعيا وتقدميا وقوميا من البلاد العربية والاجنبية.

جاء انعقاد المؤتمر بعد فترة من الاحتقان السياسي ، والتي سبقت ورافقت الانتخابات النيابية فقد قاطعت بعض القوى هذه الانتخابات بينما اشتركت قوى أخرى فيها ومن بينها الحزب الشيوعي الاردني ، وشهدت الفترة المنصرمة حالات من الاحتكاك السياسي والضغط على الاحزاب والقوى السياسية ، خاصة بعد صدور قانون المطبوعات والنشر المؤقت الذي تسبب في اغلاق (١٣) صحيفة أسبوعية ومنع دخول الكثير من الصحف والمجلات العربية والاجنبية إلى البلاد.

نجح الشيوعيون الاردنيون في تحويل حفل افتتاح مؤتمرهم إلى يوم وطني لجميع القوى السياسية ، خاصة من خلال التقرير السياسي الشامل الذي قدمه الدكتور يعقوب زيادين ،عبر هذا التقرير عن رؤية وطنية عميقة لمختلف القضايا على الصعيدين الداخلي والخارجي وخاصة ما يتعلق بقضية التسوية واستحقاقاتها بالنسبة للاردن.

تعرض التقرير بعمق وجرأة إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية وانتقد بوضوح السياسات الرسمية فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية والتي تعمق حالات **الفقر والبطالة**، وتضاعف المصاعب أمام الانتاج الوطني . وطالب التقرير بتكوين أوسع جبهة وطنية للدفاع عن الديمقراطية وتطويرها ومن أجل حل وطني للقضايا الاقتصادية . وبينما أكد التقرير على ضرورة مقاطعة ومقاومة كل اجراءات التطبيع ، فانه أكد على أن موقع الاردن الطبيعي هو في محيطه العربي ، وليس في المشاريع الشرق أوسطية.

وناقش المؤتمرون على مدى يومين متتاليين مجموعة من الوثائق والقضايا المتعلقة بحياة الحزب ونشاطه ، ولكن أهم تلك الوثائق هو مشروع برنامج الحزب ، الذي اقره المؤتمر بعد ادخال بعض التعديلات عليه.

ويؤكد البرنامج على ضرورة الدفاع عن الديمقراطية وتكوين أوسع تحالف وطني من أجل ذلك، وذلك من خلال تشخيص المرحلة التي تجتازها البلاد واحتمالات المستقبل . كما يعرض برنامجا بديلا في المجالين الاقتصادي والاجتماعي لذلك الذي يجرى تطبيقه من قبل السلطات، برنامج ينأى بالبلاد عن ضغوط المؤسسات الدولية وقوى العولمة الاقتصادية التي تحاول تطويق الدول النامية بكل أشكال التبعية.

وأفرد البرنامج الجديد مساحة واسعة لمعالجة العلاقات الاردنية الفلسطينية والعربية وكل ما يتعلق بشئون التسوية السياسية.

وبعد مداولات معمقة تم انتخاب لجنة مركزية جديدة واعضاء مرشحين للجنة ولجنة رقابة مركزية.

وقامت اللجنة المركزية بانتخاب الدكتور **منير حمارنه** أمينا عاماً للحزب والرفيق **رشيد شقير** نائبا للأمين العام والرفيقة **املى نفاع** امينا للشئون المالية. وكذلك تم انتخاب بقية أعضاء المكتب السياسي ، الرفيقة **املى نفاع وفرج اطميزه وعبد العظيم زاهده والدكتور عبد العزيز غليلات والدكتور محمد الروابده والدكتور سامي حمارنه وراضي زيادات ،كما وتم انتخاب الرفيق امال نفاع** رئيسا لتحرير جريدة الحزب المركزية الجماهيرية.

صلاح يوسف

رسالة عمان

مفيد الجزائرى .. عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى

المعارضة العراقية .. كانت وما زالت وستبقى وطنية

قال **مفيد الجزائرى** ، عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى إن الحزب ما زال قويا رغم الضربات الشديدة التى تلقاها خلال ربع القرن الماضى ، وأنه لم يتحول كما أراد النظام العراقى إلى حزب فى المهجر . وأضاف فى لقاء أجرته معه **اليسار** فى أثناء حضوره مؤتمر الحزب الشيوعى الاردنى فى عمان فى شهر ديسمبر الماضى ، إن الحزب يحتفظ بوجود داخل العراق ، وحتى فى المحافظات التى يصفها النظام بالبيضاء.

وتحدث **الجزائرى** عن موقف الحزب من الحصار المفروض على العراق منذ سبع سنوات، ومن الدعوة إلى المصالحة مع النظام وعن الاتهامات التى توجهها بعض الاوساط للمعارضة بتلقى المعونات من وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وقال إن المعارضة العراقية كانت وما تزال وستبقى وطنية .

وفيما يلى نص اللقاء.

***اليسار :**

فى العامين ١٩٧٨ و١٩٧٩ بدأ النظام العراقى حملة شرسة ضد حزبكم بهدف إبادته . فهل تحقق للنظام ما أراد؟ وكيف تقيمون تجربتكم خلال السنوات العشرين الماضية والتى شهدت أحداثا جساما؟.

**** مفيد الجزائرى**: عقد حزبنا أخيرا مؤتمره السادس على الأرض العراقية . وهذا أبلغ رد على محاولات السلطة العراقية التى أشرت لها فى سؤالك. صحيح أن المؤتمر لم يعقد فى الأراضى العراقية الواقعة تحت سيطرة السلطات العراقية فليس هناك أى مجال لأى نشاط سياسى غير حكومى ، أو غير مرتبط بالسلطة الدكتاتورية القائمة. وأشدد هنا على تعبير نشاط سياسى لأن المسألة لا تتعلق بحظر نشاط حزبنا الشيوعى فقط بل بحظر نشاط أى جهة سياسية اخرى. **فالعمل السياسى والنشاط السياسى وبالتالى القرار السياسى فى العراق محتكر بشكل مطلق من جانب النظام القمعى فى العراق، وهو نظام ينتهج سياسة ارهابية وحشية نادرة المثال . وأى صوت صغير حتى لو كان من داخل السلطة يتعرض لقمع الاجهزة الأمنية التى تحكم البلاد وتتحكم فيها** . وحتى حزب البعث تحول إلى حزب بالاسم فقط. اما فى الواقع فهو ليس اكثر من ذراع للأجهزة القمعية نفسها.

وقد ساد هذا النهج الارهابى للسلطة مع صعود **صدام حسين** وفرض هيمنته المطلقة على البلاد ، وأطلق أيدى الأجهزة الأمنية تكبت وتقمع وتبطش وتفرض ارادة الفرد الواحد المطلقة. وهذه الفترة بدأت فى أواخر السبعينيات حين قام **صدام حسين** بانقلاب على الجبهة القومية الوطنية التقدمية التى كان حزبنا مشاركا فيها ، وشن أكبر حملة دموية ضد حزبنا قبل أن يتحول ضد الاحزاب والمنظمات الأخرى المشاركة فى الجبهة أو خارجها . بعد ذلك توج **صدام حسين** حملته الدموية بالتحول إلى حزب البعث ، وأعدم ٢٤ من قياديى حزبه ، بعد تصفية هؤلاء جميعا خلاله الجو لممارسة حكمه الفردى المطلق.

منذ ذلك الحين ونحن نرفع شعار الخلاص من النظام الديكتاتورى فى بغداد ، وإيجاد بديل ديمقراطى له. **وفى الثمانينات خضنا حرب كفاح مسلح فى كردستان العراق، جنبا إلى جنب مع الأحزاب القومية الكردية التى كانت تقود هذا الكفاح من قبل ضد النظام الذى لم يكن نفوذه يقتصر على بغداد . بل كان يتمتع بسطوة ونفوذ كبيرين خارج العراق** ، وكان يملك أسلحة مدمرة وقوات مسلحة هائلة القوة وإمكانات مالية كبيرة.

ومع انتهاء الحرب العراقية الايرانية فى العام ١٩٨٨ وجه النظام قواته نحو كردستان واستخدم الأسلحة الكيماوية التى كانت جزءا من ترسانته المدمرة وشن **حملة الانفال الثانية** ،وهى تكرار لحملة الأنفال الأولى التى أباد خلالها بالأسلحة الكيماوية قرى بأكملها من بينها قرية حلبجة الكردية التى أبيد سكانها عن بكرة أبيهم فى شهر أبريل من العام ١٩٨٨ ، قبيل توقف الحرب العراقية الايرانية.

غزو الكويت

أعطى الولايات المتحدة

فرصة نادرة

لتحقيق عدة

أهداف

بحجة تحرير الكويت

وما إن انتهت الحرب العراقية الايرانية حتى جاءت **كارثة غزو الكويت**، والتى ورطت الولايات المتحدة فيها **صدام حسين** ،كما كانت ورطته فى العام ١٩٨٠ فى الهجوم على إيران انتقاما من الثورة الايرانية التى أطاحت بحليفها **شاه إيران**. **وقد مثلت فرصة غزو الكويت للولايات المتحدة فرصة نادرة لتحقيق عدة أهداف بحجة تحرير الكويت . أكثرها بشاعة ذلك التدمير غير المبرر للعراق حيث اعادته نحو ٥٠ سنة إلى الوراء**. ثم فرضت على الشعب العراقى حصارا اقتصاديا استمر حتى الان . مما يعنى أن الحرب التى شنتها أمريكا على العراق بحجة تحرير الكويت ما زالت تشن بشكل آخر منذ سبع سنوات . ومن المخزن أن صدام حسين الذى أعطى الولايات المتحدة الذريعة لشن حربها لتدمير العراق ما زال يعطيها مثل هذه الذريعة فى كل مرة يبحث فيها مجلس الأمن فى رفع العقوبات عن العراق مما ساعد على استمرار الحصار حتى الان.نحن فى الحزب الشيوعى العراقى ، نفهم الحقد الامبريالى الأمريكى على الشعب العراقى الذى عرف تقليديا بعدائه للامبريالية . وبجذريته فى نضاله من أجل الاستقلال والتقدم. ومن هنا كانت خشية أمريكا من أن يأتى على أنقاض نظام صدام حسين نظام ديمقراطى نقيض لنظامه .**ونحن نعتقد أن أمريكا تحاول منذ سبع سنوات سحق أى أساس مادى فى العراق لبناء نظام ديمقراطى حر فى بغداد.**

*** اليسار:**

وهل ترون أنه كانت هناك إشارات حقيقية في العراق على وجود بديل ديمقراطى للنظام الحاكم في بغداد فى أى فترة بعد الحرب العراقية الايرانية؟.

**** الجزائرى:**

فى الواقع يمكن الحديث عن أزمة النظام أكثر من الحديث عن وجود بدائل . ولكن القوى التى

حاربت النظام في كردستان، وتلك التي واصلت نضالها داخل العراق في ظروف الارهاب القاسية، وكذلك الجو العام والمزاج السائد كان يمكن لها، في ظل أي انفتاح أو انفراج أن تقفز قفزات كبيرة نحو إيجاد بديل ديمقراطي.

وهذا ما يفسر الحرب الشرسة التي يخوضها **صدام حسين** ضد هذه القوى ومنعه لها من النهوض ومن التوحد ومن تنسيق نشاطاتها ،وهذا هو عين ما يخشاه النظام الديكتاتوري في بغداد وتخشاه القوى المعادية لشعبنا.

*** اليسار:**

رغم أن أحدا لا ينكر عنف وشراسة الضربات التي وجهها النظام للمعارضة ، فان من الواضح أن هناك خللا في المعارضة نفسها من حيث تشتتها وارتباط بعضها بالخارج ومن حيث غلبة النزوع الايديولوجي على عملها مما قلل فعاليتها . ما رأيك؟.

**** الجزائري:**

ما ذكرته صحيح تماما . فحين نتحدث عن معارضة للنظام الديكتاتوري علينا أن نتحدث على أكثر من مستوى، **فهناك أولا مستوى المعارضة في معناه الحقيقي** وأعني بذلك مستوى الجماهير ، وموقفها معروف بمناهضته النظام ، سواء كانت هناك أحزاب أو لم تكن والشعب يعبر عن معارضته بأشكال مختلفة ومن جانب قطاعات واسعة من شعبنا . لذا فان محاولات البعض تسفيه المعارضة بكونها مجموعة من الأحزاب المتناثرة في خارج العراق . وبأن لها ارتباطات بالخارج أمر مرفوض. **المعارضة موجودة في داخل العراق . وأشكال معارضتها تتنامى والجماهير العراقية هي التي تقوم بأعمال المعارضة هذه.**

وثانيا: هناك المعارضة على مستوى أحزاب المعارضة. والتي تضم أحزابا تاريخية تعمل منذ سنين طويلة ولها جذور راسخة في المجتمع، مما يجعلها تنهض من جديد بعد كل ضربة تتلقاها وتذلل الصعوبات التي تعترضها ،وهي تتقدم وتتراجع لكنها تبقى عصية على الاقتلاع . وقد أثبتت الوقائع أن كل الحملات لابادتها ،ومن ضمنها حملات الابادة الجسدية الكبرى التي قام بها النظام الديكتاتوري خلال ربع القرن الماضي لم تفلح في القضاء على حزب **كالحزب الشيوعي العراقي أو حزب الدعوة الاسلامية.**

وهناك أحزاب أخرى حديثة النشأة ظهرت بعد حرب الخليج في الخارج . وهذه الأحزاب كثيرا ما تتعرض للانتقادات بسبب وجودها في الخارج ، لكن ظروف القمع والارهاب القائمة في العراق لا تترك أي فرصة لأي جهة سياسية بالعمل في داخل البلاد بين شعبنا فماذا علينا أن نفعل في ظل مثل هذا الوضع.



عراقية تشترى عظاما .. لتحضير الطعام للعائلة!

*** اليسار:**

لكن بعض هذه الأحزاب مارست ديكتاتورية فظة حين منعت حزبكم الشيوعي العراقي من حضور مؤتمر أحزاب المعارضة العراقية الذي عقد في دمشق في العام ١٩٩٦ رغم دوره المعروف في مقاومة النظام وتجربته الواسعة في العمل السياسي وتقديمه مئات الشهداء في سبيل الخلاص من الحكم الديكتاتوري؟.

**** الجزائري:**

عندما تحدثت عن الأحزاب الموجودة في الخارج بسبب عدم وجود أدنى فرصة للعمل السياسي في داخل العراق أردت أوضح نقطة مهمة حول الطبيعة القمعية للنظام ، وفي الوقت نفسه تفسير أسباب وجود حزب عريق كحزبنا في غالبيته العظمى في الخارج . وإن كان من الصحيح أن وجودنا كقيادة هو في داخل كردستان العراق ، وهي أرض عراقية رغم أنها غير خاضعة لسلطة النظام.

غير أن **هناك جانبا سلبيا لوجود أحزاب المعارضة في الخارج.** ويتمثل هذا الجانب في أن الدول الاقليمية التي تلجأ إليها الأحزاب ، وبرغم حديثها عن معاداتها لصدام و مناهضتها لديكتاتوريته وحرصها على الشعب العراقي وعلى وحدة العراق . ليس هناك من دولة واحدة قدمت كل ما تستطيع للمعارضة العراقية . وبالعكس فقد لعبت هذه الدول أداورا سلبية في تفتيت المعارضة العراقية وتشتيت قواها وفي منعها من الوصول إلى قواسم مشتركة وفي إقامة نوع من العلاقات الديمقراطية فيما بينها . **فوجود هذه الأحزاب في الخارج جعلها عرضة لتأثيرات الدول التي تحتضنها فلا أحد يدعم الآخر مجانا في زمن المصالح . وكثيرا ما**

حدث أن أحزاب المعارضة اقتربت فى بعض الأحيان من الاتفاق على حد أدنى من البرنامج المشترك لكن تدخل الدول الاقليمية كان يحول فى اللحظة الأخيرة دون تنفيذ ما تم الاتفاق عليه.

فى هذا الاطار جاءت حادثة إقصاء **الحزب الشيوعى العراقى** عن حضور اجتماع مؤتمر أحزاب المعارضة الذى عقد فى دمشق فى أواسط العام ١٩٩٦، فقد تدخل حزب **الدعوة الاسلامى**، بضغط من إيران ومعه بعض الأحزاب ذات التوجه الدينى وفرضوا إراداتهم بعدم حضور الحزب الشيوعى العراقى مؤتمر دمشق المشار إليه.

*** اليسار:**

وكيف تقيمون ممارسات من هذا النوع تصدر عن معارضة مقموعة ومنفية. ألا يذكر هذا بالضحية التى تتحول إلى ما هو أسوأ من جلادها إذا ما تسلمت الحكم؟.

**** الجزائرى:**

ان مثل هذه الممارسات لا تخدم العمل المعارض ولا تفسح مجالا للتقارب بين أحزاب المعارضة، وهو ما حذرنا منه مرارا وتكراراً، ودعونا إلى السمو على الخلافات والتخلص من دعاة التزعم والاستئثار واستثناء الآخرين. فهذا فى النهاية منطق صدام وأسلوبه.

وغنى عن القول أن مثل هذه الممارسات تسبب الأذى الشديد المترافق مع أذى الحصار الذى يفتك بالشعب العراقى. يضاف إلى هذا كله التضليل الاعلامى الذى تمارسه أجهزة اعلام **صدام حسين** مما يلحق أبلغ الضرر بصورة المعارضة ويؤدى بالجماهير التائقة للخلاص من نظام **صدام حسين** إلى اليأس والاحباط. **وليس سراً أن أخبار منعنا من حضور اجتماع دمشق كان مثار ارتياح النظام فى بغداد.**

*** اليسار:**

ان هذا يثير بالضرورة **مسألة الدعوات التى كثيرا ما سمعنا عنها إلى المصالحة مع النظام. ما هو موقف الحزب من هذه الدعوات إلى المصالحة؟.**

**** الجزائرى:**

فى هذا المجال يجب الانتباه إلى شئ واحد مهم هو أن مثل هذه الدعوات لم تصدر فى يوم من الايام عن النظام **العراقى. وهو الطرف الوحيد المؤهل لتوجيه مثل هذه الدعوة**. فهذا النظام هو الذى حكم البلاد بهذه الطريقة المدمرة وانتهك الديمقراطية وحقوق الانسان وشن حملات الابادة ضد الأطراف السياسية جميعا، وهو بالتالى الذى عليه توجيه مثل هذه الدعوة. لكنها يجب أن تكون مشفوعة باجراءات ملموسة تثبت أنه كف

الجماهير العراقية فى الداخل تعبر عن معارضتها بأشكال مختلفة

عن سلوكه الذى أدى بالعراق إلى هذا الوضع المأساوى **يجب أن تكون هناك ضمانات لحقوق الإنسان عموما ولحق الاحزاب والتنظيمات السياسية فى التنظيم والعمل. ويجب أيضا أن يكون هناك عفو عام عن عشرات الاف السجناء السياسيين وغير السياسيين** فمن المعروف أن القوانين الاستثنائية التى صدرت عن النظام منذ مجئ **صدام حسين** إلى الحكم تبيح للأجهزة الأمنية إعدام المواطنين على الشبهة. ولمجرد الشك فى عدائه للنظام. وهذه القوانين التى صدرت بالكيلو غرامات يجب أن تلغى وأن تقدم ضمانات فى هذا الشأن ناهيك عن عودة أكثر من مليونى عراقى شردوا فى أرجاء الأرض.

*** اليسار:**

هل هذا يعنى أنه إذا وجه النظام العراقى مثل هذه الدعوة فانكم فى الحزب الشيوعى العراقى على استعداد للاستجابة لها؟.

**** الجزائرى:**

حتى الآن لم تصدر مثل هذه الدعوة من جانب النظام كما قلت، وما صدر لم يكن أكثر من بالونات اختبار قامت بها أطراف محسوبة على النظام أو دعوات مبهمة وغير واضحة صادرة عن جهات لا صفة لها، ومن الملاحظ أن مثل هذه الدعوات غير الجادة وغير الرسمية لا تطرح امر المصالحة على النظام نفسه لمعرفة ما إذا كان مستعدا للمصالحة أم لا.

ما نعرفه عن النظام حتى الآن هو أنه يريد من المعارضة أن تعود إلى حظيرة النظام وتنضوى تحت خيمته وتركع للرئيس القائد وتتحول إلى جزء من نظامه الأمنى والمخابراتى هذا بالضبط هو ما يريده النظام أما المصالحة بالمعنى الذى أشرت إلي فغير مطروح أبداً.

*** اليسار:**

لكنا سمعنا عن مبادرات للمصالحة قام بها مكرم الطالبانى الذى كان من قادة الحزب الشيوعى العراقى وما زال على علاقة جيدة معه فيما نعلم؟.

**** الجزائرى:**

المبادرات التى قام بها **مكرم الطالبانى** كانت شخصية أو من جانب أطراف قريبة منه، فهو ما زال يقيم فى بغداد. لكن هذه المبادرات تتعلق بالوضع فى كردستان. والوضع فى كردستان هو، فى نظرنا جزء من الوضع فى العراق حل الجزء لا يغنى عن الكل. وأكرر أننا واضحون فى هذا الشأن على النظام أن يعلن بنفسه عن مبادراته بوضوح تام وعلى الأسس التى أوردناها سابقا وعندها لكل حادث حديث.

لكننى أعود وأذكر أن هذا النظام **ليس لديه استعداد لمشاركته السلطة من أى طرف بما فى ذلك حزب البعث** الذى حوله من حزب إلى جهاز قمعى. ومن خلال تجربتنا معه أيام الجبهة فإن الغدر صفة ملازمة له. وهذا ما نكرره على مسامع بعض القوى التى تشعر بالتعب أحيانا فتبدأ بالبحث عن مصالحة مع النظام.

*** اليسار:**

طالما أن النظام على هذه الدرجة من فقدان المصداقية بحيث لا يمكن الركون إلى وعوده، وهو فى الوقت نفسه لم يوجه دعوة للمصالحة مع المعارضة، كما أن المعارضة على درجة كبيرة من التشتت والتفكك فإن الأمل يبقى فى أن يقوم الشعب العراقى فى الداخل بتحرك مضاد. والسؤال فى هذه الحالة هو ما هو الوزن الحقيقى للمعارضة فى الداخل؟.

**** الجزائرى:**

يجب الاعتراف بأن نشاط المعارضة فى الداخل ما زال محدودا بحيث أنه لا يتجاوب مع متطلبات التغيير فى العراق والسبب كما هو معروف يعود إلى السطوة الكبيرة التى ما زالت عليها الأجهزة الأمنية. **وبرغم أن الشعب العراقى يتضور جوعا فان مخصصات الاجهزة الأمنية، وبخاصة تلك المخصصة فى توجيه الضربات لأى شكل من أشكال العمل التنظيمى. لم تتقلص بل زادت لأن حماية النظام أصبحت مرهونة بها.**

وقديما كان المناضل مستعدا لأن يقبض عليه وأن يتم تعذيبه وحتى إعدامه. أما الان فإن عليه توقع إعدام عائلته بأكملها أو اغتصاب زوجته أمامه أو تعذيب أطفاله وغير ذلك من أساليب العقاب الجماعى.

*** اليسار:**

لو انتقلنا إلى التخصيص، ماذا عن الحزب الشيوعى العراقى ومحاولاته لإعادة بناء منظماته القاعدية فى العراق؟.

الجزائرى:

باختصار يمكن القول أن النظام عجز عن تحويل حزبنا إلى حزب مهاجر برغم الضربات الشديدة التى وجهها لنا. واليوم فان لنا وجودا ليس فى كردستان العراق فقط بل وفى بغداد نفسها وفى محافظات الجنوب وحتى فى المحافظات الأربع التي لم تشارك فى انتفاضة مارس ١٩٩١ والتى يطلق عليها

النظام اسم المحافظات البيضاء، لنا فيها وجود.

*** اليسار :**

يتعرض العراق منذ سبع سنوات لحصار بشع . وكلنا يعرف أن الشعب العراقى هو المتضرر الأساسى منه وليس النظام . هل لنا أن نتعرف على الموقف الحقيقى للحزب الشيوعى العراقى من الحصار وبماذا يختلف عن موقف التنظيمات والقوى الأخرى؟.

**** الجزائرى :**

هنالك أطراف فى المعارضة تعتقد أن الحصار الاقتصادى المفروض على العراق هو لاسقاط نظام **صدام حسين**. وأن رفعه عنه سيساهم فى تقوية النظام ومنحه القدرة على النهوض من جديد واستئناف عمليات القمع للمعارضة.

ونحن فى الحزب الشيوعى العراقى نرى أن رفع الحصار عن العراق بالشكل الذى يطالب به صدام بحيث يتيح لصدام أن يعود إلى التصرف بالمليارات التى يجنيها من عائدات النفط فى تعزيز أجهزته الأمنية وتقوية أجهزة القمع لديه فأن تلك ستكون طامة كبرى . ولكن من جانب آخر فاننا ندرك أن صدام حسين والمحيطين به هم آخر من يتأثر بالحصار . وأن من يتأثر به حقا هو الشعب العراقى أى أهلنا الذين نناضل من أجلهم.

إلى ذلك **فاننا لا نعتقد بأننا يجب أن نعلق آمالا على الحصار لاسقاط النظام فالحصار عامل خارجي ونحن نؤمن بأنه اذا كان للنظام أن يسقط فإن ذلك يجب أن يكون من الداخل وعلى أيدى الجماهير العراقية وليس غيرها**. ومن هنا جاءت مطالبتنا فى مؤتمرنا السادس الذى عقدناه فى كردستان العراق فى شهر يوليو من العام الماضى برفع الحصار الاقتصادى عن الشعب العراقى وليس عن النظام.

*** اليسار :**

ولكن هل هذا ممكن عمليا؟.

**** الجزائرى:**

عندما نطالب برفع الحصار عن الشعب دون النظام، فاننا نعنى ما نقول وندرك أبعاده . وفى اعتقادنا أن الآلية الراهنة لتنفيذ القرار ٩٨٦ الصادر عن مجلس الأمن الدولى والقاضى بتصدير ما قيمته ملبونا دولار من النفط كل ستة شهور . وباشراف الأمم المتحدة على عوائد النفط هذه وتوزيعها الغذاء والدواء على الشعب العراقى مباشرة وعدم ترك النظام يتصرف فى هذه العوائد، نعتقد أن هذه **الآلية برغم السلبيات العديدة فيها وبرغم تحفظنا على الكثير من جوانبها ، هى آلية معقولة** نطالب أيضا بزيادة كميات النفط بل اطلاق التصدير ليس لشراء الغذاء والدواء فقط بل ولتوفير كافة الحاجات الانسانية للشعب العراقى تحت اشراف الأمم المتحدة . واتاحة المجال لإعادة الحياة الطبيعية لبلدنا وإعادة الدورة الانتاجية فيه وإصلاح المصانع وإحياء المؤسسات . ولكن يجب أن يتم هذا كله بعيدا عن السلطة الديكتاتورية الحاكمة. وأن يتم مع إبقاء العقوبات السياسية والدبلوماسية والعسكرية وكل أنواع العقوبات الأخرى التى يتأثر بها النظام دون الشعب.

نحن لا نعتبر اقتراحنا هذا هو الحل الأمثل لما يعانيه شعبنا . الحل الأمثل هو رفع الحصار تماما عن الشعب العراقى وخلاصه من الديكتاتورية الجاثمة على صدره.وفى الوقت الذى نعلن فيه موقفنا هذا فاننا ندين التدخلات المؤلمة فى حياة الشعب العراقى .كما ندين هؤلاء الذين يستغلون أخطاء النظام وعثراته ويستغلون **حماقات صدام حسين** ليواصلوا الضغط على الشعب العراقى.

*** اليسار:**

هل تعتقدون أن الولايات المتحدة تريد حقا اسقاط صدام حسين أم أنها تريد تغييرا تجميلياً فى النظام . أم أنها ببساطة تريد تعذيب شعب العراق وإذلاله؟.

**** الجزائرى:**

الوقائع تثبت أنه ليس فى نية الولايات المتحدة اسقاط صدام حسين فى الظرف الراهن على الأقل . وربما يتغير الأمر فى المستقبل ، غير أنه ليس هناك ما يشير إلى رغبة حقيقية لديها لاسقاط نظام صدام حسين ،وقد حدث أكثر من مرة أن تدخلت الولايات المتحدة لتنقذ صدام من محاولة لقلب نظامه على أيدى أطراف لا ترغب فيهم أمريكا .كما حدث فى العام ١٩٩٣.

نحن نعتقد أن الولايات المتحدة تريد اسقاط صدام حسين فى الوقت الذى تريد هى ذلك . أى حين تعثر على بديل مناسب من وجهة نظرها لصدام فضلا عن ذلك فان نظام صدام ما زال له دور يلعبه فى مجال عملية السلام فى الشرق الأوسط مثلا . فوجود **صدام** يضمن عدم دخول الثقل العراقى للتأثير على التسوية فى الشرق الأوسط والذريعة هى أن النظام يخضع لعقوبات دولية.

وجود أحزاب المعارضة فى الخارج، جعلها عرضة لتأثيرات من الدول التى تحتضنها

وهناك جانب آخر للقضية يتعلق بحصة العراق من النفط والتى وزعت على المملكة العربية السعودية والكويت ودول أخرى من منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) مما يجعل من عودة العراق إلى السوق النفطية سببا فى الاخلال بتوزيع الحصص كما هو الآن.

هذه مجموعة الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن الولايات المتحدة لا ترغب فى اسقاط نظام صدام حسين ، وتشاركنا فى هذا الاعتقاد الغالبية العظمى من الشعب العراقي حيث لا يوجد هناك عراقى واحد يعتقد بان صدام باق فى منصبه رغما عن إرادة أمريكا.

*** اليسار :**

هناك من يتهم المعارضة العراقية بالعلاقة مع الولايات المتحدة ، بل ومع كافة المخابرات المركزية الأمريكية ما رأيكم فى هذا الاتهام.

**** الجزائرى:**

لقد نشرت بعض وسائل الاعلام وبخاصة تلك المقربة من الأوساط الأمريكية عن إن هذه الجهة أو تلك من اطراف المعارضة العراقية تلقت معونات من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .غير أن هذا يتعلق بجهات محددة ومعروفة بالاسم ومن الظلم والتجنى أخذ المعارضة العراقية بمجملها بجريرة تنظيمات تعلن عداءها **لصدام حسين** وتتلقى المساعدات من المخابرات المركزية الأمريكية. وهذا يذكرنا بالمحاولات التى قرنت بين النظام العراقى والشعب العراقى بعد اجتياحه الكويت.

ما أود أن أقوله هو **أن المعارضة العراقية . والحزب الشيوعى العراقى جزء أساسى منها . كانت وما تزال وستبقى معارضة وطنية**. ولعل أكبر خدمة نقدمها لنظام **صدام حسين** نعت المعارضة العراقية جملة وتفصيلا بالعمالة لامريكا . وترديد مثل هذه الافتراءات يسهم مهما حسنت النوايا بتسويد صفحة المعارضة وتبييض وجه النظام.

انتقال السلطة فى جنوب أفريقيا

من نيلسون مانديلا .. إلى ثابومبيكى

فى مؤتمر «حزب المؤتمر الافريقى» الأخير الذى انعقد فى منتصف ديسمبر ١٩٩٧ بجنوب افريقيا، سلّم الزعيم **نيلسون مانديلا** قيادة الحزب لزميله فى النضال **ثابو مبيكى**، ، ويسلمه رئاسة الجمهورية فى أبريل عام ١٩٨٨. **وهكذا تنتهى قيادة مانديلا التاريخية ، وينتهى عصر ، ليبدأ عصر جديد تماما فى جنوب أفريقيا.**

وذكر **مانديلا** فى آخر خطاب له- استمر خمس ساعات -كرئيس للحزب، وأمام ثلاثة آلاف مندوب حزبى، « **أن الثورة مستمرة**»، **وحذر من القوى التى تريد تدمير الديمقراطية الوليدة فى جنوب أفريقيا.**

واتهم وسائل الاعلام التى يمتلك البيض معظمها بأنها تتآمر مع منظمات غير حكومية، لتقويض الحكومة التى يقودها السود.

واتهم القطاع الخاص بأنه يقدم نماذج عنصرية للملكية الفردية، والهيمنة الاقتصادية.

واتهم أحزاب البيض المعارضة الأساسية بأنها تدافع عن الميزات التى يتمتع بها البيض.

نظم الزعيم نيلسون مانديلا «حزب المؤتمر الافريقى» ، ووضع سياساته ، ونظم الكفاح المسلح ضد الأبارتيد ، ووضع أسس «الوحدة العنصرية» لشعوب جنوب أفريقيا ، البلد المتعدد الأجناس والديانات والاثنيات. فكانت سياسة فريدة من نوعها ، ودفع من أجلها هو ورفاقه سبعة وعشرين عاماً من حياته فى السجن. وتجسدت هذه السياسات فى عضوية الحزب الوطنى الافريقى الذى يضم جميع الأجناس بين صفوفه وقياداته، بما فى ذلك البيض، الذين عين بعضهم فى الوزارات ، وعلى رأسهم نائب وزير المالية **جيل ماركوس.**

التماسك العنصرى

وتلقى سياسة «التماسك العنصرى» التى يطبقها « **الحزب الوطنى الافريقى** » الحاكم، مصاعب جمة أمام التحسن الاقتصادى البطئ لمعيشة السود، رغم أنهم يشاركون فى السلطة السياسية الآن. ودفع وزير المالية **تريفو مانويل**، ثمن عدم شعبية سياساته ، عندما فشل فى انتخابات اللجنة التنفيذية القومية للحزب.

وهكذا تكون المهمة الأولى لرئيس الحزب الجديد ثابومبيكى، هى منع تآكل شعبية الحزب ، وتأييد حكومته ، وسيكون هذا ضروريا لكى يستمر فى السلطة ، وبالتالى فوزه فى الانتخابات الرئاسية التى ستجرى فى أبريل ١٩٩٩ . وسيؤكد هذا الانتقال التدريجى فى السلطة الثقة الدولية فى جنوب افريقيا وسياسات حكومتها واستقرار الأوضاع فى البلاد.

وأكد هذا الخطاب السياسة الحكيمة «للحزب الوطنى الافريقى» ، إذ ضحى الزعيم **نيلسون مانديلا** ،كما قال أحد المعلقين الغربين: بجزء صغير من صورته المتسامحة تجاه البيض ليقوى من زعامة **ثابو مبيكى** الذى تسلم قيادة الحزب، فإذا اضطر عندما يتسلم الرئاسة أيضا أن يتشدد تجاه البيض، فقد أعطته خطبة الزعيم **نيلسون مانديلا : الشرعية والاستمرارية.**

الرئيس الجديد

من هو ثابو مبيكى؟

لا يعرف الكثير عن حياته الشخصية، لكنه نجل أشهر شيوعيى جنوب افريقيا الذى



مانديلا ومبيكى .. فى المؤتمر ٥٠ لحزب المؤتمر

مجدى نصيف

يعيش حتى الآن، وهو **جوفان مبيكى** ، فى الثامنة والسبعين من عمره. أما **أيديولوجية الرئيس الجديد، فتتلخص فى جملة واحدة ، قالها عام ١٩٩٦ «أنا أفريقى»**. وهناك ثلاثة فى تاريخ جنوب أفريقيا المعاصر يقال عنهم «انهم محررى جنوب افريقيا»: **وهم مانديلا ، وسوسولو ، ومبيكى(الاب)**. وجزء كبير من التضحية التى يدفعها أى ثورى، هو أنه يقضى حياته هارباً من البوليس ، ومتخفيا ، ومسجوناً أو معتقلاً ، وبالتالى لا تكون له حياة عائلية عادية مثل بقية الناس. وهذا هو الثمن الذى دفعه **مبيكى**.

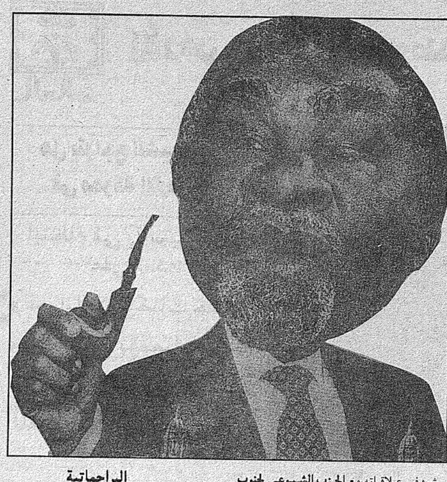
وكان **لجوفان مبيكى** الأب ، أربعة إخوة، كان هو أصغرهم ، ثم كان له أربعة أطفال، **ثابو** ثانيهم. وأخوه الأصغر منه رجل أعمال، أما أخته الأكبر فصاحبة محل عطور بجوهانسبرج. وقتل البوليس الابن الاصغر **جاما**، فى كمين، ولم يعرف أين دفن ، حتى هذه اللحظة. ولم يكن الابن هو الوحيد الذى يختفى هكذا اختفاء غامضاً، من عائلة **جوفان مبيكى**.

ويقول الأب جوفان عن نجله فى طفولته، أنه كان قارئاً نهماً، فقرأ من مكتبة أبيه كل ما لديه من **ماركس وانجلز ولينين وماو وكتبه هو شخصيا (الأب)** . والتحق بمدرسة سرعان ما أغلقت عام ١٩٥٩ بسبب إضراب، فأكمل تعليمه بالمنزل. **وانضم إلى الحزب الشيوعى وإلى الحزب الوطنى الافريقى**. وقال أحد كتاب تاريخ حياته انه انضم إلى « **منظمة الشباب**» التابعة للحزب الوطنى الافريقى» وهو فى الرابعة عشرة من عمره.

وانتقل **ثابو** إلى إحدى مدارس جوهانسبرج ، ليحصل على شهادته الثانوية. وتزوج وأنجب ابنه الوحيد الذى اختفى بعد ٢١ عاماً فى ظروف غامضة مثل عمه. وناشدت والدته «لجنة الصدق والعفو» البحث عن ابنها العام ١٩٩٦ ، دون جدوى . وفاز ثابو، بسبب تفوقه فى الشهادة الثانوية، بمنحة بجامعة **ساسيكى ببريطانيا** ، فى الاقتصاد ، ثم حصل على الماجستير بدراسة مقارنة عن الصناعة فى الصين ونيجريا.

وعاد إلى بلده ليكافح . وفى عام ١٩٧٠ اضطر إلى الاختفاء ، عندما أصبح منزلهم تحت مراقبة بوليس **الأبارتيد** . وأخذ البوليس البريطانى وبوليس جنوب افريقيا ، يبحث عنه ، لكنه كان كإبرة فى كوم من القش. **وحقيقة الأمر أنه كان قد ذهب إلى روسيا للتدريب العسكرى من أجل الكفاح المسلح، وليدرس الماركسية «بمعهد لينين»**.

ولا يستطيع الدارسون أن يتوصلوا إلى



شئ فى علاقاته مع **الحزب الشيوعى لجنوب افريقيا**، فكل الدراسات الرسمية لتاريخ حياته التى نشرت حتى الآن تقول أنه«**عضو بالحزب**» ، وأنه انتخب بمكتبه السياسى عام ١٩٧٩ ، وأعيد انتخابه به فى الثمانينات ، حتى عودته لاخر مرة إلى جنوب افريقيا عام ١٩٩٠ . ولا يقول والده شيئا، ولا يضيف إلى ما قاله شيئا سوى« **انه استقال من الحزب بسبب «براجماتيته»** ،**وعلى أساس أن هذه الاستقالة ستفتح أمامه الطريق إلى قيادة «الحزب الوطنى الأفريقى» عندما تصبح جنوب افريقيا ، ديمقراطية**.

وهو ما حدث بالفعل.

ويقول **جوفان مبيكى** الأب:

«لن يقبل الأفارقة أن يقود الحزب الوطنى الافريقى شيوعياً . انهم يقبلون أن يعمل الشيوعيون بحرية مطلقة ، وكذا الشباب ، والنساء ، والنقابيون ، ويقبلون البيض والمليونير والهنود».

هل ما زال مبيكى- الابن ماركسياً؟

هنا يقول الأب المناضل:

-«**لا يمكن أن ينتزع أحداً الفكر الماركسى من عقل أحد . فما بالك بمناضل افريقى . إنه لم يهجر الماركسية وان كان قد ترك الحزب الشيوعى**».

البراجماتية

المؤكد أن طريق ثابو مبيكى لن يكون مستقيما ولكن، البراجماتية » ستكون خطه الأساسى، تطبيق ما يمكن تطبيقه ، وتأجيل الصعب الذى يصطدم بالظروف. إن هذا أصعب بكثير من الطريق المستقيم السهل. وجرّب البراجماتية ، وعرفها ، منذ كان السكرتير السياسى لرئيس الحزب الشيوعى **أوليفر تمبو** ، ثم وهو رئيس« **إدارة المعلومات**» بالشئون الخارجية للحزب ، وأخيراً كنائب لرئيس الدولة الزعيم التاريخى **نيلسون مانديلا** .

لقد كانت هذه «البراجماتية» ضرورية أثناء الاجتماعات مع ممثلى نظام «**الاربارتيد**» للوصول إلى تسوية. كان مطلوباً عدم التخلى عن الثورية والقضايا الأساسية ، والتنازل فى القضايا الثانوية. كان لابد من «البراجماتية » ولكن إقامة «الحدود» فى الوقت نفسه، حتى لا تتحول المحادثات إلى «بيع » القضية بأكملها.

والمؤكد أن عصر ما بعد الزعيم مانديلا سيشهد مزيداً من الانطلاق بالنسبة للنقابات والشباب والمرأة ، وكل الاقليات.



الأرض.. والقوى الوطنية فى روسيا


زيوجانوف

هل يتراجع الشيوعيون فى معركة الأرض؟!

النظام فى روسيا تتربع على قمته:

* عصابات بقبضات خشنة
* وعصابات بقمصان بيضاء
* وعصابات ترتطن بمختلف اللغات الاوروبية

فى ٥ يناير عام ١٧٧٥ تجمع النبلاء والرعاع فى موسكو ملتفعين بالبلاطى والقلنسوات ليشهدوا فى البرد القارس موكبا رهيبا يشق الشوارع ببطء صوب ميدان بولوتنايا: الحراس بالمشاعل يحيطون عربة تجرها الخيول: نصب فوقها قفص حديدى ضخم وقف بداخله أحد أعظم الفلاحين الذين عرفهم تاريخ روسيا: **يمليان بوجاتشوف**. كان جنود القيصرة **يكاترينا الثانية** قد ألقوا القبض عليه أخيرا بعد أن قاد على مدى عامين إحدى أكبر الانتفاضات الفلاحية، احتل القلاع، والمدن، حتى أرغم **يكاترينا** على توقيع صلح مع تركيا لتتفرغ جيوشها لمواجهته.

وفي ٥ يناير تم إعدامه على مرأى من الشعب ليكون عبرة للآخرين. وبكته فئات واسعة باعتباره« الامبراطور **بطرس الثالث**» كما ادعى عام ١٧٧٣ لتجميع الفلاحين حول رمز شرعى، وبكاه الفلاحون بغض النظر عما إن كان **بطرس** أم **بوجاتشوف القوزاقى** العملاق الذى رأى على حد قوله: **أن الشعب فقير فى كل مكان« ويتعرض لكثير» من الاهانات والضرب.**

ووعد بوجاتشوف فى بياناته التى كان يوزعها فى القرى بأن تغدو: «الأرض والعشب والبارود والخبز» ملكا للجميع.

وكانت روسيا قد عرفت قبل **بوجاتشوف** فلاحا آخر ثائرا هو **ستيبان رازين** الذى تزعم حربا فلاحية على ضفاف نهر الدون لتحرير الفلاحين من ربقة العبودية. وحتى عام ١٧٩٧ كان يمكن للقارئ الروسى أن يطالع إعلانات فى صحيفة **«موسكوفسكى فيدموستى»** من النوع التالى: **«معروض للبيع ثور وبقرة أصيلان بسعر مناسب وفلاح وزوجته التى تجيد الطبخ والكى».**

وفقط عام ١٨٦١ صدر مرسوم القيصر **الكسندر الثانى** الذى ألغى به تملك وبيع وشراء الفلاحين بعد أن كان سادتهم يقامرون عليهم أثناء لعب الورق. **وبالغاء القنانة أصبح الفلاحون «أحراراً» ولكن جوعى ومعدمين حتى أصدر لينين مرسوما فى ٢٦ أكتوبر ١٩٩٧ يعلن فيه تأميم الأرض واستبعادها من مجال التداول السلعى** وصودرت الأرض دونما تعويضات خلافا لما حدث فى بلغاريا والمجر وفيتنام التى فضلت دفع تعويضات. ولكن الفلاحين تعرضوا خلال مرحلة «الشيوعية الحربية» لمصادرة المحاصيل وإجبارهم على تسليمها للدولة بأسعار الحكومة.

وفيما بعد شاع شكلان رئيسيان للانتفاع بالأرض: «**السوفخوزات**»(مزارع الدولة) و«**الكولخوزات** »(المزارع التعاونية) مع شكل ثالث ثانوى أطلق عليه«القطاع الشخصى» ويشمل الانتفاع الشخصى المحدود لقطع صغيرة من الأرض تحيط عادة بالبيوت فى الأرياف لسد الاحتياجات الخاصة لكل عائلة لا أكثر. لكن سيطرة الدولة على الأرض -بتلك الأشكال -لم تحل المشكلة الزراعية، ولم يتم الارتقاء بأحوال الفلاحين.

ثم اقدم **نيكيتا خروتشوف** على خطوة غير مدروسة عام ١٩٥٦ حينما صادر قطع الأراضى الصغيرة التى شكلت أساسا للقطاع الخاص الضعيف فى الزراعة. وتعثر قطاع الزراعة سنوات **بريجنيف** ذاق الريف خلالها طعم الجوع الحقيقى غير المعلن.

رسالة موسكو

أحمد الخميسى

ومن جديد ارتطمت روسيا بعد زوال الاتحاد السوفيتي بنفس القضية، وأخذ نظام الرئيس **يلتسين** -بروشتة صندوق النقد الدولي- يخوض آخر وأهم موقعة إصلاحية: **خصخصة الأرض . وبينما تمكن نظام يلتسين من تصفية الأيديولوجية الاشتراكية السوفيتية على مدى سبع سنوات ما بين ١٩٩١- ١٩٩٨ بالكامل، وتعميم قاموس لغوى يومى واجتماعى وسياسى وإعلامى جديد، وتصفية المؤسسات الصناعية الكبرى والمتوسطة التابعة للدولة ، فانه فضل إرجاء موضوع خصخصة الأرض الروسية لأطول مدى ممكن،** والواضح أن «الأرض» عادة ما تكون أصعب قضايا الاصلاح وعادة ما يؤجل حسم مصيرها للحظات الأخيرة نظرا للعلاقة الوثيقة الحميمة بين الفلاحين والأرض.

والحديث عن الأرض فى روسيا حديث عن مائتى وعشرين مليون هكتار أو سدس مساحة روسيا، وعن تسعة وثلاثين مليون نسمة أى عن أكثر من ربع تعداد الشعب الروسى ، ويلح الاصلاحيون على طرح الأرض للبيع والشراء ، ولكن دون أن يطرح الاصلاحيون والحكومة برنامجا محددا كما حدث من قبل عندما أنجزت روسيا الاصلاح الاقتصادى والمالى وخصخصة المؤسسات الصناعية دون برنامج واحد مطبوع أو مقروء يحدد مراحل الاصلاح! . وليس فى خطة الاصلاح الزراعى الحكومى سوى بند واحد: **تحرير الأرض وطرحها كسلعة فى السوق.**

ويسمح المشروع الذى تتمسك به الحكومة **بتمليك الأرض لكل من يكون مستعدا لفلاحتها.** إلا أن هذه العبارة العامة عادة ما تفتح الأبواب على مصراعيها لظهور فئة ضخمة من فلاحين لم يمسكوا فأسا فى حياتهم ، ومضاربين ومستثمرين أجانب، **وباختصار فإن تلك العبارة تفتح الباب لنهب أغلى سلعة فى روسيا بأرخص الأسعار ، خاصة فى ظل النظام الروسى الذى تتربع على قمته عصابات بقبضات خشنة ، وعصابات بقمصان بيضاء ، وعصابات ترطن بمختلف اللغات الأوروبية .**

ويعيد ذلك إلى الذاكرة ما كتبه الروائى العملاق **ليف تولستوى** عام ١٩٠٦ حينما قام **بيوتر ستولبين** رئيس الوزراء عهد **نيقولاى الثانى** بإصلاح زراعى . حينذاك كتب **تولستوى**:«إن صراعا عنيفا يدور الآن حول الأرض». **ويعلمنا التاريخ أن المنتصرين فى ذلك الصراع كانوا دائما -ليس الذين يفلحون الأرض- ولكن الذين يعتلون المناصب الحكومية»!.**

وما زالت أمثلة الفساد فى خصخصة المؤسسات الصناعية شاهدا على شهية طبقة الروس الجدد التى يسيل لعابها على امتلاك الأراضى . ولكن مشروع «قانون الأرض الزراعية» الذى طرحه **يلتسين** كان موضع خلافات شديدة مع المعارضة البرلمانية وقسمها الأساسى من الشيوعيين . فالشيوعيون ومعهم الحزب الزراعى بزعامة **ميخائيل لابشين** يرفضون السماح بحرية بيع وشراء الأراضى دون ربط تلك الحرية بقيود معينة تمنع المضاربة فى الأرض كسلعة ، ويعدد من الضوابط التى تربط خصخصة الأرض بشرط استغلالها فى الزراعة. وعلى سبيل المثال فإن ثمة نصوصا صريحة حتى فى أمريكا تمنع المضاربة فى الأراضى ، بينما تنص دساتير دول أخرى أوروبية على أن الأرض «ثروة قومية» . وكان الدستور السوفيتى فى آخر تعديل له عام ١٩٧٧ ينص على أن الأرض منفعة عامة لكن الدستور الروسى الجديد الذى أقر فى ديسمبر ١٩٩٣ ينص فى المادة التاسعة منه على أن:«الأرض وغيرها من الموارد الطبيعية يمكن أن تكون مملوكة ملكية خاصة أو عامة أو بلدية أو غيرها من أشكال الملكية »، كما تشرع المادة الثامنة للملكية الخاصة وعلى حمايتها بشكل عام.

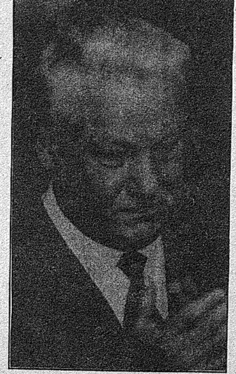
وعلى المستوى السياسى فان معركة الأرض قد تكون آخر المعارك التى ستخرج الشيوعيين الروس نهائيا من الساحة السياسية الفعلية لتضعهم فقط بين أسوار النضال البرلمانى وحده. ذلك أن الحكومة والشيوعيين قد تجاوزوا معا بحلول مشتركة كل القضايا الخلافية الحادة كتوسع حلف الناتو، وميزانية هذا العام التى تصفها الصحف الليبرالية بأنها «أسوأ ميزانية فى تاريخ روسيا» ، وتبعية الحكومة الروسية المطلقة لصندوق النقد الدولى . ولم يبق فعليا سوى ورقتين: الخلاف على تصديق البرلمان من عدمه على معاهدة ستارت- التى وقعها **يلتسين وجورج بوش** أواخر ١٩٩٣ وما زال البرلمان يرفض التصديق عليها ، ثم ورقة الأرض الزراعية.

وقد هدد الشيوعيون الذين يشكلون الأغلبية البرلمانية بإقالة الحكومة خمس مرات الأولى عام٩٤ ، وثلاث مرات عام ١٩٩٥ فى أبريل ، ثم فى يونيه ، ثم فى يوليه ٩٥ بعد استيلاء الشيشان على مستشفى بوديونوفسك .وكانت آخر محاولة لاقالة الحكومة فى أواسط اكتوبر ٩٧ . وفى كل تلك المرات تراجع الشيوعيون عن مطلب الاقالة. وفى نفس الوقت شهدت الشهور الأخيرة من عام ٩٧ حالة وفاق سياسى برلمانى مع الرئيس يلتسين اتضحت معالمه بقبول الرئيس لاقالة **أناتولى تشوبايس وبوريس نيمستوف** (قلب الفريق الاصلاحى الشاب) من منصب نائب رئيس الوزراء استرضاء للشيوعيين ، ثم قبول الرئيس بأدوات غير دستورية لادارة الحوار السياسى مثل« **اللقاء الرباعى**» بينه وبين رئيس الوزراء من جهة ورئيسى مجلسى البرلمان من جهة أخرى.

وفى نفس الاطار طرحت «فكرة» منضدة الحوار المستديرة «التى التقى يلتسين من حولها بقادة المعارضة لأول مرة فى تاريخ الصراع السياسى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٩٧ تحديدا لمناقشة «مشروع قانون الأرض الزراعية»،وفى إطار ذلك الوفاق وقع يلتسين على قانون عمل الحكومة الذى نادى به البرلمان طويلاً والذى وسع من صلاحيات الرقابة البرلمانية على الحكومة.**وإذا وافق الشيوعيون الآن على قانون الأرض- وهو الأرجح- أو عثروا على ما يسمونه بالحل الوسط فانهم سيعلنون بتلك الموافقة خروجهم من تاريخ الصراع السياسى الحقيقى وتحولهم إلى كتلة برلمانية لتحسين وإعادة صياغة مشاريع القوانين الحكومية.**

وعمليا فإن علاقات السوق قد غمرت إلى حد كبير الأرض الزراعية ووفقا

يلتسين



لتصريحات أدلى بها فى ٢٧ ديسمبر ٩٧ **بوريس نيمستوف** ووزير الطاقة المرشح لرئاسة روسيا فان: أكثر من **اثنين وستين بالمائة** من الأراضى أى مائة وسبعة وثلاثين مليون هكتار (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) يقع فعلا فى حوزة الملكية الخاصة لأكثر من أربعة وأربعين مليون نسمة. بينما يقع سبعة وثلاثين وتسعة من عشرة فى المائة فى حوزة ملكية الدولة. وخلال عام ١٩٩٧ تمت نصف مليون عملية بيع وشراء بعقود فى المقاطعات التى استنت لنفسها قوانين تسمح بذلك كما هى الحال فى سمارا وتولسكايا وغيرها».

لكن ذلك كله يرتطم بغياب التشريعات التى تقنن تلك العمليات رسميا، أما قطع الأراضى الزراعية الصغيرة المحيطة بالبيوت الريفية فقد جرى تخصيصها فى السنوات القلائل الماضية.

وعمليا فان علاقات وأشكال الملكية الخاصة بدأت فى الظهور على نطاق محدود بدءا من عام ١٩٨٧ مع اصلاحات **جورباتشوف** وتحديدا مع صدور قانون نشاط العمل الفردى، ثم قانون التعاونيات فى يوليه ١٩٨٨، ثم مرسوم مجلس السوفيت الأعلى حول علاقات الايجارات عام ٨٩، وأخيرا قانون الملكية فى الاتحاد السوفيتى الصادر فى مارس ١٩٩٠. وترافق ذلك مع صدور قانون المزارع الفلاحية الخاصة عام ١٩٩٠، ثم مرسوم الرئيس يلتسين حول ما أسماه «الاجراءات العاجلة لتنفيذ الاصلاح الزراعى» فى ٢٧ ديسمبر ١٩٩١.

وقد فتحت جملة تلك القوانين الباب لتطور الملكية الخاصة فى الزراعة كما أن عملية الاصلاح الاقتصادى التى سادت فى المجالات الاخرى بدءا من يناير ١٩٩٣ دفعت القطاع الزراعى فى اتجاه التحولات العامة نحو علاقات السوق الرأسمالية.

وعلى حين لم يتجاوز عدد المزارع الفلاحية الخاصة تسعمائة وحدة عام ١٩٩٠، فإن هذا العدد قفز فى أكتوبر ١٩٩٢ إلى أكثر من مائة وسبعة وعشرين ألف وحدة. ثم قفز فى نهاية ١٩٩٣ إلى مائتى وسبع وستين ألف وحدة مملوكة ملكية خاصة؛ وعامة بلغت مساحات المزارع الخاصة التى تم تخصيصها أحد عشر مليون هكتار عام ١٩٩٣. أما القطاع الشخصى (الأراضى المحيطة بالبيوت) فاستحوذ على ستة ملايين هكتار استغلها حوالى ستة عشر مليون فرد. وشكل انتاج المزارع التعاونية والقطاع الشخصى عام ١٩٩٣ **٣٨٪** من إجمالى الانتاج الزراعى فى روسيا منها **٣٣٪** للقطاع الشخصى الذى كان قائما فعليا قبل الاصلاحات، و٥٪ للمزارع الخاصة الجديدة.

وبالرغم من كل ذلك فان نطاق التمليك الخاص للأرض لم يتجاوز نسبة ضئيلة أى ٧ر٧٪ من المساحة الاجمالية للأرض المزروعة.

«الأرض والعشب والبارود والخبز.. ملك للجميع» بوجاتشوف



لينين.. تأميم الارض

ولدفع عملية بيع وشراء الأراضى أصدر الرئيس **يلتسين** فى الأول من فبراير عام ١٩٩٤ المرسوم رقم «**٧٧٨٧**» بشأن التشريعات الخاصة فى المجال الزراعى مستهدفا مطابقة التشريعات الخاصة بالأرض مع مواد الدستور الذى صدر قبل ذلك بأربعة شهور. وألغى المرسوم التقسيمات السابقة للأرض (أرض زراعية -أرض بناء- الخ) مكتفيا بضرورة ذكر الهدف من استغلال الأرض فى عقود الملكية. وبموجب نفس المرسوم أصبح من حق الأجانب افرادا أو شخصيات اعتبارية تملك الأراضى فى الاتحاد الروسى، وهو الحق الذى كان قاصرا من قبل على أعضاء الكولخوزات والسوفخوزات والمؤسسات الزراعية التعاونية.

وقد انتهى الرئيس **يلتسين** بعد لقائه بقادة المعارضة فى ٢٦ ديسمبر -٩٧- ومن بينهم **جينادى زوجانوف** -تشكيل لجنة وفاق لتدرس مختلف وجهات النظر المطروحة على أن تعد بعد ذلك مشروعا توفيقيا خلال ثلاثة شهوريكون أساسا لمشروع «قانون الأراضى الزراعية» الذى سيطرح الأرض فى روسيا للتداول كسلعة فى السوق. ولكن الرئيس استبق إعداد القانون فأصدر فى ٢٧ نوفمبر ١٩٩٧ مرسوما ينص على: «بيع قطع الأراضى فى المدن والقرى إلى الافراد والشخصيات المعنوية لاقامة المبانى عليها أو بيع الحق فى استئجارها وتأييد مبادرات سلطات مدن بطرسبورج وبارنوول ونيجنى نوفجورود ببيع قطع الأراضى للراغبين فى اقامة المبانى عليها أو بيع حق استئجارها بواسطة المزادات، مع عدم جواز بيع قطع الأراضى المملوكة للدولة أو البيانات التى لا تجيز القوانين المعمول بها بيعها. وعلى الحكومة الروسية أن تضع- طبقا لهذا المرسوم- قانونا يحدد نظام بيع قطع الأراضى المذكورة فى مزادات أو مناقصات.

إن قضية الأرض فى روسيا علاوة على أنها قضية الفلاحين الروس الذين برز من بينهم الثائر يمليان بوجاتشوف، هى أيضا -من زاوية ما- قضية مستقبل كتلة «الشيوعيين البرلمانيين» ووجودهم السياسى الحقيقى من عدمه. وقد هدد الشيوعيون فى مارس ١٩٩٧ بتشجيع خمسة ملايين توقيع من الشعب لاقالة الحكومة واحلال حكومة ثقة شعبية، ثم تراجعوا، وعادوا فهددوا فى سبتمبر ٩٧ بإقالة **يلتسين** والحكومة بسبب الميزانية ثم تراجعوا، وفى منتصف نوفمبر ٩٧ هددوا بمقاطعة النظر فى الميزانية ما لم تتم اقالة **أناتولى تشوبايس**، ثم نظروا فيها وقبلوها.

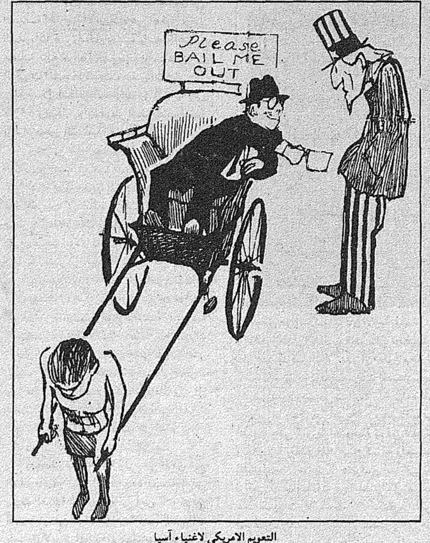
وخلال تلك الشهور كانت روسيا قد حسمت علاقتها **بحلف الناتو**، وحسمت انفصال الشيشان عنها فى اتفاق فى ١٢ مايو ٩٧، وحسمت أواخر العام منح جزر الكوريل لليابان، بل وأقرت ميزانية العام القادم باشراف صندوق النقد. **والمؤسف أن الشيوعيين لم يتمكنوا من الاحتجاج بشكل فعال أو تعطيل أى من تلك الخطوات وركزوا جهدهم تحديدا فى مجال اقتسام السلطة وتحسين مواقعهم داخل الحكم وانتزاع سلطات أوسع للبرلمان ومنضدة للحوار.**

وسيرتبط بمصير الأرض فى روسيا مصير القوى الوطنية الروسية فاما أن تستمد القوة منها أو تسحب الأرض من تحت أقدامها توطئة لظهور أشكال أخرى من الصراع وقادة آخرين يقولون ما قاله بوجاتشوف: «الأرض والعشب والبارود والخبز لكم جميعا».



قراءة غير اقتصادية في الازمة العالمية الراهنة

مليارات الدولارات التى تختفى أمام أزمة الطبقات التحتية فى أمريكا تظهر فجأة لتعويم الاثرياء فى آسيا وغيرها..



التعويم الامريكى لاغنياء آسيا
ريشة: جيف دانز يجر «لوس انجلوس تايمز»

رسالة واشنطن

سمير كرم

لم تبد الولايات المتحدة أبدا- كما بدت فى عام ١٩٩٧ - جالسة باستقرار وثقة على عرش العالم الرأسمالى، تباهى نفسها والعالم الخارجى كله بحيوية النظام الرأسمالى وقدراته على توفير الرخاء وحماية الديمقراطية وضمان النمو المستمر المطرد المتصاعد.

فأرقام أرباح المؤسسات والشركات الأمريكية شهادات مكتوبة بالذهب على عافية الاقتصاد الأمريكى وقوة النظام الرأسمالى.

ولم تبد الولايات المتحدة أبدا- كما بدت فى عام ١٩٩٧ - مصممة على إملاء شروط «الخصخصة» على شعوب العالم بما فيها الشعب الأمريكى ضد إرادة وضد مصالح هذه الشعوب، مستخدمة نفوذها الهائل على المنظمات الدولية من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير والمؤسسة الدولية للاستثمارات ووصولا إلى الأمم المتحدة ومجالسها المتخصصة فى مجلس الأمن. **وللحقيقة فإن الرأسمالية الأمريكية لم تكن أكثر شفقة بالشعب الأمريكى . فقد فرضت عليه تقليص الحكومة. وكانت تعنى فقط تقليص ما تنفقه الحكومة على الفقراء والبرامج الاجتماعية وحتى على الثقافة والتعليم والصحة.** لكن تقليص الحكومة لم يصل حقيقة إلى الجدران الخارجية لمبنى«البنتاجون» مقر المؤسسة العسكرية الأمريكية أو بوابات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أو حتى مرتبات أعضاء الكونجرس.

ولم تبد الولايات المتحدة أبدا- كما بدت فى عام ١٩٩٧ -مقتنعة بضرورة فرض أحكام النظام الرأسمالى بتصورها وبقيادتها على باقى دول العالم مستخدمة سياسة فرض العقوبات الاقتصادية :**كوبا** لأنها أممت قبل أكثر من ٣٥ عاما ممتلكات الرأسماليين الأمريكيين. **العراق** لأنه لا يزال مصمما على أن يقول لا لسياسة السيادة المحدودة التى قررتها الولايات المتحدة كواحد من أهم مبادئ «النظام العالمى الجديد» مع بداية التسعينات **وايران وليبيا وبورما وكوريا الشمالية..** وتهديدات بعقوبات ضد الشركات الأوروبية اذا لم ترضخ لاحكام مبدأ المصالح الأمريكية أولا» . وتهديدات بعقوبات ضد روسيا لأن قيودا لا تزال تحد حركة القطاع الخاص الروسى وضد الصين لأن الحزب الشيوعى لا يزال مصمما على فرض ضوابط على حركة الرأسمالية الصينية.

لقد وصل الأمر إلى حد قال معه أحد رجال الحكم السابقين فى أمريكا (هو ريتشارد هاسى الذى كان مساعدا خاصا للرئيس السابق جورج بوش وهو الان مدير دراسات السياسة الخارجية فى مؤسسة بروكنجز

الشهيرة للابحاث) ان السائد الآن فى السياسة الخارجية الأمريكية هو «حقوق فرض العقوبات» . وقالت دراسة واسعة أجراها معهد تابع للرابطة القومية للصناعيين ان الولايات المتحدة فرضت عقوبات على ٣٥ دولة خلال فترة السنوات من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦ وحدها ، وأن «فرض العقوبات» أصبح باطراد محور السياسة الخارجية الأمريكية».

ويعكس هذا- بطبيعة الحال- ثقة زعيمة العالم الرأسمالى بعد انقضاء سبع سنوات على نهاية حقبة الحرب الباردة بأن المنتصر فى هذه الحرب- أى النظام الرأسمالى -يملك حق فرض شروطه وأحكامه وليس فقط مصالحه . بل أصبحت الولايات المتحدة- وعلى رأسها زعامة تعتبر أن دورها الأساسى هو أن تكون فى خدمة قطاع الأعمال والمؤسسات الرأسمالية ولا شئ غير ذلك وتوجه قواتها المسلحة وجيوشها الدبلوماسية وقدراتها الاقتصادية والمالية لهذا الغرض - تتصرف وكأن نهاية الحرب الباردة على النحو الذى انتهت اليه تعنى أن النظام الرأسمالى أبدى ، وأن كل أشكال الصراع قد توقفت وأن كل حديث نظرى وأية شواهد عملية عن أزمات النظام الرأسمالى أو تواقصه هى محض هراء . انتصرت الرأسمالية وانتصارها نهائى.

وفجأة وعام ١٩٩٨ يلوح فى الأفق ضج العالم بأنباء انهيارات مالية واقتصادية فى بيوت العبادة الرأسمالية فى أمريكا ، ثم فى آسيا. وعلى الرغم من أن الأزمة التى ألمت باسواق الأوراق المالية ووجهت بتحرك سريع من الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولى.. وعلى الرغم من تحسن مؤشراتها نسبيا بعد أن تدفقت المليارات من الدولارات إلا أن الثقة اهتزت بالأوضاع المالية العالمية بصورة خطيرة.

فى استعراض لاحتمالات عام ١٩٩٨ -كما تفعل الصحافة عادة -قالت مجلة «**بيزنيس ويك**» الأهم بين الاسبوعيات الأمريكية والعالمية المتخصصة بشئون المال والأعمال ، بالحرف الواحد ان عام ١٩٨٨ «**يمكن أن يكون كارثة فى مرحلة التكوين**» .

وهذا كلام لا يمكن أخذه باستخفاف فإن «**بيزنيس ويك**» تنطق بلسان الرأسمالية الأمريكية بالقدر نفسه الذى تنطق به صحيفة «**وول ستريت جورنال**» .. وبالقدر نفسه الذى يعبر به عن الرأسمالية الأمريكية رئيس هيئة الاحتياطى النقدى الأمريكى ، الذى يوازى البنك المركزى فى بلدان العالم الأخرى.

ضاع الأمان واهتزت الثقة بين أسبوع وأسبوع إن لم نقل بين يوم وليلة.. وعلى الرغم من كل التأكيدات بأن الازمة عابرة وأن «النظام النقدى العالمى» قادر على تخطيها ، فان هذه التأكيدات لا تعدو أن تكون محاولة «سيكولوجية» لرفع معنويات المستثمرين والمضاربين . وحينما يتحدث «الخبراء» عن أسباب ما حدث فى أمريكا . وبعد ذلك فى آسيا -**فى كوريا الجنوبية ثم فى تايلاند وماليزيا وبعد ذلك هونج كونج وأخيرا اندونيسيا** ، فأنهم لا يتطرقون أبداً إلى أية نواقص أو تناقضات فى النظام الذى تسير هذه العمليات المالية وفقا له . يكتفون بالقول إنه «قلق» المضاربين والمستثمرين من هذا العامل السياسى أو ذاك. احتمال عمل عسكرى أمريكى ضد العراق . احتمال انقلاب فى اندونيسيا .احتمال استقالة حكومة اليابان . احتمال اتجاه رئيس كوريا الجنوبية الجديد إلى زيادة الانفاق الحكومى .. الخ . أما النظام نفسه فهو قوى وراسخ ولا غبار عليه.

وهذا تناقض واضح . فان نظاما له مثل هذا الرسوخ لا يفترض به أن يهتز بدرجة الزلزال إلى حد يفقد معه من قيمة استثماراته عشرات المليارات خلال أيام.

ولا يقول أحد للأمريكين - أو لغيرهم - ان الرأسمالية العالمية تمر بازمة خطيرة . هذا كلام لا يقال مهما كان صحيحا . ليس لأن هناك رقيبا يمنع اذاعته أو نشره . إنما لأنه فى النظام الرأسمالى يملك أصحاب رؤوس الأموال المؤسسات الصحفية . بما فيها شبكات التلفزيون الواسعة ومحطاتها «القومية» و«المحلية» .**وأحكام النظام ذاته تقضى بأن لايدين أحد نفسه . والحسبة بسيطة: ماذا يمكن أن يحدث لأسهم شركة «واشنطن بوست» أو «نيويورك تايمز» أو لمؤسسة «تايمز ميرور» التى تصدر صحيفة «لوس انجليوس تايمز» وطابور آخر من الصحف والمجلات اذا قال أى منها أن النظام الرأسمالى يعانى أزمة وأن حلها ليس بأيدى الرأسماليين أو المستثمرين والمضاربين؟.**

> **امريكا تتصرف وكأن نهاية الحرب الباردة انتصار أبدى لا رجعة فيه للنظام الرأسمالى.. على الرغم من كل ما يحدث فى روسيا وأمريكا اللاتينية**

بالاضافة إلى هذا فإن الازمة لا تصبح أزمة ،لا تسمى أزمة ، إلا بعد أن تكون آثارها قد نالت من أسعار الأسهم فى البورصة وهبطت بأرباح المستثمرين .. عندئذ فقط تدق أجراس الخطر فى البيت الأبيض وغير بعيد عنه كثيرا فى واشنطن فى مقر صندوق النقد الدولى الفخم الذى يفوق بهاؤه قصور الحكام .. وغير بعيد عنها فى مقر «هيئة الاحتياطى النقدى» التى يعتبر كثيرون مجلس المحافظين فيها الحكام الحقيقيين لأمريكا ، فهم الحراس على قدس الاقداس: الدولار.

أما كل المؤشرات الأخرى على وجود الأزمة فإن أحدا لا يتحدث عنها إلا «المتطرفون» و«الراديكاليون» وأصحاب «النظريات التى أثبتت عمليا فشلها»..

منذ سنوات والنظام الرأسمالى فى نسخته اليابانية يعانى آلاما مبرحة سقط وهو فى قمة المنافسة مع الرأسمالية الأمريكية. عرفت كيف تفرض عليه شروطها ومعاييرها . أن تقيده تجاريا وتمتص استثماراته إلى داخل أمريكا.

منذ سنوات أكثر والرأسمالية اليابانية تنجح فى رفع قدراتها وأرباحها إلى ذروة المنافسة مع أمريكا وأوروبا . دون أن تنجح فى رفع مستوى حياة الشعب اليابانى نفسه إلى هذا المستوى. تناقض تحكى عنه أرقام الاستثمارات وبالمقابل أرقام دخول وأجور العمال اليابانيين.

.. ولم يقل أحد أن ثمة أزمة تعانيها الرأسمالية اليابانية إلا عندما هاجت بورصات طوكيو وكيودو واهتزت مؤشرات «نيكتاى».

منذ سنوات واختلال التوازن الاقتصادى والاجتماعى فى أمريكا يزداد حدة .. والمسافة الفاصلة بين الاغنياء والطبقة المتوسطة -فضلا عن العمال والفقراء خاصة من الأقليات- تسجل أرقاما قاسية لم تسجلها فى التاريخ الأمريكى ، أوحتى فى التاريخ عامة.

منذ سنوات وسجون أمريكا تتحول إلى معسكرات ضخمة للفقراء حتى أصبحت أمريكا صاحبة أعلي نسبة مسجونين فى العالم الصناعى والنامى على السواء . فاقت

نسبة السجناء العالية التي سجلت في جنوب افريقيا في أحلك سنوات النظام العنصري . ولا يزال «النظام الأمريكي» يرفض أن يرى أي «بعد اقتصادي أو اجتماعي» في هذه الحقيقة».

وبالمثل أرقام مستهلكي المخدرات في أمريكا . وبالمثل أرقام المشردين في شوارع المدن الأمريكية الباهرة التي يثير مجرد ذكر اسمها صوراً هوليودية بالألوان الطبيعية عن التقدم والرخاء والفرص المتاحة والحياة الرغدة. **عمال وأسرهم يعيشون في الشوارع (لأنهم يطردون من المتنزهات العامة) لأن الأجور لم تعد تفي بايجار مسكن مهما كان متواضعا ،مع أنهم ليسوا في حالة بطالة.**

هل قلنا عمالاً فقط . لا بل عسكريون أيضا . حتى وقت قريب كانت ظاهرة التشرد بين المحاربين القدماء الأمريكيين حقيقة معروفة لكل الأمريكيين تخجل بعضهم ، ولا تعني معظمهم .**لكن الجديد كشفته النشرات الصحفية التي توزع داخليا في فروع القوات المسلحة الأمريكية (نيفي نيوز/ البحرية- آرمي تايمز/ الجيش -اير فورس تايمز / السلاح الجوي) أن الافا من الجنود الأمريكيين، وحتى من صغار الضباط يجدون الآن أنفسهم ضحية الفقر مضطرين للعيش اعتمادا على بطاقات الغذاء المجاني التي توفرها الولايات لمن يعيشون على دخول أدنى من مستوى الفقر.** لقد قدرت هذه النشرات عدد أسر العسكريين الأمريكيين الذين يحصلون على بطاقات الغذاء المجاني بنحو **١٢ ألف أسرة** . بينما أكدت مصادر وزارة الدفاع الأمريكية ان اعداد أسر العسكريين الذين يعيشون على مستوى أدنى من «**خط الفقر**» هي أكثر من هذه الأرقام بكثير.

ويكفي أن نعرف أن أفقر الأمريكيين حين تضطرهم ظروفهم إلى الحصول على بطاقات الغذاء المجاني يتحاشون أن يراهم أحد معارفهم وهم يدفعونها بدلا من النقود . انها مذلة لا يطيقها حتى المتسولون . فما بالنا بالعسكريين .كل هذا ولا يقول أحد أن هذا نظام يعاني أزمة.

مليارات الدولارات تظهر فجأة باعتمادات من الكونغرس أو بسلطات الطوارئ الرئاسية في غياب الكونغرس لتعويم اقتصادات الدول الآسيوية التي انهارت أسواقها المالية وعملاتها بينما لم يكن أعضاء الكونجرس قادرين على توفير ما يلزم لاعتمادات البرامج الاجتماعية للفقراء والمسنين والمحاربين القدماء واليتامى وكل المنتمين إلى «الطبقات التحتية» . حتى رفع


كلينتون

الحد الادني للأجور استوجب معركة بين الرئيس الأمريكي والكونجرس (كان الرئيس **كلينتون** مقبلا على حملة اعادة انتخابه) **واستمرت المعركة- من أجل رفع الحد الادنى لأجور العمال بمقدار نصف دولار نحو سنتين .** **لماذا ؟** لأن الفلسفة السائدة تعني أن لا تتدخل الحكومة لتفرض شيئا كهذا على أصحاب الأعمال . ان زيادة الحد الادنى للأجور تؤدي إلى انكماش الارباح وانكماش الاستثمارات وبالتالى انكماش الاقتصاد.

من تساعد أمريكا حينما تعتمد قروضا بمليارات الدولارات - مباشرة أو من خلال صندوق النقد الدولي -لتعويم اقتصاد كوريا الجنوبية أو تايلاند أو اندونيسيا.

الواقع أنها تساعد الرأسماليين في هذه البلدان . وتساعدهم بالتحديد على فصل العمال بمئات الآلاف لخفض الانفاق . ومعنى هذا أن عمال هذه الدول يتلقون ضربتين قاسيتين في وقت واحد: ضربة مع انهيار القيمة الشرائية لأجورهم بانهيار عملات بلادهم مع أزمة الاسواق المالية وضربة حين تأتي المليارات لتعويم اقتصاد بلادهم مشروطة بفصلهم جماعيا لكي تستطيع الرأسمالية المحلية أن تسترد أنفاسها وقدرتها على توليد الأرباح.

وبينما المؤسسة الحاكمة الأمريكية ماضية في تصوير الأمر على أنه دور أمريكا القيادي في النظام العالمي . أمريكا تساعد حلفاءها وأصدقاءها فان المساعدة تقتصر على من يوسعون أسواق أمريكا في العالم الخارجي . **ان أمريكا في الحقيقة تعوم المساحة التي تشغلها اسواقها في اسواق تلك البلدان، وعلى حساب الطبقة العاملة الأمريكية نفسها التي تدنت أجورها نسبيا إلى حد أنها أصبحت أدنى مما كانت في السبعينات.**

جديد الازمة الاجتماعية في أمريكا جنود وضباط صغار يطعمون أسرهم ببطاقات الغذاء المجاني التي تصرف للمستوطنين الفقراء

والآن تفرض الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا كله ومعها صندوق النقد الدولي كأداة ضاغطة- الاجراءات ذاتها التي نفذتها داخليا وفي مقدمتها اقتطاع أكبر نسبة ممكنة من اعتمادات البرامج الاجتماعية والغاء كثير من المزايا التي حصل عليها العاملون في تلك البلدان نتيجة نضال شاق امتد لعشرات السنين .. بما في ذلك التأمين الصحي وتوفير التعليم والخدمات الانسانية. وبينما تفرض هذه الشروط الشاقة على الطبقات العاملة والمتوسطة في تلك البلدان فإنها تفرض أسعارا قصوى للفائدة على القروض التي تقدمها ، وهو ما تفعله أيضا بنوكها وبنوك أوروبا واليابان .. في وقت انتشرت فيه بشكل «وبائي» حالات الافلاس في بلدان آسيا التي انقضت الازمة عليها فجأة بعد سنوات من «الازدهار» .(لقد بلغت تكاليف تعويم الشركات اليابانية التي أفلست خلال العام المنقضي أكثر من ٥٠٠ مليار دولار).

ولا يستطيع أحد في هذه الظروف أن يقف في طريق تدفق المنتجات الأمريكية إلى هذه البلدان .. بل لقد لوحظ أن قيمة وحجم المنتجات الأمريكية التي تتدفق على أسواق البلدان الآسيوية «المصابة» قد ارتفعت في الفترة الأخيرة بدرجة هائلة.

وخوف البلدان التي لم تصل إليها الازمة في صورتها التي لحقت ببلدان شرق آسيا كان كافيا لأن يجعل عدد الدول التي وافقت على شروط صندوق النقد الدولي - الشروط الأمريكية كما ينبغي أن تسمى -الخاصة بالغاء كل الحواجز والقيود أمام حركة رأس

المال الأجنبي .. الأمريكي أساسا.

ماذا قدمت أمريكا بالمقابل ؟ أية تنازلات قدمتها الولايات المتحدة لتلك البلدان ؟ لا شئ.

لا .يؤكد المسئولون الأمريكيون **ان أكبر تنازل تقدمه الولايات المتحدة هو أنها تفتح أسواقها لرأسماليين من الدول الأخرى ، مهما كانت صغيرة ، لكي يستثمروا في أمريكا .. مقابل فتح أسواق تلك البلدان أمام المستثمرين الأمريكيين**. المساواة على الطريقة الرأسمالية الأمريكية . باستطاعة الأردن -مثلا -أن يستثمر في أمريكا ، وبالمثل تشاد وأورجواى.. مقابل فتح أبواب هذه البلدان أمام الاستثمارات الأمريكية والتجارية الأمريكية . فمن لديه اعتراض؟.

وبينما يبدو- بعد «التدخل» الأمريكي و« تدخل صندوق النقد الدولي» -أن الأمور آخذه بالتحسن فإن هذا الوصف لا يعكس إلا رؤية سطح الأشياء ، وفلسفة تجاهل الازمة في جذورها الحقيقية والاكتفاء برؤية انعكاساتها في البورصة على من لا يمثلون إلا نسبة واحد بالمائة من المواطنين في أي بلد.. على أقصى تقدير.

لقد بدأت الازمة تتحرك غربا . أول الضحايا خارج آسيا الآن هي زيمبابوى الافريقية . لماذا؟ لأن البنوك الدولية- وفي مقدمتها البنوك الأمريكية- تعارض برنامج الاصلاحات الذي تنفذه حكومة زيمبابوى ، وبالأخص الاصلاح الزراعي الذي استوجب مصادرة مساحات كبيرة من أفضل الأراضي الزراعية كانت قد بقيت حتى الان بأيدي الاثرياء البيض ، حتى بعد استقلال زيمبابوى بنحو ربع قرن.

والبرازيل مستهدفة لانتقام مالى مماثل في أمريكا اللاتينية. لهذا سارع رئيسها كاردوزو إلى الرضوخ للشروط الأمريكية بفرض برنامج تقشف من أجل تحاشي تراجع قيمة العملة المحلية. واذا استخدمت كلمة تقشف من جانب صندوق النقد الدولي أو وزير الخزانة الأمريكي(وفي الحقيقة من جانب أي مسئول في أي مكان) فانها تستخدم بمعنى واحد : وضع مزيد من الأعباء على أكتاف العاملين وخاصة الطبقة العاملة والفقراء بشكل عام.

ومع برنامج التقشف البرازيلي بدأ برنامج بيع ممتلكات الدولة والقطاع العام على أوسع نطاق.. ومن المشترون؟ الأمريكيون والمؤسسات الأمريكية.

قبل البرازيل كانت المكسيك . والمكسيك لا تزال تئن تحت وطأة القروض التى سددتها بالفعل ، ولا تزال الازمة الحقيقية -بعيدا عن البورصة واسعار العملة- أزمة الفقر في مناطق الريف المكسيكي تخرق المجتمع . وأمريكا لا تكاد ترى . حتى حينما قتل رجال السلطة أكثر من ٤٥ من الفلاحين في إقليم تشياباس معقل الثوار «الزباتيين» أولئك الذين هزوا أركان السلطة بهجومهم المسلح قبل سنوات.

والازمة موجودة -بل مستحكمة -في روسيا حيث تنفق الولايات المتحدة مباشرة ومن خلال صندوق النقد الدولي مليارات أخرى للابقاء على نظام الرئيس **يلتسين** . باعتبار أنه وحده الذي يستطيع أن يواصل الدفاع عن الرأسمالية وأنه اذا سقط أو مات فالرأسمالية الروسية إلى انهيار أو زوال . وقد طلب **يلتسين** من واشنطن أن تهب لتعويم الاقتصاد الروسي . وجاءته الشروط الآتية: مطلوب منه المزيد من الالغاء والاستقطاع من الاعتمادات والبرامج الاجتماعية . أي أن عليه أن يضيف إلى ٣٠٠ ألف مشرد في موسكو وحدها ربما ضعف هذا الرقم.

لقد قيل منذ وقت طويل أن رأس المال جبان ، ولابد أن من قال هذه العبارة كان يعرف تماما ما يقول فهو لم يقل ان الرأسمالية جبانة ..رأس المال جبان . والرأسمالية لا تعرف الجبن أبدا في هجومها المستمر على حقوق الغير . سواء كان هذا الغير هو الطبقات الاخرى في البلد الواحد ، أو كان الطبقات الأخرى في البلدان الأخرى . وهو ما يحدث الآن باسم«التعويم» أو بحجة «المساعدة» .. وكان يحدث في الماضي بالغزو والحرب والاحتلال.

ما لا يتغير هو طريقة تعامل الرأسمالية مع الطبقة العاملة في وطنها.

لهذا ليس غريبا أن يكون النظام الامريكي الآن بصدد واحدة من أشرس حملاته ضد نقابات العمال الأمريكية بعد أن أفزعه ما حققته من انجازات خلال عام ٩٧ ، كان أهمها انتصار اضراب عمال شركة شحن الطرود (يو. بي. إس) ونجاح الاتحاد العام للعمال الأمريكيين -في ظل قياداته الجديدة «اليسارية والتقدمية» -في تأكيد دور الطبقة العاملة وقدراتها التنظيمية . وهوما تمثل في نجاح ذلك الاضراب في تحقيق اهدافه وكسب تأييد الرأي العام أيضا ، وتمثل أيضا في ارتفاع اعداد المنضمين إلى الاتحاد والنقابات من عمال أمريكا لأول مرة منذ عشرين عاما سادها تدهور مطرد في أرقام الأعضاء.

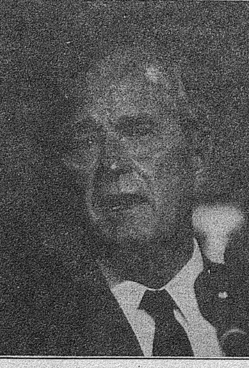
من يشن الحملة على الطبقة العاملة وعلى النقابات ؟ الحكومة ممثلة في المباحث الجنائية -اتحادات وجمعيات رجال الأعمال على أوسع نطاق- الاعلام الأمريكي ، الصحافة مكتوبة ومذاعه ومرئية - مصانع الأفكار ومراكز الأبحاث من الاتجاهات المحافظة .. وحتى الليبرالية.

لا يكاد يقف في صف عمال أمريكا في مواجهة هذه الحملة المكارثية إلا الأحزاب الشيوعية والاشتراكية الأمريكية وصحافة اليسار.

وهذا موضوع يستحق رسالة تخصص له.

الأزمة لا تسمى أزمة إذا تمثلت في المشردين في شوارع المدن الأمريكية ومئات الالاف من الفقراء في سجونها .. وتصبح أزمة عندما تنهار أرباح المضاربين في البورصات

جورج بوش





وزير داخلية المانيا يقـود

«أم المـعـــارك» ضـد اللاجـئين الاكـــراد

نبيل يعقوب

رسالة المانيا

موعـد الانتـخابات الالمانيـة هو نهاية سبتمبر من هذه السنة. وفيـه ينتخب الالمان **البوندستـاغ** وبناء عليـه تتشكل حكومة فيدرالية جديدة . ولكن المعركة الانتخابية تدور فعلا وبحدة متصاعدة منذ شهور . وفى زمن الانتخابات تقـترب أساليب العمل السياسى من سيناريوهات الافلام البوليسية وتتفوق عليها أحيانا . بل وتصبح السياسة نفسها مسلسلا بوليسيا يشاهده الشعب علي شاشات التلفزيون كل مساء . ولا يهم ان كان لهذا المسلسل علاقـة بالواقع .. المهم أنه مسلى .. **والأهم أنه يشكل وعي المواطن حسب الاحتياجات الراهنة للسياسة السائدة.**

أم المعارك

ولم يكن العبـور من السنة القديمة إلى السنة الجديدة سعيدا بالنسبة للشعب الكردى المعذب منذ عشرات السنين . كل القنوات التلفزيونية تبث نفس المناظر المتكررة لسفن مليئة بالبشر قرب سواحل ايطاليا . تقارير تلفزيونية متجددة كل بضع ساعات من معابر الحدود بين المانيا وايطاليا، وبين المانيا والنمسا، مشاهد يتحقق فيها رجال الشرطة وحرس الحدود من هويات بشر من ذوى الملامح الشرقية .. عمليات تفتيش لمجموعات من المسافرين فى محطات القطار القريبة من الحدود بين الدول الأوروبية والمانيا (الحدود التى يفترض انها لم تعد حدودا لمراقبة اشخاص أو جمارك حسب معاهدة شينجين!) . **والرسالة الموجهة لكل مواطن في سنة الانتخابات السعيدة بسيطة: المانيا فى خطر! الاكراد قادمون . وهم يريدون من كل حدب وصوب الوصول إلي المانيا والمانيا بالذات.** ولا يحتاج الأمر بعد ذلك لشرح كثير . المواطن الذى تؤرقه معدلات البطالة العالية والخوف من المستقبل يعى مغزى الرسالة ويكمل الجملة بنفسه: **كيف نوقف السيل المتدفق للاجئين؟** هنا يكون التلفزيون قد حقق رسالته السامية بانتاج الوحدة الوطنية مجددا .. وليس مهما الآن ان نعرف أين دفنوا «**جثة الحقيقة**».. وليس مهما الآن السؤال عن هذا الاجماع القومى : **على ماذا بالضبط يتحقق الاجماع؟ لصالح من وضد من؟** ولكن السيناريو من الحبكة إلى درجة أن العالم يسارع للالتحاق بموكب الذين افزعتهم الاخبار فيهز الناس حتى فى العالم رؤوسهم متسائلين **كيف ستتصرف المانيا مع هذا الغزو** .

ويقف وزير الداخلية الالمانى ذو الدور المزدوج: المخرج وبطل المسلسل ، هو الآن فى موقع الاحداث على الحدود الالمانية الفرنسية (أصبحت الحدود الشرقية لالمانيا آمنة بفعل السور الاليكترونى والتكنولوجيا المتقدمة على الحدود الالمانية التشيكية والالمانية البولندية ..وبفعل العمل المشترك مع حرس الحدود فى البلدين)..

الآن **وزير الداخلية** فى زيارة للجبهة المهددة .. كل شئ جاهز ومنظم فتظن أن التصوير يجرى في الاستوديو موقع الكاميرات محدد بدقة.. الوزير يطلق ويكرر التصريحات عن خطورة الوضع .. المانيا في خطر.. أوروبا فى خطر .. وعلى جيران المانيا أن يفوا بتعهداتهم ويمنعوا تسرب اللاجئين .. **ويتهم الوزير ايطاليا بالاهمال والتهاون فى حماية حدود أوروبا .. ويضغط على تركيا بأن توقف تدفق اللاجئين .. وتمتثل السلطات التركية فتعتقل آلاف الاكراد الذين يملكون وثائق سفر صحيحة وتزج بمئات منهم فى السجون لإرضاء المانيا التى كانت أقوى من وقف ضد قبول تركيا إلى الاتحاد الأوروبى وبالتحديد بسبب انتهاك تركيا لحقوق الانسان!.**

وأكثر وزير الداخلية من التصريح بعبارات تبدأ بكلمات على أيطاليا أن .. وتنشأ أزمة مع ايطاليا ، الصحافة الايطالية تحدثت عن الغطرسة الالمانية وعن ماضيها القديم، وصحيفة ريبوبليكا كتبت عن «السلوك الامبريالى» .. واضطر المستشار الالمانى كول أن يخف لترضية رئيس الوزراء الايطالى برودى.

هيلموت كول



في ذلك المساء المعتم وتحت اضواء كاميرات التلفزيون .. وبينما كان الوزير يتفقد الأوضاع على الحدود الالمانية الفرنسية ابلغه الضابط ذو الوجه الحازم ان ٤ (**أربعة) اكراد فقط قد** عبروا الحدود الفرنسية الالمانية خلال أسبوع كامل. وأعلنت ايطاليا التي تصرفت هذه المرة بدرجة جيدة طبقا للقانون الدولي (حسب تصريح المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين) اعلنت ان الاكراد الذين وصلوا إلي الاراضي الايطالية هم ٢٠٠٠ (الفين) ، وبعد أن انزاح غبار المعركة بعض الشئ واتيح لشئ من الحقيقة أن يتسرب إلى شاشة التلفزيون اتضح الشئ الذي كان يعرفه معظم الناس طوال سنوات عديدة .. اللاجئون من تركيا والعراق يأتون غالبا عن هذا الطريق بعد أن شددت الرقابة عليهم في بلدان شرق أوروبا .. يصلون بالسفن إلى ايطاليا ومنها يعبرون الحدود إلى المانيا.

الاكراد في السياسة الالمانية

الاكراد ضحية **للتعاون الالماني التركي في المجال العسكري والأمني** .. المانيا تصدر السلاح إلي تركيا وبه يطارد الجيش التركي الشعب الكردي . **احرق الجيش التركي ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف قرية كردية) وأتلف المحاصيل وشرد ملايين الأكراد والشرطة التركية تطارد الاكراد ايضا في مناطق غرب تركيا . وتنطلق السياسة الالمانية من الاهمية الحاسمة للعلاقات مع تركيا بوصفها عضوا في حلف الاطلنطي .** ويبدو أن المنطقة الكردية تحتل اهمية كبيرة في خطط التعاون العسكري الالماني التركي . وتتحدث الصحف الالمانية عن وجود للقوات الجوية الالمانية في قاعدة ديار بكر. ولكن بالمانيا أيضا **أكبر تواجد كردي في بلد أوروبي غربي .(نحو ٥٠٠ ألف)** . وإن كان معظمهم جاءوا إلى المانيا بصفتهم أتراك وهم يعملون ويعيشون في المانيا بشكل مستقر منذ سنوات عديدة إلا أن الجهات الرسمية والاعلام يركزان حاليا على أعداد الواصلين كلاجئين من تركيا والعراق . وقد تزايدت بالفعل أعداد اللاجئين الاكراد والعرب من العراق في السنتين الماضيتين بسبب الاقتتال بين الحزبين الكرديين العراقيين وما يرافق ذلك من غزوات عسكرية لقوات صدام أو للجيش الايراني . وقد أصبحت محمية الأمم المتحدة في شمال العراق واحدة من أكثر مناطق العالم اضطرابا.



النازيون الجدد

التخلص من اللاجئين

رغم كل الحقائق المعروفة ورغم القانون الدولي الذي يلزم الدول بحماية من يلجأ إليها هاربا من انتهاك حقوق الانسان يعمل ائتلاف المحافظين والليبراليين الحاكم في المانيا بسرعة على تقليص امكانيات اللجوء إلى المانيا بتعديل القوانين وبتفسيرها عمليا بشكل تقييدي ضد حقوق اللاجئين.

أعلن بيان أصدرته منظمة حقوق الانسان في الدول العزبية (العاملة في المانيا) ان **العديد من المواطنين العراقيين المقيمين في المانيا تلقوا مؤخرا رسائل من هيئات المانية مسئولة تطالبهم فيها بشكل انذاري بمغادرة المانيا خلال شهر واحد.**

وتدعي السلطات الالمانية أن كردستان العراق منطقة آمنة . ولكن اضطراب الأوضاع في كردستان العراق بما يهدد الحياة والحقوق الانسانية الأخرى يؤكده الواقع كما تؤكده تقارير هيئات عالمية واقليمية عديدة ومنها تقارير المقرر الخاص للأمم المتحدة عن حالة حقوق الانسان في العراق . بل تعترف بذلك أيضا تقارير مصلحة الشئون الخارجية الالمانية نفسها ومؤسسات عديدة أخرى.

ويقول البيان المذكور الذي وقعته العديد من منظمات حقوق الانسان ومنظمات السلام الالمانية : « **على اللاجئين العراقيين المعترف بهم وكذلك على طالبي اللجوء في حالة العودة إلى البلاد أن يتوقعوا الاضطهاد . ولا زال القانون الجنائي العراقي يحكم بعقوبات شديدة على ترويج اخبار كاذبة عن العراق في الخارج ، وكذلك على الانتماء إلى منظمات معارضة أو الاتصال بها. وطبقا لتقرير مصلحة الشئون الخارجية (الألمانية) لا يمكن استبعاد ان مجرد تقديم طلب لجوء يعرض للوقوع تحت طائلة العقوبات المذكورة. وإلى جانب ذلك تتعرض للمحاسبة أسر المعتقلين والذين يلجأون للخارج».**

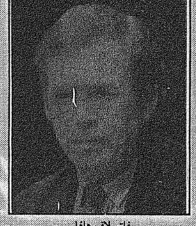
وتتذرع السلطات الالمانية بعفو عام اصدره صدام حسين . ولكن هذا «العفو العام» لم يكن سوى مهزلة ، فحسب المفوض السامي للأمم المتحدة للاجئين تجعل الخبرة المتوفرة حتى الآن من «المشكوك جدا ان يكون لهذا العفو أي أهمية».

ويؤكد بيان منظمة حقوق الانسان في المانيا ان ترحيل مواطنين عراقيين إلى العراق يتناقض بشكل صارخ مع قرارات الأمم المتحدة ولجنة حقوق الانسان التابعة لها، وهي قرارات ايدتها الحكومة الالمانية أيضا. ويبدو أن بعض الجهات النافذة تريد ، كما في حالة الجزائريين أو الفلسطينيين الذين يرحلون إلى لبنان ،«حل مشكلة اللجوء بالاشارة إلى إمكانيات مزعومة لعودة اللاجئين دون مراعاة الظروف الفعلية السائدة في الموقع.

منظمة العفو الدولية تسجل في تقرير حديث لها أن سياسات اللجوء تمر بازمة عميقة على نطاق العالم.. **أفقر بلدان العالم تستوعب أكبر اعداد اللاجئين.. واغنى بلدان العالم وأكثرها كلاماً عن حقوق الإنسان تقيم حولها الاسوار المرتفعة لمنع ضحايا الاضطهاد السياسي ، والقهر الثقافي والديني والاقتصادي من الوصول إليها.**



سقوط الحكومة الائتلافية في جمهورية التشيك



فاتسلاف هافل

د. محمد مراد الحاج

رسالة براغ

ذكرنا فى رسالتنا الأخيرة الصادرة فى عدد **اليسار** رقم **٩٤ ديسمبر ٩٧** تحت عنوان «**جمهورية التشكيك تعيش أزمة سياسية ومأزقا فى عملية الاصلاح الاقتصادى**»، أن رئيس الجمهورية السيد **فاتسلاف هافل** يتابع بقلق تطور الأوضاع السياسية فى بلاده ودعا الأحزاب للعمل لايجاد تصور شامل للخروج من الأزمة السياسية، كما أنه طرح فكرة تعديل الحكومة كمخرج للأزمة ، وأنه أشار بوضوح إلى أن القوى السياسية تفتقر إلى القدرة على التفاهم حول المشاكل القائمة.

أشرنا كذلك إلى أن الائتلاف الحاكم والمجتمع التشيكي يجابهان أزمة حادة تلقى بثقلها على كل أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن قضية البحث عن مخرج من الأزمة أصبحت قضية عاجلة لا تحتمل التأجيل وأن الساحة السياسية التشيكية تدخل مرحلة جديدة من التطور ستكون مليئة بالتوترات السياسية والاجتماعية والتأزم.

وها هو السيد رئيس الوزراء وزعيم الائتلاف الحاكم **فاتسلاف كلاوس** الذى أكد فى الحوار الذى أجرته معه صحيفة «**ليدوفى نوفينى**» فى الثالث من شهر اكتوبر الماضى أنه شخصيا يرى «بعض ملامح الاستقرار السياسى والاقتصادى، ومؤشرات العودة إلى الأوضاع الطبيعية»، قد قدم إستقالة حكومته للسيد رئيس الجمهورية يوم ٣٠-١١-١٩٩٧ معلناً بأن الوضع لم يعد يحتمل بقاءه وبقاء حكومته وأنه شخصيا لن يشارك فى الحكومة الجديدة.

إعلان استقالة حكومة الائتلاف لم يكن مفاجئا للرأى العام التشيكى ولا للمراقبين السياسيين ، نسبة لتردى الأوضاع فى الجمهورية التشيكية وقد كان هنالك شبه إجماع داخل الأحزاب البرلمانية أن أيام الحكومة باتت محدودة وأن رحيل السيد رئيس الوزراء أو بقاءه لن يغير شيئا فى الأوضاع القائمة. كما أن عدداً لا يستهان به من بين السياسيين وحتى داخل الحزب المدنى الديمقراطى يحمل السيد رئيس الوزراء مسئولية تردى الأوضاع الحالية فى البلاد.

الخلافات الحاده داخل الحزب المدنى الديمقراطى وعلى مستوى القيادة بين **السيد فاتسلاف كلاوس** والمعارضين لسياساته وتصرفاته فى شئون الحزب وفى إطار الائتلاف الحاكم، تفاقمت بدرجة أدت إلى أن يقدم السيد **يوزف زيلينتس** نائب رئيس الوزراء ووزير الشئون الخارجية استقالته بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٩٧ من وزارة الخارجية ومن الحزب الحاكم.

أعلن **يوزف زيلينتس** فى مؤتمر صحفى أن سبب الاستقالة يكمن فى تحجيم مشاركته فى اتخاذ القرارات الحاسمة فى عدة حالات والتى من بينها تجاوزه فى ترشيح وزير الداخلية الحالى الذى خلف **رومل** أحد زعماء الحزب البارزين. **أما السبب الأهم لتقديم الاستقالة فهو رفضه لادارة الشئون المالية للحزب من قبل بعض أعضاء القيادة ، واتخاذها لقرار لم يفصح عنه، دون استشارة الأجهزة الحزبية المختصة.** وفى هذا الصدد أشار فى مقابلة أجرتها معه صحيفة «**برافو**» الصادرة بتاريخ ٢٧ نوفمبر الجارى إلى أن الغموض يحيط ببعض شئون الحزب المالية والتبرعات والهبات الممنوحة له. ومن خلال ذلك اللقاء دعا إلى فتح حوار ونقاش واسع حول قضية تمويل الاحزاب السياسية بهدف استعادة ثقة المواطنين فى عملية الاصلاح الاقتصادى ، خاصة وأن حزبه حقق مكاسب سياسية من عملية الاصلاح التى اتضح اليوم أنها ارتبطت بممارسات فساد.

السيد رئيس الجمهورية **فاتسلاف هافل** عند تسلمه استقالة السيد **يوزف زيلينتس** وقبوله لها، عبر عن شكوكه فى قدرة الحكومة على البقاء حتى إجراء الانتخابات العامة القادمة. كما أن السيد **زيلينتس** نفسه أشار إلى أن قيادة حزبه أصبحت عاجزة عن قيادة الحزب والائتلاف الحاكم والمجتمع وأنها فقدت المقدرة على تحديد إتجاه السير.

السيد **يوسف لوكس** زعيم «الاتحاد المسيحى -**حزب الشعب التشيكوسلوفاكى**» نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة أعلن قبيل

استقالة **زيلينتس أن** رحيل زيلينتس ووزير الداخلية السيد يان رومل من الحكومة سيخلق صعوبات فعلية فى التعامل مع الحزب المدنى الديمقراطى . وقبل ذلك أشار لوكس فى مقابلة أجرتها معه صحيفة «**هوسبودارسكى نوفينى**» بتاريخ ٢٨-١٠-٩٧ أن شخصية السيد **كلاوس** تلعب دوراً رئيسياً فى المشاكل التى يعانى منها الائتلاف الحاكم».

السيد **رئيس مجلس النواب وزعيم الحزب الديمقراطى الاجتماعى** كان يدعو دائما إلى ضرورة رحيل حكومة الائتلاف التى يترأسها السيد **فاتسلاف كلاوس** حتى لا تزداد الأضرار الفادحة التى ألحقتها بالمواطنين حسب قوله وكان يدعو إلى إجراء انتخابات مبكرة، كما أنه **وصف الحكومة بأنها تتسامح مع اللصوص والمحتالين وقال هى نفسها حكومة لصوص ومحتالين وأشار فى تصريح له لصحيفة «برافو» أن هنالك حوالى ١٥٠ ألف شخص أثروا عن طريق الاحتيال.**

بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٩٧ عقد زعيم الحزب« **الشيوعى التشيكى -المورافى**» **ميروسلاف غريبنتشك** مؤتمرا صحفيا دعا فيه إلى استقالة السيد **فاتسلاف كلاوس** وحكومته وأشار إلى أن الفضائح المتعلقة بتمويل أحزاب الائتلاف كانت معروفة للجميع وقبل سنين، إلا أنه كان يجرى التستر عليها والتخفيف من حجمها ، وأن الفضيحة المالية الأخيرة التى تعرض لها **الحزب المدنى الديمقراطى** قد ساعدت فى كشف الأمور المخفية.

تجدر الاشارة كذلك إلى أن قادة النقابات دعوا الحكومة للاستقالة نتيجة فضيحة تمويل الحزب المدنى الديمقراطى فى حين أنهم فى السابق لم يقدموا أية مطالب سياسية.

تفجرت الأزمة بصورة دراماتيكية عندما أعلن وزير الداخلية السابق **يان رومل** ونائب رئيس الحزب المدنى الديمقراطى ووزير المالية **إيفان بيليب فى مؤتمر** صحفى فى النصف الأول من شهر نوفمبر أن الحزب تسلم عام ١٩٩٢ مبلغ **٥ر٧ مليون كرون** كتبرعات من جهات تحت أسماء وهمية .كما تسلم أيضا مبلغ **٣ مليون كرون** كتبرع من مؤسسة **أيسبيرغ** »، وطالبا باعادة تلك المبالغ .كما طلبا من السيد **فاتسلاف كلاوس** أن يستقيل.

اتضح فيما بعد أن مبلغ السبعة ملايين كرون ونصف التى استلمها الحزب كتبرعات من شخصين مزعومين أحدهما قيل أنه مجرى الأصل إتضح أنه مات قبل أكثر من سبعة عشر عاما والآخر من جزرمادريشيوس كانت مزيفة وأن المتبرع الحقيقى هو لاعب التنس السابق الشهير« ميلان شرايبر» الذى اعترف بأنه هو الذى تبرع بالمبلغ المذكور عام ١٩٩٥.

بعد تسرب هذه المعلومة لوسائل الاعلام تم كشف النقاب عن الصلة بين السيد« **ميلان شرايبر**» وقيادة الحزب المدنى الديمقراطى.

إتضح أن **شرايبر** كان أحد مالكى مصانع « **ترينيتسكى» للحديد والصلب** التى بيعت لشركته «**بوهيميا ستيل**» عام ١٩٩٥ فى إطار عملية التخصيص.

مما تجدر الاشارة إليه أن السيد **يوزف زيلينتس** وزير الخارجية السابق أكد الحقيقة سالفة الذكر وأكد بأنه قد أخبر **فاتسلاف كلاوس** بهذه المسألة فى حينها أى قبل عامين.

السيد **فاتسلاف كلاوس** من جانبه نفى أى علم له بأن **شرايبر** هو الذى تبرع للحزب بالمبلغ المذكور وأعلن فى مؤتمر صحفى بأنه مستعد للتخلى عن مناصبه الحزبية إذا ثبتت صحة الشكوك المثارة حوله.

الفضيحة المالية الأخرى فجرتها صحيفة «ملادا فرونتاس دنيس» التى نشرت فى عددها الصادر بتاريخ ٢٩-١١-٩٧ أن الحزب المدنى الديمقراطى يملك حساباً ماليا فى أحد بنوك سويسرا به مئات الملايين من الكرونات التشيكية وقد أكد وزير الداخلية السيد **فودليتشكا** أحد وزراء الحزب المدنى الديمقراطى وجود حساب مصرفى سرى باسم الحزب المدنى الديمقراطى فى سويسرا.

فى اجتماعها الأخير المنعقد فى مطلع شهر ديسمبر الجارى قررت قيادة **الحزب المدنى الديمقراطى** تخصيص مبلغ السبعة ملايين ونصف كرون للأعمال الخيرية ولضحايا الفيضانات الأخيرة التى اجتاحت منطقة مورافيا.

تمويل الاحزاب
يفجر
أزمة سياسية
تهز
حزب رئيس
الحكومة

على الصعيد السياسى العام يبدو أن الانتقادات التى وجهها وزير الخارجية السابق السيد يوزف زيلينتس لقيادة حزبه حول عملية العطايا والهبات المالية المشبوهة وإداراة شئون الحزب المالية والتى كانت سبباً فى تقديه للاستقالته ، قد امتد أثره إلى بقية أحزاب الائتلاف. فقد سارع السيد **يوسف لوكس** زعيم الاتحاد المسيحى -حزب الشعب التشيكوسلوفاكى ، بعد حوالى إسبوعين من استقالة **زيلينتس فأعلن** أن حزبه سيدفع للخزينة العامة مبلغ مليون كرون وصلته كتبرع من جهة غير معروفة. كما أشار إلى أنهم عجزوا عن توضيح هذه المسألة وإزالة الشكوك التى أثارتها.

حدث كل ما أسلفنا ذكره فى الوقت الذى يطالب فيه ان قانون الأحزاب والحركات السياسية رقم ٤٩٤ لسنة ١٩٩١ فى المادة ١٨ الاحزاب والحركات السياسية أن تتقدم إلى مجلس النواب كل عام بتقديم تقرير مالى مفصل ومعتمد وموثق يشتمل على حساباتها السنوية وقيمة الواردات والهبات والتبرعات من شخص أو أشخاص أو شركات خلال سنة واحدة إذا كانت قيمتها تتجاوز ١٠٠ ألف كرون على أن تتضمن البيانات أسماء الأشخاص والشركات.. الخ.

تطورات الأوضاع بعد استقالة الحكومة

تركت استقالة حكومة الائتلاف ورحيلها فراغاً سياسياً، تطلب التدخل الفورى والسريع للسيد رئيس الجمهورية **فاتسلاف هافل** الذى كان يخضع للعلاج والاشراف الطبى المكثف لأن الاستقالة جاءت في وقت غير مناسب للجمهورية التشيكية التى كان المسئولون فى الحكومة يتفاوضون مع لجان حلف الأطلسى والاتحاد الاوروبى حول انضمام شيكا للمنظمتين.

كلف السيد **هافل** السيد **يوسف لوكس** بالتشاور مع أحزاب الائتلاف وبقية القوى السياسية والعناصر غيرالحزبية لتشكيل حكومة إئتلاف باسرع فرصة ممكنة . كما أن السيد رئيس الجمهورية التقى بعدد من قادة الاحزاب بمن فيهم **فاتسلاف كلاوس** لبحث هذا الموضوع.

أوضاع **الحزب المدنى الديمقراطى** الذى كانت قيادته تحضر لعقد مؤتمر استثنائى للحزب فى١٣-١٤ ديسمبر الماضى، حالت دون الدخول فى مفاوضات مباشرة والسرعة المطلوبة لتشكيل الحكومة الجديدة.

قبل انعقاد مؤتمر الحزب المدنى الديمقراطى ألقى السيد **رئيس الجمهورية فاتسلاف هافل** خطابا يوم ٩ ديسمبر ١٩٩٧ ، أمام أعضاء مجلس الشيوخ والنواب إستغرق ساعة كاملة.

هاجم هافل فى خطابه سياسات الحكومة بشدة وحملها مسئولية ما آلت إليه البلاد. وفى إشارة غير مباشرة لمسلك السيد رئيس الحكومة فاتسلاف كلاوس، تحدث هافل عن التعالى والغرور الذى كان وراء ما آلت إليه أوضاع البلاد مؤخرا. وذكر أن «المعجزة الاقتصادية» قد تعرضت للنهب والسرقة وأن عملية التخصيص التى شكلت عماد التحولات الاقتصادية تعرضت للفساد. وفى ختام حديثه دعا إلى أهمية تشكيل حكومة وفاق وتفاهم.

الأوساط السياسية والتشيكية وخاصة السيد رئيس مجلس النواب **ميلوش زيمان** ، والسيد رئيس مجلس الشيوخ **بيتر بنهارت** إستقبلت الخطاب بنوع من الارتياح وقدرت موقف السيد رئيس الجمهورية.

أما السيد **فاتسلاف كلاوس** فقد عقد مؤتمراً صحفياً رد فيه على ما جاء فى خطاب هافل ، وقال أن الخطاب جاء ليزيد من تأزيم الأمور وأن **هافل** إختار طريق المواجهة المباشرة بدلاً من التسامح والوفاق الذى كان يتحدث عنه باستمرار .كما أشار إلى أن **الرئيس هافل يحمل مفاهيم خاطئة عن الاقتصاد الحر.**

مؤتمر الحزب المدنى الديمقراطى

تجدر الاشارة هنا إلى أن السيد **فاتسلاف كلاوس** قبل تفجر الأزمة الأخيرة التى أدت إلى تقديمه استقالة حكومته ، قدم تقريراً للجنة السياسية لحزبه وهى أعلى هيئة قيادية، قدم فيه تقييماً لأوضاع الحزب وأهم أهدافه المرحلية القادمة. **تعرضت الوثيقة إلى حالة التشتت وفقدان الاتجاه وبروز خلافات**

الفساد .. يصاحب عملية «الخصخصة»

المعجزة الاقتصادية التشيكية تعرضت للنهب والسرقة

شخصية داخل الحزب. كما تمت الاشارة إلى فقدان المرونة فى التعامل مع شركاء الائتلاف الحاكم وتقديم تنازلات لهم فى بعض الحالات . إنتقدت الوثيقة عدم إهتمام الحزب بحالة الاحباط السائدة وسط قسم كبير من المجتمع بسبب تردى الأوضاع المعيشية .كما انتقدت أسلوب العمل القيادى عند اختيار مرشحى الحزب للمناصب.

مؤتمر الحزب الاستثنائى الذى إنعقد بتاريخ ١٣- ١٤-ديسمبر الجارى لم يتعرض للقضايا سالفة الذكر ،كما أنه لم يناقش السياسة العامة للحزب ولم يتعرض إلى المشكلة الأساسية التى فجرت الأزمة الأخيرة ألا وهى تمويل الحزب وحسابه المصرفى فى سويسرا، إلا أن السيد نائب رئيس الحزب ووزير المالية السيد **إيفان بيليب** ذكر فى جلسة اليوم الثانى للمؤتمر أن مجموعة القيادة العليا فى الحزب كانت تعلم بوجود أموال خاصة بالحزب فى الخارج تقدر بحوالى **١٧٠ مليون كرون** وأن اللجنة السياسية ناقشت هذا الموضوع فى اجتماع لها عقد فى شهر سبتمبر من هذا العام .

السيد **فاتسلاف كلاوس** من جانبه نفى أى علم له بأعمال مخالفة للقانون فيما يتعلق بمالية الحزب.

وخلافاً لما ورد فى التقرير الذى أشرنا إليه سابقا الذى قدمه **كلاوس** لقيادة الحزب قبل تفجر الازمة ، دعا كلاوس فى الكلمة التى ألقاها أمام المؤتمر إلى الابتعاد عن سياسة التنازلات والحلول الوسط فى التعامل مع مختلف الاطراف السياسية وحتى مع شركاء الائتلاف الأمر الذى يعنى وضع المزيد من العقبات أمام مشاركة الحزب المدنى الديمقراطى فى الحكومة الجديدة المزمع تشكيلها.

يتضح مما أسلفنا ذكره أن مداولات المؤتمر تركزت حول حسم الخلافات القائمة بين رئيس الحزب والمناوئين له فى قيادة الحزب والتى حسمت فى النهاية لصالح رئيس الحزب فاتسلاف كلاوس ، والذى صوت إلى جانبه **٢٢٧** من المؤتمرين البالغ عددهم **٣١٤** عضوا ليصبح رئيسا للحزب، فى حين أن السيد **يان رومل** وزير الداخلية السابق نال **٧٢ صوتا فقط.**

بذلك يكون السيد **فاتسلاف كلاوس** الذى كسب الجولة الأولى فى صفوف حزبه ضد المعارضين لقيادته للحزب وللسياسات التى انتهجها فى إطار الائتلاف الحاكم، قد تفرغ لخوض الجولات القادمة المتمثلة فى تكوين الحكومة الجديدة وخوض الانتخابات العامة القادمة.

تشكيل الحكومة

بعد المناقشات والمشاورات التى أجراها السيد **يوسف لوكس** زعيم **الاتحاد المسيحى -حزب الشعب التشيكوسلوفاكى** ،مع الاحزاب السياسية والاطراف المختلفة ومع السيد رئيس الجمهورية ، تم الاتفاق على اختيار السيد **يوسف توشوفسكى** محافظ البنك المركزى لتشكيل الحكومة الجديدة الذى حدد له مطلع العام الجديد .وهنا تجدر الاشارة إلى أن السيد **توشوفسكى** لا ينتمى لأى حزب من الاحزاب السياسية القائمة أى أنه شخصية مستقلة. وفى هذا الصدد أشار السيد رئيس الجمهورية إلى أن الدستور يتيح لرئيس الجمهورية تعيين رئيس الحكومة فى حال سقوطها.



مظاهرات
فى أوروبا الشرقية
ضد الاشتراكية
ماذا حققت
فى جمهورية التشيك؟



أسئلة الثقافة المصرية

في زحمة انعقاد المؤتمرات والندوات والمهرجانات التي تزخر بها الساحة الثقافية لدينا هذه الأيام، تبدو مقاربة المسألة الثقافية قابلة للمعاينة والاستقصاء.

وهكذا فلعل ما يسود الثقافة المصرية راهنا يبرر أسئلة من قبيل : ما هي الأوليات الأساسية التي تحدد الخطوط العامة لهذه الثقافة؟ لماذا لم تمارس تأسيسا فعليا لمقومات مادية ومعنوية، تسمح بتفتح حامليها ، وتوفر لهم شروط الابداع والتعبير ؟ كيف تعثرت ، فلم تستطع التغلب على معوقاتها ؟ أين تكمن أزمتها : في تكوين الداخل الاجتماعي ، أم في تعالق هذا التكوين مع مواصفات الخارج؟ وأخيرا، ما السبيل إلى الخروج من أزمتها؟.

أولا: الرؤية:

ونبدأ بسؤال البداية: هل من الممكن أن يقابل مفهوم الثقافة معنى ناجز، متواطئ، قابل للضبط والتبليغ؟.

يعقد الاجابة على هذا السؤال المحكوم بالتفاوض ، أن محاولة بناء رؤية تركيبية ترصد هذا المفهوم ، ليس شأنا يسيرا. إذ لا يبدو، رغم الاهتمام الفائض به، أن الخوض فيه قد استقر على حصيلة تدعو إلى المصداقية.

فالملاحظ أن غالب المنظورات التي سلكتها مقاربته، قد أخطأت صوغ هذه الرؤية ، وخلفت تصورات تجزيئية، هي أيضا تجريدية ، تختزل الثقافة في قوام منعزل من معارف علمية وتقنية، وآراء فلسفية وجمالية وسياسية ، وتمثلات جمعية، وعقليات تملى على الناس نمط وجودهم وسلوكهم،منفصلة قسرا عن معطيات علاقتها التاريخية ونسيجها الاجتماعي، ومعزولة عن حركة الناس والأحداث. وأما تقنية ، تتعامل معها، بمثل ما أسماه **إدجار موران**E.Morun، كصناعة ومنتجات ، عبر مدخلات ووسائط ومردودات ، تقوم على ضبط القوى والأجساد وإخضاعها للمؤسسة ، وقوانين العرض والطلب(١).

على أن الاقتراب من تحقيق رؤية تركيبية لمسألة الثقافة يستدعى الطرح السوسيولوجي أكثر من سواه، فيما حاولت عديد التخصصات معالجة هذه المسألة ، سواء في الأنثروبولوجيا (رهن الثقافات غير الغربية لمقتضيات التمركز الأوروبي) ، أو في علم النفس (ما يحكم الثقافة من قيم ومعايير التنشئة والتشريط وأنماط التربية والعلاقات)، أو في الابستمولوجيا (البحث المجرد في أساسيات الثقافة، أي في نظامها وآليات إنتاجها).

وفي مسعى لتحقيق هذه الرؤية، يجدر أن ننطلق من الأوليات التالية:

١) أن الحديث عن الثقافة هو حديث عن وعى انتاج الذات المادية لمجتمعها والسيطرة عليه وتوجيهه. وبعبارة أخرى، حديث حول منظومة رمزية من معارف وآراء وتمثلات وعقليات ، تتخلق وتقع باستمرار وامتياز حول هذا الانتاج، باعتباره الناظم الفعلي لآلياتها. ذلك **أنه مهما يكن من تواتر الثقافة في المتصل القومي لجماعتها كتراث ، فليست تبلغ درجة الاستقلال المطلق عن سياق البنية المادية التي أفرزتها.**

٢) أنه برغم هذا التواتر ، فانها لا تقيم في الماضي، بل تخضع في كل مرحلة تاريخية لعمليات تأويل(أدلجة ، توفيق، إعادة صياغة..)، تنطوى ضمنيا على رؤية ما للعالم، بموضعتها في صيغة دلالة ومعنى لما هو أسطوري وزمني ومعاش في حياة جماعتها. **وهو ما يعنى أننا ، عبر كل من هذه المراحل بازاء تعاقب الصور والأضداد على الهيولى «بتعبير الفارابي» أو بازاء اسنادات وتبعيات من داخل هذه المنظومة ، لا يمكن تصور مقاصدها الا مرتبطا بخيار المرحلة السياسي ، الذي ينسج شبكة علاقاته السلطوية ومؤسساته الضبطية وانتماءاته الطبقية احتياجا من تكريس أو أدلجة هذه المنظومة،** تحقيقا لوظيفة المشروعية المحضة، ومساندة لهذا الخيار السياسي وتثبيت وضعه، انطلاقا من مبدأ رئيس في سوسيولوجيا المعرفة، يذهب إلى أن" كل نفوذ يتمكن من أن يفرض معان معينة بصفتها معان مشروعة ، وأن يفرضها عن طريق إخفاء علاقات النفوذ التي هي أساس قوته ، يكون بذلك قد جمع قوته الرمزية الخاصة إلى علاقات النفوذ المشار إليها(٢) ، وهو ما يعطى الثقافة بعدها التاريخي.

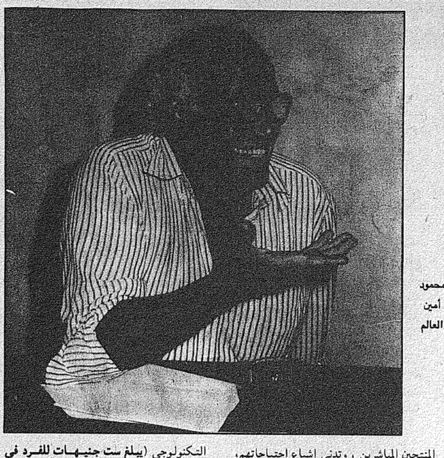
٣) أن الثقافة ليست محايدة في الصراع الاجتماعي ، بل نتاج له من جهة ، ودافع على التغيير والتطوير من جهة أخرى . ومن ثم ، فان عزلها عن البنية المادية التي أفرزتها ، وعن الوظيفة الاجتماعية المحددة لها في إطار إعادة انتاج علاقات تسمح بدوام سيطرة طبقة على حساب أو لصالح أخرى، يوقع في مثالية مفرطة تساعد على بث أوهام تضليلية.ذلك أن **الخيار الثقافي هو تجل معقد لخياره الاجتماعي،** بما يحويه من تناقضات بنيته المادية وصراع طبقاته وفئاته، أو بما تضطلع به الجماعة المسيطرة التي تفرض اصطفاء دلالات تداولية بعينها للثقافة فتعطيها قوة رمزية أكبر على أنها الثقافة المشروعة ، وأن تحدث لدى بقية الجماعات نزوعا لتقبلها ، عن طريق فرض نظام يجسد المرتكز الذي تستند إليه هذه الجماعة المسيطرة.

٤) استتباعا ، فان فاعلية الثقافة تتحدد في امتلاكها القدرة على مقاومة القصور الذاتي والاجترار والاستهلاك، أو ما يقترن بالاعتماد على الذات والتحرر من التبعية، بواسطة تحرير اقتصادي يقوم على تنمية

د. محمد حافظ دياب

مستقلة وعادلة التوزيع، واسهام فى ترقية خصائص حامليها ، وتأسيس لصيغة قيمية ايجابية، وتجاوز لنقائض تراث الأنا وحاضر الآخر.

عبر هذه الأوليات، فإن **مسألة الثقافة المصرية تظل محفوفة بالمحاذير ، لامتداد والتحام حوارية التراث والتاريخ والاجتماع فيها**، واكتناز حمولتها، وسعة مدارها وتمفصله داخل فضاءات يتشابك عبرها: الشعبى بالرسمى، الشرعى بالمدنى، القطرى بالقومى، العقلى بالنقلى، الشفاهى بالكتابى ، الثابت بالمتحول ، والأمثل بالدخيل، على اختلاف المرجعية والرمز وأسلوب التداول، وأن جاز القول أن التسليم بهذه الثنائيات قد يوقع فى فرط إدمان نظرى ومنزلق منهجى، يصل ، ربما ، إلى سجن هذه الثقافة ، ومصادرة التقدم لديها، وتقييدها فى أطر ثابتة تعيش ديمومة مستقلة ، أسقطت من مجالها التاريخى وسياقها الاجتماعى، فيما الواقع أننا بازاء تأويلات تمتاح من هذه المرجعية ، وتتكئ على خيارات سياسية ، تعبّر عن مصالح اجتماعية حالة.



محمود أمين العالم

ثانيا : المشهد:

ولعل ما يؤكد هذه الأوليات هنا التصويب نحو مساءلة الثقافة المصرية، عبر إمكانية الاستشهاد بالمنحنى التاريخى المعاصر منذ منتصف السبعينيات وحتى اليوم ،والذى تزدحم لوحته بفئات بينية ومصالح متشظية وأفكار نقيضه ، سادها السلام الكاذب ، والفتنة الطائفية، والاسباغ المقنن لطبائع الاستبداد ، ودعاوى السلفية الاطلاقية وزيادة الارتهان للمتروبول.

وتحديد حيز هذه المساءلة قد يسمح باستبصار الظروف الاجتماعية المؤطرة لأبعاد هذه الثقافة ، ويكشف العلاقة المعقدة بين شروطها المادية وتعبيراتها ورموزها، وتبيان الوحدة الجدلية لتاريخها الاجتماعى الاقتصادى السياسى الرمزى، وهو ما يمكن أن يؤدى إلى فهم حيثياتها، واستجلاء أزمتها، وتوجهاتها المستقبلية . والأمر يتعلق فى هذا الصدد بأصعدة أربعة تنعكس فيها **تفاصيل أزمة الثقافة المصرية المعاصرة** ،وتؤسس لها بصورة حادة:

١- **فمن ناحية التحرر الاقتصادى،** ساعد الانفتاح القائم على الاستيراد والتهريب والسمسرة والمضاربة ، فى ظل رأسمالية طرفية رثة تنتج وتعيد إنتاج الاستغلال الطبقى، على تنامى سلالة جديدة من لصوص القروض والكمبرادور وتجار الأغذية الفاسدة والشرائح الريعية، وتدهور مستوى معيشة المنتجين المباشرين ، وتدنى إشباع احتياجاتهم، مقابل مظاهر الاستهلاك الترفى والبذخى لأعضاء هذه السلالة، **وهو ما هيأ المناخ للاحتقان الاجتماعى والسلوك الاحتجاجى العنيف.**

٢- **وفى مجال الخصائص السكانية** ، فإن سياسة تغييب دور الجماهير الشعبية، وتحويلها إلى مجرد متلقية لأذوات عارفة، أدت إلى **أمية تصل نسبتها لأكثر من ٦٠٪،** وإلى انخفاض مشاركتها السياسية وضمان حقوقها فى التعبير والحركة والتنظيم، وإلى قلة الانفاق على البحث العلمى والتطوير التكنولوجى (**يبلغ ست جنيهات للفرد فى السنة**)، نتج عنه غياب مساهمات علمية جادة، وهجرة الكفاءات والعقول.

أغفلت الدولة النظر إلى التنمية كنموذج ثقافى يستجيب للاحتياجات الحية للجماهير

٣- **وحول بلورة صيغة قيمية** ، فالملاحظ سيادة مظاهر التسلط والقمع وتقييد الحريات، وشح عمليات التأسيس ، وعدم الاستيعاب النقدى، والوثوقية بطابعها الاسقاطى والاختزالى والآلى، وانتفاء الجدل الحى بين الثقافة والعقل ، والاحساس الضاج بالعائق ، وافتقاد حس التقدم، وتشويه توجهات الثقافة بتواجد نمط من الذوق الغليظ (أغان هابطة ، تلويث للبيئة، لغة جاهزة، سلوك استهلاكى مبتذل ، تدنى النظرة إلى المرأة..) ،وكلها لم تسهم فى بلورة قيم إيجابية، كالديمقراطية أسلوبا للحياة، والتعاون، والجماعية، والتضحية ، وتفضيل العام على الخاص ، وتنشيط دور المرأة ، والابداعية ، والرؤية المستقبلية وتكريس شرعية الحلم، والمواطنة.

٤- **وعلى صعيد المأثور والمطروح ، لم تستطع الثقافة المصرية حتى الآن الوصول إلى صيغة تتجاوز بها نقائضهما** ،والتى تمتد إلى الاختلاف القائم ضد القرن الثامن عشر بين أهل الكلام وأهل الحديث ، ومع عصر النهضة بين المثقف الليبرالى الذى يرى ألا سبيل إلى تحصيل الترقى الا بالأخذ بأسباب «**التمدن الأوروباوى**» ، والمثقف السلفى الذى يطالب

الأزمة بين ثقافة الإسلام السياسى وثقافة النفط

بالعودة إلى ما صلحت به أحوال السلف ، وصولا إلى الحاضر ، حيث تجد هذه العودة غطاءها التبريرى من«**فقهاء الظلام**» ، ممن يقومون بالفتوى خدمة لمصالح جائزى السلطة وأثرياء النفط وأصحاب شركات« البركة».

ساعد على ذلك ، ازدواجية المرجعية التعليمية ، البادية فى تلازم نمطين للتحصيل : الأول تقليدى يتمثل فى المعارف الدينية ، ويتمحور حول رؤية تقتصر على هذه المعارف ، ويجعل من التفسير الدينى للعالم الغلبة على ما عداه من معارف «وضعية» . وشق الثانى طريقه عبر ضرورات تحديث جهاز الدولة وبنية العلاقات الانتاجية القائمة ، والتى رتبت ضرورة توافر كوادر لديها رصيد من المعارف التقنية والعلمية، لتشغيل جهاز الدولة وإدارة مؤسساتها ، وتهيئة تنظيم عقلانى يستطيع أن يفى بعبء ومتطلبات الدولة.

ثالثا: الالتباس:

بيد أن توصيف مظاهر الأزمة يشدنا إلى تعقب المعابر الثقافية التى سمحت بها، بما يوقفنا أمام سؤال ماثل: لماذا حدث ذلك؟.

الدخول إلى دائرة الجواب عن هذا السؤال يمر عبر أنماط أربعة ملتبسة من الثقافة ، ساهمت فى هذه الأزمة ، وان جبتها محاولات أخرى عنت باستخلاص آلياتها وتجاوزها ، وهو ما نتلمسه فى أعمال **محمود العالم وعبد العظيم أنيس وسمير أمين وفريدة النقاش.**

لنفصل على أية حال هذه الأنماط الملتبسة:

١- الثقافة الجماهيرية :

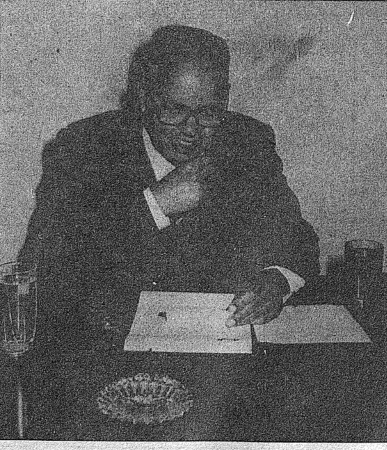
فقد تماثل مع احتدام الأزمة ورسملة العلاقات الاجتماعية ، ازدياد نشاط وسائل الاتصال ، وسيطرة الثقافة الجماهيرية التى تكرس فيما تعمل الدولة على نشرها وترويجها وإقناع الجماهير بها، كأداة مباشرة من أدوات انجاز التغييرات الناتجة عن طبيعة نمط الانتاج الرأسمالى الذى يجرى العمل على تحقيقه من خلال هذه الثقافة الجماهيرية، والتى تخضع عادة لمتطلبات اقتصاديات السوق وبيروقراطية هياكلها، ولمقتضيات المراقبة والتعتيم ، وتوجه الجماهير نحو الاستهلاك المحض، ونحو تعاظم الانكفاء على الحياة الداخلية ، وتفكيك المتصل الحضارى للجماعة الشعبية ، وتحوير محتويات العديد من مفاهيمها ، ومقاربة الفنون من زاوية التسلية أو الاثارة.

ذلك أن النهج الذرائعى الذى اتخذته الدولة خدمة لمصالحها قد كرس لاخضاع برامج التنمية لأساليب الاجراء التقنى والقرار الفوقى، حين غلب الاعتبارات الاقتصادية ،ونظر إلى الثقافة باعتبارها «الجوانب غير الاقتصادية»، أو أدرجها في المعادلات الاقتصادية ، وعدّل فيها بما يتفق مع أوجه استخدامها المزمع، مع ما صاحب ذلك من نزوع إلى اختزال الواقع وتهميش الثقافة، وبالتالى إلى التشكيك فى دورها حيثما يتعذر إغفالها.

وهكذا أغفلت الدولة النظر إلى التنمية كنموذج ثقافى يستجيب للمتطلبات والاحتياجات الحية للجماهير، فلم توفر شروط ربط الثقافة بالتنمية ، بأن تقوم الثقافة بدور الناظم الفعلى والناقد اليومى للتنمية فى كل ممارساتها ، مما أدى إلى خلق تنمية مشوهة وغير متوازنة ، وإلى ركن الاهتمام بالمسألة الثقافية على تخوم «العمران» ، أى خارج التنمية ، حيث اعتبر حل هذه المسألة متوقفا على الاكثار من المراكز والوسائط الاعلامية ، تلك التى تمارس دورها فى حقن الجماهير بالمفاهيم والصور الموحدة.

إذ عبر هذا النهج الذرائعى ، قدمت الدولة مسألة البنية الأساسية على أن تكون الثقافة مطية أو خادما لها،إما بارتهانها فى دائرة العمل السياسى المباشر(مراقبة التعليم ودور العبادة ، مصادرة المطبوعات، تفنيدات رسمية معززة بدروس في الحس الوطنى بهدف محاولة اقالة مشروعات التنمية من عثرتها ، تشريعات تحد من حركة المثقفين. .) ،أو بايكالها إلي متخصصين تكنوقراط ،مما أفقدها فى الحالين ، من قيمتها ، وأدى إلى فك الصلة العضوية بين المواطن وبين الركائز العقلية والنفسية التى تثرى هويته وانتماءه ، والتى تشكل عناصر وآليات دفاعه الذاتى، وأفسح المجال لمختلف التيارات بأن تغزو الساحة الثقافية على مستوى المجتمع المدنى.

وبدو تشغير الثقافة الجماهيرية فى هذا الصدد عبر تضخيم جهاز التلفزيون كوسيط ثقافى أول ، والذى كان من نتائج انتشاره تقليص الاجتماعات العامة التى كانت دائما مناسبات لاحتفالات ثقافية، واخراس الحوار فيها، حين أضحى المتحدث البديل الذى يتم الاستماع إليه، بما أربك المستمع ،حين غصب توصيله فى متاهات وتقنيات قلصت تلقيه إلي مجرد استقبال لا يسمح حتى من



د. عبد العظيم أنيس

ناحية الحواس، سوى باستهلاك الصور والمعلومات.

وتظهر ايعازية وقسرية هذا النمط من الثقافة فى تغذيتها لروح المطابقة والامتثال ، والتلقى السالب ، واقتراح معرفة قطعية وآراء وسلوكات ونماذج جاهزة ومهيأة سلفا.

٢- ثقافة للاسلام السياسى:

وقد جرت إنطلاقة هذه الثقافة فى ظروف الاحتقان السياسى، والنشاز المعرفى، وتنامى صراع النصوص ، والخلاف حول دلالات المصطلح الاسلامى وايقاعات معانيه في صور الذاكرة وحقل الادراك ، والتى لم تنحصر فى حدود فقه اللغة، بل تجاوزته إلى أبعاده السياسية والأيديولوجية ، وهو ما وجدتها ثقافة الاسلام السياسى، رغم تعدد تياراتها وفصائلها ، سانحة للوصول إلى احتمال ردم الالتباس وضبط عجلة الدوران فى اللابديل الانتقائي على هامش السياسة والاجتماع والثقافة.

فمع اجهاض التجربة الناصرية ، وتبلور فئات بينية (رجال أعمال بيروقراطيون ، طفيليون، مهمشون، معدمون) ،كل منها بحاجة إلى معرفة جديدة تكرس مصالحها وتبررها ، تشظت ثقافة الاسلام السياسى، لا باعتبارها استقاطا على العائد الدلالى للاسلام ، بل كبطاقة لحركة اجتماعية تطلب المشاركة ، وتقدم نفسها بديلا للدولة، ساعدها اتجاهها نحو تنمية خطاب **«عبر طبقى»** ، بنفى شرعية أية تعبئة تعمل على أساس معايير اجتماعية(٣).

ومهما يكن من أمر التباين فى تيارات هذه الثقافة ، فهى لم تستطع أن تنقل أفكارها من ميدان التأمل العقيدى إلى مجال التاريخ:

فبحثها فى التراث يبدو كآلية تعويضية ، تستعاد عبره القيم «الأصيلة» التى تمثل الخصوصية والعودة إلي السلف ، بأكثر مما يشكل استنهاضا للقوة التى صاغت هذا التراث ، مما حدا بها أن تتعامل معه كذريعة لمقاومة العلمانية «الدخيلة» والغرب. ورؤيتها للتاريخ توزعت بين ماضى يتراءى زاهيا وحاضر يتدافع نحو مصيره ، بما جعلها تنظر اليه كمعطى مساعد أو معاند، لمجرد إثبات الامتداد والتراكم. وموقفها من الآخر بين كمحاصصة غانمة المعالم بين نزوع التمايز وطموح التعايش ، أو بين ارادة الالغاء ورغبة الاعتراف، كنوع من الاستخدام السالب لمفهوم«الواقعى العقلانى» عند **هيجل**. أما نظرتها للجماهير ، وبخاصة ما يتصل بقضايا الديمقراطية والمرأة والثروة، **فهى أشبه بتوجهات تعبر عن نوعيات من ردود الفعل ، هى على جدواها صيغ خام، تستوجب تحويلا ومساءلة حتى تعثر على تحققها الفعلى، فضلا عن أنها قد تستحيل شعارات لقوى اجتماعية تبعية ، ناهينا عما نبت حول ضفاف هذه الثقافة من طقسيات بدائية(طب روحانى ، تمثلات معتقدية ، أفكار قبلية)، تلجم بهاء الذات.**

٣- الثقافة النفطية:

وقد ساعد التزايد الخاطف لمقدار الريع النفطى منذ منتصف السبعينات على تكريس نمط ملتبس من الثقافة يمكن تسميتها **الثقافة النفطية**، لقيت انتشارها فى مصر عبر شرائط الكاسيت والمحطات الفضائية والمطبوعات الأنيقة والرخيصة، وترسم معالمها قبلية مدعمة بالعقيدة، وضيق فى مساحة الوعى ، وسيادة قيم ريعية ، منوطة بتوجه استهلاكى ترفى وازدواجية أخلاقية.

ومسعى هذه الثقافة أن تفرض نموذجها وقيمها المصاحبة ،من خلال الممارسات التالية:

(أ) رعاية وتمويل شكل مشوه من الثقافة الدينية، يقوم على مقولات النقل والاتباع والتقليد، ويركز على مظاهر شكلية للتدين (مضاعفة عدد المساجد ، انشاء بنوك إسلامية ، استنفار المخزون الطقوسى لدى الجماهير ، تنمية النزوعات القدرية..) ، ويختزل غنى وتنوع الثقافة العربية الاسلامية.

(٢) الدفع بمحاولات تستهدف «أسلمة» المعرفة ، بواسطة صوغ تصورات لها من منظور دينى ، بدل الافادة من أطرها النظرية والمنهجية فى استقرار الخطاب الاسلامى، مما تمخض عن ترسيمات «نيئة» قدمها آحاد من الاكاديميين المصريين فيما أطلقوا عليه «علم الاجتماع الاسلامى» و«علم النفس الاسلامى» و «علم السياسة الاسلامى» و«ابستمولوجيا العلم فى التراث الاسلامى» و«منهجية تصنيف العلوم فى الفكر الاسلامى»و «مفهوم الصحة النفسية لدى العلماء المسلمين..» .. وكلها يندرج أما فى مجرى نظريات غربية تحت لافتات اسلامية ، أو تلف حول مضامين معرفية معممة، فى حدود الانكفاء على



فريدة النقاش

الموروث ، وفهمه بطريقة واحدية وقطعية ، لا التعامل معه ككينونة حية تستمد قدرتها على التواصل ، عبر فهم الماضي وتآخذه الجدلي مع الحاضر (٤).

(ج) **التعامل مع المفكرين والكتاب والأدباء والأكاديميين المصريين إما باغرائهم للعمل فى أجهزتها الثقافية ووسائل اعلامها وجامعاتها**، متسقة فى ذلك مع ذهنية الريع الملازمة لها ، والتى تعتبر «العطاء» أقرب السبل لكسب الاتباع ، **وإما بتشويه ممثلى التحديث والعلمانية والاشتراكية والقومية منهم، والتى أطلقت عليهم «أصنام الحداثة والفكر والزندقة»**،و«أهل التشكيك والنفاق» ، وأدرجتهم فى قوائم الملحدين والكفار ، باعتبارهم«أعداء هذه الأمة الحاقدون عليها، والخائفون منها، والطاعنون فيها»(٥).

(د) **الانشاء المتعجل لبنى ثقافية شكلية** (جامعات ، مراكز بحوث، مهرجانات، دور نشر، مكتبات ، دوريات ، معارض) ،**تفتقد الشروط الأساسية لمردوديتها** ، لقيامها كأدوات تكييف وتطويع واستكمال للأبهة، وتحييد لممارسة التفكير النقدى، بهدف منافسة مثيلاتها فى«المركز القديم».

وبخلاف هذه الممارسات ، يجوز القول بوجود أخرى على مستوى من الجودة والجدية تقدمها هذه الثقافة فى أحيان:

٤- المتروبول الثقافى:

وإضافة إلى هذه الأنماط الثلاثة من الثقافة الملتبسة التى تحاول غزو الثقافة المصرية، واتساقا مع علاقة التبعية التى ربطت مصر بالمتروبول ، تجيئ محاولاته الدائبة فى تخليف فعاليات هذه الثقافة، عن طريق احكام الالحاق الثقافى . كبعد جديد يضاف لأبعاد السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

فمع أفلام هوليوود ، وبعد مجلة (المختار) ذات الحجم الصغير والثمن الرخيص والطباعة الجيدة، والتى لعبت دورا ملحوظا فى تهميش وعى القارئ المصرى، ومعها (مؤسسة فرانكلين) ، طورت (وكالة المعلومات الأمريكية) منذ السبعينيات ، والتى أصبح أسمها (وكالة الاتصال الدولى الأمريكية)USICAنشاطها ، بانشاء المكتبات والمراكز البحثية وتقديم البعثات الدراسية والمنح والبرامج التدريبية للعاملين في قطاع التعليم والأجهزة البيروقراطية والأمنية والعسكرية والجمعيات الأهلية.

وعلينا أن نعترف بأن أعداد كبيرة من مثقفينا ومتعلمينا قد تكون فى حدود هذه الثقافة ، وبالتالى توفر لديهم فكرة وقناعات ايديولوجية تؤكد ، بصنعها لأسئلتهم وأجوبتهم، سيطرة النزعة التلقينية ، الدالة على أن قيم الفكر خارجية أكثر منها داخلية ، وتعمق من مفهومى «الاستهواء» و «الاذعان» اللذين يقومان على تشريب الأفكار دون تمييز أو تمحيص ، ناهينا عن **أنها تلغى أو تتجاهل أسس الثقافة الوطنية ، وكلها يكرس فكر ومنطق التبعية ، أو ما يطلق عليه«العقل الأسير»**The Captire Mind، ما دام سوط الضرورة وسكينة المغلوب ترغمنا على ذلك.

رابعا: ما العمل؟.

إن ما يمكن استخلاصه هنا هو أن تطور الثقافة المصرية فى سياق الأزمة المجتمعية لهذه الحقبة الحالية يبدو معوقا ، بسبب تشوه البنى الاجتماعية وهبوط الحياة السياسية ، ووهن الجسد التنظيمى ، وتعاظم الحيرة الفكرية ، وتترجمها تضاعيف من عدم الاطمئنان الاجتماعى ، وهوة تتسع فتفصل بين الحلم المصرى وواقعه، ويغذيها انتفاء الجدل الحى بين الثقافة والعقل ،والاحساس الضاج بالعائق، وعدم القدرة على التحكم الواعى فى مسار المجتمع وفي القوى التى تسيطر عليه ، وسيادة التنظيم الفظ لمظاهر الدولة.

وفى هذا الصدد ، **يطرح جورج ماتيو**G.MATHIEU أسئلة اشكالية، لا تخلو من هم ضمنى يربط تجارب الدول النامية ، حول الأولويات الحقيقية بالنسبة لهذه الدول: هل هو رفع مستوى معيشة الأفراد ، أم الاعلاء، من شأن انسانها بتنظيم وسائل الترفيه واشعاع الثقافة؟ وهل يجب توجيه الثقافة، أم توفير شروط تنميتها ؟(٥).

وفى الظن أن مسار الحركة الثقافية المصرية، بما يجتاحها من صعوبات وبما تحمله من ضمور وقصور، سوف يؤدى إلى عدة احتمالات مستقبلية:

الاحتمال الأول والأكثر واقعية ، هو أن الاستعداد لملاقاة هذا القصور في ظل المتغيرات والوقائع التى يجرى تثبيتها آنيا، لا يكاد ينبئ بامكانية صحيحة لتجاوزه.

أما الاحتمال الثانى، فتدلنا عليه الخبرة «التاريخية» المصرية فى العلاج الوقتى، والقائم على امتصاص «تشنجات» المسألة الثقافية ، أو بتسويتها تحت تأثير مهدى أو آخر (تكوين تجمعات مهمشة للانتلجنسيا ، التقاط موسمى لموجات ثقافية مقترحة تلف حول المجتمع المدنى والعولمة وما بعد الحداثة وغيرها ، تضخيم الجهاز الاعلامى ، تطبيع سياحى لمشروعات ثقافية ، تكريس صيغ فكرية محايدة..) ، بما يفيد أن محتوى القصور ذاته يبقى كامنا وقابلا للانفجار فى أى لحظة، بمجرد ضعف أو تراخى تأثير العوامل التى أدت إلى التهدئة أو التسوية ، وصولا إلى طرح تسوية جديدة.

وأخيرا هناك احتمال خروجها من أزمتها ، وهو احتمال لا يتم تصور جديده خارج إطار جدل التغيير فى البنية الاجتماعية المسيطرة ، وخارج الحضور الفاعل لحركة الجماهير، عبر مستويين مترابطين : مستوى أيديدولوجى يعالق فعل الجماهير بصياغة لآليات ثقافة المواجهة ، ومستوى تنظيمى يقوم على اقامة جبهة شعبية تضم كافة القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ، ويشق طريقه في مسار الحضور والمستقبل. إذ ليس المطلوب أن نرقع الثوب . المهم أن نستبدل الجسد. هكذا حدثنا الشاعر محمد عفيفى مطر.

الهوامش:

(١) Morun , E.: L,esprit du Temps,Grasset, Paris.1992,p.31.

(٢) Bourdieu,P.et J.C.Passeron: La reproduction-Elements pour une theorie du Systeme. d,enseignement, Minuit , Paris, 1970, P.4.

(٣)يورد **سمير أمين** أن من أهم خصائص الحركة الاسلامية أنها تتخلل المجتمع أفقيا لتشمل كل طبقاته وفئاته، وأن : «عمومية أو مرونة هذا الاسلوب الذى تعتمده، هو ما يفسر قوتها، حيث يمكنها من استقطاب قوى اجتماعية جديدة ومتباينة ، ولها مصالح ليست بالضرورة متوافقة، لكنها متفقة من حيث رفضها للوضع القائم» يراجع:
Amin,S.: Etat, Nation, Ethnie et Minorite dans La Crise" in (Bulletin du Forum du Tiers-Monde), N.6, Dakar , Arril 1986,P.67.

(٤) تضم قائمة هؤلاء الأكاديميين أسماء: مصطفى الخشاب وعبد الباسط حسن ومحمد على محمد ومحمد ابراهيم الفيومى ولبيب السعيد وعلى وافى ونبيل السمالوطى وزكى اسماعيل فى علم الاجتماع الاسلامى، وأحمد شلبى ومحمود عساف وفتحية النبراوى ، ووجدى حسين وشوقى دنيا فى علم الاقتصاد الاسلامى، وسيف الدين عبد الفتاح فى علم السياسة الاسلامى، وأحمد فؤاد باشا وعبد المجيد النجار فى العلوم البحتة.

(٥) «حرب الكاسيت» فى مجلة(الناقد) ، العدد الأول، يوليو ١٩٨٨ مؤسسة رياض الريس للنشر ، لندن، ص٣٧.



العولمة

من أعلى.. ومن أسفل

شهدت السنوات الماضية انتشارا ملحوظاً لمصطلح **العولمة**، وكثرت العناوين التي تضع المصطلح إلى جانب كل شئ وربما أي شئ. وما زالت عجلة الانتشار أسرع بكثير من أي وقفة تحليلية، وصارت ظاهرة «**العولمة**» واقعة يقاس عليها وبها سائر الوقائع المحلية والعالمية. ومع ذلك فثمة محاولات، على الأقل على المستوى الوصفي، لتحديد أبعاد الظاهرة التي يعبر عنها المصطلح.

غالبا ما يشير المصطلح إلى ما أحدثته «الثورة» التكنولوجية في مجالات الاتصال والمعلومات، وقد يشير أيضا إلى اختلال علاقات القوى بين الشمال والجنوب. ويأتي كل هذا على سبيل التوصيف، ولكن التوصيف قد يمثل أحد مراحل التحليل. والواقع أن قوى اليسار هي أحد أهم الأطراف المعنية بالظاهرة إن لم تكن أهمها على الإطلاق ليس فقط من المنظور الوطني ولكن أيضا من المنظور العبر قومي. **وكالعادة يعكس اهتمام مثقفي ومفكري اليسار بظاهرة العولمة شواغل نظرية وعملية، فمن ناحية أولى مواصلة التراث النظري الماركسي الخاص بتحليل طبيعة النظام الرأسمالي، ومن ثم بناء استراتيجيات المقاومة والتجاوز من ناحية أخرى.**

فعلى المستوى العربي نجد اسهامات لتحليل الظاهرة أو بالأحرى توصيفها وهي متباينة. فنجد مثلا أن **ظاهرة العولمة** في تصور **سمير أمين** بمثابة سيرورة Process مصاحبة للنظام الرأسمالي وتعكس تاريخيا توازنات قوى اجتماعية. وفي تصوره أيضا أن هذه الظاهرة شهدت تقدماً سريعاً بعد الحرب العالمية الثانية. هذا في حين يتعامل د. **إسماعيل صبري عبد الله** مع ظاهرة العولمة أو «**الكوكبة**» كما يسميها بوصفها «مرحلة» تاريخية من مراحل الرأسمالية جاءت بعد «الامبريالية» التي وصفت لينينيأ بأنها «أعلى مراحل الرأسمالية».

ونعرض في هذه السطور أحد التصورات التي تنطلق من موقف مضاد للعولمة السائدة ،وعلى الرغم من أن هذا التصور يبدو **مدرسيا ووصفيا** لحد كبير، إلا أنه مفيد، على الأقل، في هذه المرحلة التي تتطلب معرفة مختلف التصورات حول ظاهرة يبدو مستقبلها أكثر وقعاً من حاضرها. كما أنه مفيد في إبراز صورة البدائل عندما تصدر كرد فعل لما هو سائد.

يتعامل هذا التصور مع نوعين من العولمة كل منهما يعمل على أكثر من مستوى: المستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي وهما:

-العولمة من أعلى Globalizarion From above

-العولمة من أسفل Globalizarion From Below.

هذان النوعان من العولمة متقابلان ولكن تربطهما في نفس الوقت علاقة جدلية، بمعنى وجود تفاعل دائم بينهما. **فالعولمة من أعلى تخلق الشروط والقضايا والحيز اللازم لعمل العولمة من أسفل**. ومن الطبيعي أن تكون العولمة من أسفل من المنظور الديمقراطي التقدمي ليست مجرد مسألة مطلوبة ومفضلة وفقط بل الأكثر فائدة أيضا.

العولمة من أعلى

تمثل العولمة من أعلى ذلك النمط السائد والمهيمن من العولمة بما تعنيه من ثورة في مجال المعلومات والاتصالات واحتكارها لصالح المصالح الرأسمالية العالمية.

العولمة السياسية من أعلى

تتجلى العولمة السياسية من أعلى في ممارسات البلدان الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وضغط المؤسسات المالية العالمية على بلدان الجنوب وبلدان الكتلة الشرقية السابقة من أجل أن تتبنى نموذج الديمقراطية الغربية. الأمر الذي يعني تبني النموذج الغربي للنظام الليبرالي -الديمقراطي في الحكم والانتخاب الدوري واحترام الحقوق المدنية والفردية .. الخ. ويأتي ضمن هذا أيضا بذل كل الجهود لتدمير كل التجارب التي تجاسرت وأرادت أن تكون مختلفة. والواقع أن عملية المقرطة ذاتها ليست هي المشكلة، ولكن المشكلة في مضمون الديمقراطية ،فما يدعو له الغرب هو ديمقراطية شكلية عوضاً عن ديمقراطية شعبية أصيلة.

يسرى مصطفى

العولمة الاقتصادية من أعلى

ترتبط العولمة الاقتصادية من أعلى بشكل وثيق بجانبها السياسي من خلال:

أولا: تشابه أشكال الضغوط.

ثانيا: الزعم بوجود روابط قوية بين حرية السوق وحرية المجتمع.

وتطلب العولمة الاقتصادية من أعلى من بلدان الجنوب وبلدان الكتلة الشرقية السابقة-من خلال مؤشرات يضعها النظام الرأسمالي العالمي السائد- القبول بالآتي:

- برامج التكيف الهيكلي التي تفرضها المؤسسات المالية العالمية التي يسيطر عليها السبع الكبار G.7.
- تحمل أعباء الديون الضخمة.
- تطبيق السياسات الاقتصادية الليبرالية الجديدة بما تعنيه من لبرلة كاملة للاقتصاديات المحلية بهدف فتح الباب على مصراعيه أمام رأس المال العابر للقومية.
- قبول الهيمنة الغربية من خلال الاتفاقيات والمنظمات التجارية متعددة الاطراف مثل الجات ومنظمة التجارة العالمية .. إلخ.

تسفر مثل هذه السياسات عن المزيد من الاستقطاب على الصعيدين الدولي والاجتماعي ،كما تفضي إلى تقوية تقسيم العمل الدولي بما يعود بالضرر على بلدان العالم الثالث.

١-٣ العولمة الثقافية من أعلى

تنبع العولمة الثقافية من أعلى من سيطرة الغرب على شبكات الاتصال والمعلومات العالمية. ومن خلالها يجرى نشر ثقافة استهلاكية ونشر أنماط الثقافة الغربية بوصفها ثقافة عالمية. وهكذا تمثل العولمة الثقافية من أعلى تهديداً خطيراً للتنوع والتعددية الثقافية على سطح الكوكب.

العولمة من أسفل

تتشكل العولمة من أسفل من **عدد من**



د. اسماعيل صبرى .. مرحلة تاريخية

د. سمير أمين .. سيرورة مصاحبة للنظام الرأسمالى

الحركات الاجتماعية عابرة القومية المعنية بعدد كبير من القضايا التى تهم المجتمع الإنسانى. وتعمل هذه الحركات على أساس الوحدة فى التنوع. **تتمثل الأسباب التى دفعت إلى بروز هذه الحركات فى نمو التباينات الاقتصادية بين البلدان وداخلها وفشل المجتمعات فى تحقيق العدل.** وتتضمن شواغل هذه الحركات أيضا قضايا البيئة ، وحقوق الإنسان ، والمرأة ، والتنمية المستديمة ، السلام والعدل، والتحرر من القهر، وتتميز هذه الحركات عن سابقتها على النمط الاشتراكى / الشيوعى ليس في الهدف ولكن فى الأدوات. فهى تعتمد طريق اللاعنف ،كما أنها لا تستهدف السلطة بل خلق بدائل سياسية للدولة ذاتها. كما أن الحركات الاجتماعية السابقة ارتكزت على فكرة الطليعة ، بينما يجرى التركيز هنا على عولمة من أسفل غير نخبوية بالأساس.

١٢- العولمة السياسية من أسفل

تتمثل العولمة السياسية من أسفل في صعود وانتشار حركات حقوق الإنسان ، وخاصة فيما تخلقه من روابط تضامن عبر قومى. كأن تتضامن حركات حقوق الإنسان مع حركة ما فى أحد البلدان كمراقبين مثلا كما حدث فى المكسيك حيث تم التضامن مع **حركة زباتيستا** فى إطار مفاوضاتها مع الحكومة المكسيكية . وأيضا تضامن مجموعات من الهند وباكستان وتشكيل المنتدى الباكستانى الهندى من أجل السلام والديمقراطية PIP FPD والذى يعمل على تشجيع استمرار الحوار على المستوى غير الحكومى بين البلدين وتمثلت أيضا مثل هذه الروابط وقويت على المستوى الدولى من خلال المشاركة الواسعة لمنتديات المنظمات غير الحكومية للبدائل فى كل مؤتمرات الأمم المتحدة الدولية.

وتعنى العولمة السياسية من أسفل أكثر من مجرد الضغط المحلى على حكومات مستبدة من أجل التحول إلى الديمقراطية الليبرالية ،فما يحدث ، بالاضافة إلى ذلك، هو خلق حيز سياسى بديل عوضاً عن أن تكون الدولةهدفاً فى حد ذاتها.

وفى الواقع تعتبر التنظيمات الشعبية القاعدية Grass Roots **أداة** البحث عن أشكال حكم بديلة تجد جذورها فى التقاليد المحلية وتسمح بأقصى قدر من المشاركة واللامركزية الديمقراطية والمحاسبة. كما أن التنوع فى الفكر والممارسة يعمل على تغيير المفاهيم التقليدية بشأن التنمية والديمقراطية والسلطة والحكم وهى عملية طويلة المدى. **يضاف إلى ذلك أن الهدف من محاولات خلق مشاركة شعبية عابرة للحدود هو بناء تحالف أو منتدى للشعوب عابر للحدود يعمل فى مواجهة نظام الأمم المتحدة الراهن والذى هو مجرد نادى للدول.**

العولمة الاقتصادية من أسفل

على الرغم من أن علاقات الاقتصاد الكلى ليست مهمة الحركات الاجتماعية على المستوى القاعدىGrass roots، **إلا أن العولمة الاقتصادية من أسفل عملية جارية بالفعل وتتمثل فى:**

- نقد الحداثة وأنماط التنمية السائدة.

- المقاومة عابرة القومية بسياسات الليبرالية الجديدة والعلاقات التجارية وبرامج التكيف الهيكلى.. الخ.

-وعى الحركات الفلاحية فى المناطق الريفية بضرورة فك الارتباط بالنظام الرأسمالى الزراعى السائد لصالح أنماط محلية مستديمة للزراعة .

-النمو السريع للاقتصاد غير الرسمى.

ولا يعنى هذا فى واقع الأمر العودة إلى أنماط ما قبل حداثية، ولكن رفض النزعة الاستهلاكية المتزايدة التى هى سمة الحداثة والرأسمالية.

العولمة الثقافية من أسفل

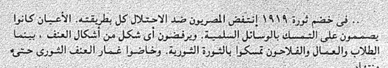
قد تعتبر العولمة الثقافية من أسفل أهم مستوى على الإطلاق . وينعكس ذلك فى انفجار المقاومة فى كل أرجاء المعمورة ضد الهيمنة الثقافية الغربية مثل: النضال من أجل الاحياء الثقافى للسكان الاصليين ، رفض المفاهيم الغربية للحداثة والعلمانية ، رفض عالمية ثقافة صنعها الاستعمار والامبريالية.

* هذا المقال ، هو بالاساس ، عرض للفكرة كما وردت فى:

Nikhil Aziz: The Human Rights pebate inan fra of Globalizadtion, Hege mony of discourse.

محمد الجندى

ابن



د. رفعت السعيد

.. فى خضم ثورة ١٩١٩ إنتفض المصريون ضد الاحتلال كل بطريقته. الأعيان كانوا يصممون على التمسك بالوسائل السلمية. ويرفضون أى شكل من أشكال العنف ، بينما الطلاب والعمال والفلاحون تمسكوا بالثورة الثورية. وخاضوا غمار العنف الثورى حتى منتهاه.

لكن البعض من شباب الثورة خاض المعركة على وجه آخر.. استقلوا ببلدهم ، ليس تقسيما للوطن، وإنما رفضا للخضوع للاحتلال ،وتحدياله. وهكذا ففى المطرية، والمنيا .. وزفتى استولت مجموعات من الشباب على السلطة (١) فى هذه البلدات.. وأعلنت استقلالها ليس عن الوطن وإنما عن سلطة الاحتلال.

وتزعم المحامى الشاب **يوسف الجندى** قوى الثورة فى مدينته **زفتى** ليعلن إستقلالها ، ليشكل لجنة للثورة .وإنطلقت اللجنة لتعيد تشكيل وجه الحياة فى«**زفتى**» ردموا البرك والمستنقعات ، نظفوا الشوارع، غرسوا الاشجار ، أقاموا كشكا للموسيقى يعزف موسيقاه لجماهير الفلاحين.

وعندما أرسل الاحتلال قواة من الاستراليين ، طبعت لجنة الثورة منشوراً بالانجليزية يحرض الاستراليين ضد الاحتلال الانجليزى «**لسنا ضدكم، نحن ضد الاحتلال البريطانى، نريد استقلالا لوطننا ، نريد خبزاً وحرية**».. أليس تعبير« **نريد خبزاً وحرية**» قادراً على إثارة الدهشة؟.

انبهر المصريون .. البعض أسمى هذه البلدة الصغيرة جداً «**جمهورية**» **زفتى** ، والبعض اسماها «امبراطورية» زفتى.. ومن نتحدث عنه الآن هو ابن «**امبراطور**» **زفتى**.



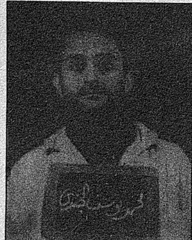
محمد الجندى مع اسرته .. الزوجة والابن والابنة .. ومعها فاطمة زكى

الاسم: محمد يوسف الجندى
تاريخ الميلاد: عام ١٩٢٦
محل الميلاد: زفتى- غربية.
المهنة : مدير دار الثقافة الجديدة- محام- محترف ثورى- صحفى
الاسم الحركى: شديد -يحيى السمالوطى.. وأسماء أخرى.

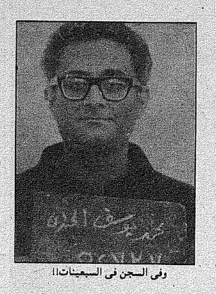
.. ويخوض **الاب** معاركه السياسية وفديا ، ويبقى متميزاً بموقفه المعادى للاستعمار وللقصر الملكى .. قد يكون الكثيرون فى ذات موقفه ، لكنه يتميز بحدة عدائه يخوض الوفد معركة من أجله كى يصبح وزيراً ، القصر يرفض، ثم يقبل يصبح وزيراً للمعارضة، ووكيلا لمجلس الشيوخ .. ثم يهوى سريعا فى الثامنة والاربعين من العمر(١٩٤١) .تاركا للابناء ميراثا عقاريا محدوداً (نال منه محمد عدداً من السندات و١٦ فداناً) لكنه ترك له ميراثا وطنيا لا يفنى، شارع باسمه أما الابناء فقد منحوا معاشا استثنائيا ، وحق التعلم مجانا فى كل مراحل التعليم.

فى هذا المناخ نشأ **محمد الجندى . نشأ يتفجرحماساً ضد الانجليز والقصر الملكى.** ولكن .. يتفجر فى أى إتجاه ؟ هذا هو المهم . فى البداية تعاطف كالمعتاد مع« **النازى** » أليسوا ضد الانجليز؟ ثم إتجهت أبصاره إلى هؤلاء الابطال فى الاتحاد السوفيتى، **صمود لينتجراد ، معارك ستالينجراد** ، استيقظ وجدانه ككثيرين على طلقات مدافع **ستالينجراد ..أحلامه عن الاشتراكية قديمة هو وأخوه تحدثا بعفوية منطلقة عن العدل الاجتماعى**.. عندما كان أبوه يزور زفتى بعد أن أصبح وزيراً كان يجالس فلاحين ويقول لهم مندهشا وربما سعيداً « **أولادى اشتراكيين** ». ثم عثر على أول خيط .. نص الدستور السوفيتى .إنبهر مع الكلمات.. « **حكم العمال والفلاحين** » « **دولة الاشتراكية** » « **الأممية** » « **حرية الشعوب** » **العداء للاستعمار** ، وكتب وهو بعد صغير مقالا فى مجلة وفدية اسمها « **الشعلة** » التقط فيه بذكاء بعضا من الحقيقة ،علق على الدستور .. اقتبس منه ، ثم أكد أن للانتصار على النازى بعداً اجتماعياً.

شلة أصدقاء الطفولة « **هو وأخوه أحمد، جمال العطيفى ، فتحى غانم، عبد القادر العابدى** » تحدثوا طويلا عن الاشتراكية وحكم العمال.. وقرروا ان يعملوا كعمال فى الاجازة الصيفية. وسافروا فى الصيف إلى زفتى.. كونوا جمعية لاقامة مشاريع فى المدينة **هو القى عدة محاضرات فى النادى ، وفى شعبه**



محمد الجندى فى السجن أيام الشباب



وفى السجن فى السبعينات!!

١٥ عاما قضاها هاربا أو فى سجون مصر وفرنسا

الاخوان عن التضامن الاجتماعى،وعادوا مع العام الدراسى ليواصل **محمد** محاضراته فى شعبه الاخوان فى السيدة زينب عن العدل الاجتماعى فى الاسلام «العين اليقظة **لحسن البنا** تلقفته ، إستدعى **هو وأحمد** لمقابله المرشد العام امتدحهما كثيرا. إمتدح الاب كثيرا ، لكنهما أفلتا من شباكه ولم ينضما إلى الاخوان.

وعندما يكون طالبا فى« التوجيهية » يستشعر الحاجه لفعل أكبر فيؤسس جمعية يسميها « **جمعية البعث الاجتماعى** » يكون أول بند فى برنامجها « **إلغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج** » ، الاخوان لم يزالوا يلاحقونه ويلحون عليه .. ويناقشون برنامجه فيضيف بنداً عن « **تطبيق الشريعة** » . الجمعية تضم ثلاثين عضوا منهم **فؤاد محيى الدين -جمال العطيفى- فتحى غانم- وهو وأخوه أحمد**. يطبعون برنامجهم فى منشور ويوزعونه فى الجامعة والمدارس..

الأمن يستشعر خطرهم لكن أصابعه تتجه إلى أحمد ،وليس إلى محمد.

.. ذات يوم حضر محاضرة لصديق قديم « **محمد زكى هاشم** » كان صديقا منذ كان طالبا فى الابراهيمية الثانوية ثم التحق بالحقوق . المحاضرة عنوانها « **الملكية الزراعية فى مصر** ».. الافكار الاشتراكية عند **محمد زكى هاشم** أكثر اتساقا ، وأعمق آفاقا (كان قد أصبح عضوا فى **ح م ..الحركة المصرية للتحرر الوطنى)** أعربوا له عن انبهارهم فدعاهم إلى جلسة **هو وأحمد وجمال العطيفى**.. وقرأ معهم بعضا من كتابات **ماركس** .كانت المحاضرة فى دار « **لجنة نشر الثقافة الحديثة** » هناك التقى **بسعيد خيال ونعمان عاشور ومصطفى كامل منيب وأحمد عبد الملك** ودعاه إلى محاضره فى دار أخرى« **دار الابحاث العلمية** » .. هناك الحاضرون أكثر حيوية والنشاط أكثر توهجاً وهناك أيضا **شهدى عطيه وعبد المعبود الجبيلى**.. وكتب ماركسية كثيرة يجرى تداولها بحذر وان كانت فى أغلبها بالانجليزية .. دعوه إلى سلسلة الجلسات الدراسية .. فلسفة ، اقتصاد سياسى..**وهج الفكر الماركسى أضاء مساحات واسعة أمامه ، انهمك معهم يقرأ ويدرس** .

وبعد أربعة أشهر دعاه شهدى إلى جلسه خاصة ، عرض عليه الانضمام إلى منظمة « **شرارة** » « **أيسكرا** » ،وافق مندفعا بحماس شديد، تلقف الخيط الذى حلم به كثيرا . وأصبح شيوعياً.

* وتفرق الاصدقاء:

كان ذلك فى عام **١٩٤٥**.. إلتهب الفتى حماسا مع التهاب الحركة الوطنية .. وأصبح بيته مقراً لاجتماعات عديده، الاجتماعات التمهيدية التى أثمرت فيما بعد « **اللجنة الوطنية للطلبه والعمال** » .كانت الاجتماعات الواسعة تعقد فى ملاعب ومدرجات كلية الطب. (**ذات يوم فوجئ بحوالى مائتين من العمال يدقون بابه يريدون عقد اجتماع فيه** كانوا قد دعوا إلى إجتماع للهيئة التأسيسية لاتحاد نقابات العمال . البوليس طاردهم تفرقوا، تواعدوا، قادهم أحد «الرفاق »إلى

مكان يعرفه.

وهكذا أصبح بيت **يوسف الجندى** فى شارع معمل البارود بالقصر العينى مقرا لاجتماعات شيوعية خطره .. ولكن أنظار الامن ظلت متشبثة **بأحمد الجندى** ، وفى حمله ١١ يوليو ١٩٤٧ صدر أمر بالقبض على« **أحمد** » ، واختفى هو و**محمد** فى بيت **جمال العطيفى.**

ثم تفرقت السبل..

أحمد قال بصراحة : **أنت تريد الشيوعية ، وأنا أريدأن أصبح مليونيرا (وقد أصبح بالفعل مليونيرا) .. جمال العطيفى** تخرج متفوقا وأصبح وكيلا للنيابة **(لفترة طويلة من الوقت كان رئيسا لنيابة الصحافة التى تفرغت للتحقيق فى القضايا الشيوعية) ثم أصبح وزيراً للاعلام ، فتحى غانم تفرغ للصحافة والادب وحقق ما هو عليه الآن.. أما محمد فقد قرر أن يواصل البحث عن حلمهم جميعا عندما كانوا صغاراً .. الحلم بوطن حر.. وشعب سعيد.**

وكأنه أراد أن يعوض فراقهم .. وافتراقهم عن الطريق نحو الحلم .. فحمل على كاهله عبء الحلم الجماعى.

ويمضى الفتى الارستقراطى فى طريق الشوك . عندما تم الوحدة وتتأسس منظمة **حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى)** عام ١٩٤٧ ،**يصبح مسئولا تنظيميا لقسم المثقفين**.. ثم تأسس قسم جديد للأقاليم ، انضم إلى قيادته **فؤاد عبد الحليم ، حمدى عبد الجواد، بهاء فهمى ، ابراهيم المناسترلى،** وهو وكلف بالعمل فى الوجه البحرى.

*** رهبان فى دير الشيوعية:**

.. كانت شحنه العطاء ملتهبة عند الكثيرين ، وكان نداء الوطن والعقيدة أعلى صوتاً من أى نداء، المسئول قال لهم :نحتاج مالا .. « **من كان لديه ثوبين فليعط أخاه ثوبا** ».. هو كان قد بلغ من الرشد .. وأعطى للثورة ثوبيه معا.. (**ورث عن ابيه اسهما وسندات وستة عشر فدانا باعها جميعا وسلم الثمن للحزب واشتروا به مطبعة تنشر الضوء الثورى على رقاع الوطن).**

تجرد من كل ما يملك ،تماما كالرهبان.. لكن النداء الملح يتصاعد «اترك أباك وأمك .. واتبعنى» .. ترك كل شئ .. ترك بيت الاسرة ترك الكلية (كان طالبا فى الليسانس) .... **ترك الحياة الهانئة ، وترك حتى القاهرة وأصبح محترفاً .. يقضى كل أيامه هاربا متنقلا بين قرى بحرى ، انها نهايات ١٩٤٧ وبدايات ١٩٤٨**(لم يكمل دراسة الحقوق الا عام ١٩٦٥) . تنقل بين مساكن عده، فى

يوسف بك الجندى قائد جمهورية زفتى ووالد محمد الجندى

مدن عدة.. الزقازيق ،طنطا، زفتى.. جند العديد من زملاء الدراسة **مصطفى درويش**(الناقد السينمائى) **ابراهيم خلاف، بهى الدين الرشيدى** (سفير سابق) . قبض عليه ، افرج عنه ، هرب مرة أخرى . الآن الاحكام العرفية معلنه وأوامر الحبس .. حبس مطلق. تنقل بين سجون عديدة ذاق مرة أخرى طعم الحرمان الحقيقى، والحبس الانفرادى ، قدم للمحاكمة ، أمام قاض اشتهر بقسوته «المستشار **حسين طنطاوى**» أسرته اكتشفت وجوده بعد فترة إختفاء طويل .. ترافع عنه **منصور باشا اسماعيل (كان النقراشى باشا** رئيس الوزراء قد اتصل بأسرته طالبا مقابلته وهو هارب .. بحثت الاسرة عنه طويلا .. لكنه رفض المقابلة).. حكم عليه بالسجن خمس سنوات مع الشغل.

الفتى الارستقراطى أصبح مسجونا . أسرته تدخلت لتنقله إلى سجن مصر ليكون قريبا منها . وفى السجن تقرر تنظيم إضراب عن الطعام . أضرب مع المضربين رغم وزنه القليل وحالته الصحية المتدهورة (بسبب الهروب.. والحبس) أضرب٢١ يوم .. انخفض وزنه إلى ٤٤ كيلو. حياته فعلا مهددة. وبعد إنتهاء الاضراب الذى حقق للسجناء حقوقاً هامة ، تدخلت أسرته وأسرة **شريف حتاته** لتقلهما إلى القصر العينى بأمل إستعادة صحتهما وإصلاح ما أفسده الإضراب عن الطعام.

ومن القصر العينى هربا.. **هو وشريف** . **شريف** سافر مباشرة إلى بور سعيد ومنها للخارج . هو هرب بسيارة أحد الرفاق ، وحط به الرحال فى بيت **صلاح حافظ**(وكان فى ذلك

الحين صحفيا مرموقاً في روزاليوسف).

البوليس شدد في البحث عن الهاربين نشر صورة **الشريف حتاته** في الصحف.هو طلبوا صورة له من أسرته أخو **أحمد** أعطاهم صورة له وهو في الثالثة من عمره . تنقل بين منازل رفاق عديدين **يوسف ادريس وأحمد حمروش** (كان ضابطا في ذلك الحين) .. كانت **حدتو** تصدر جريدة **«الملايين»** هو من مخبئه يترجم ويكتب للجريدة وطبعا لا ينشر اسمه . بقي في مخزن الرفاق ، لا يخرج من بيت إلا إلى بيت آخر. ذات يوم أشفق عليه أصحاب البيت اصطحبوه إلى السينما بعد أن ألبسوه ثياب امرأة وملاية لف ومنديل بأوية.. **ثم انتهى به المطاف إلى بيت ضابط من الضباط الاحرار (عثمان فوزي).. ومن هناك اصطحبه الضابط بسيارته ، وهرب به من عيون البوليس المترصده متحصنا بزيه العسكري ورتبته الرفيعة في سلاح الفرسان إلى بور سعيد حيث هرب في سفينة فرنسية..** خط سير المركب« بور سعيد- بيروت-حيفا (اسرائيل)- الاسكندرية .. ظل حبيساً في قاع المركب أربعة عشر يوماً .. ثم تحركت المركب باتجاه مرسيليا..

..إن رحلة الهروب .. ورحلة البقاء في فرنسا .. ثم المجر.. ثم العودة لا يمكن أن تحكى هكذا ، وبهذا الاختصار المخل. لعلها بحاجة إلى عمل درامي يكون أكثر قدرة على تقديمها.

المهم.. نزل الهارب من المركب اصطحبه البحار المسئول عن تهريبه ، أفلت به من ضابط الجمرك مقابل علبة سجاير لكنه لم يتركه إلا بعد أن جرده من نقوده حتى«الجوانتي» الذي كان معه أخذه منه. ثم أركبه القطار إلى باريس.

ومضى القطار يحمل الفتى .. وحيداً وبلا ملابس كافية ، وبلا نقود ، وبلا حقيبة.

لكن رفاقا في باريس كانوا في انتظاره.

*الأممية .. بشروطها

التقى بالرفيق **يوسف حزان** الذي تولى مسئولية تأمينه في باريس.. وهناك أيضا **إلتقى بشريف حتاته هو أقام عند الرفيق عزرا هراري .. وشريف** أقام في بيت آخر.

هو في باريس.. هارب بلا أوراق .. أي أوراق. انتسب إلى مدرسة«اليانس فرانسيز» وامتلك منها كارنيه كطالب ، ووجبات رخيصة في مطعم الطلبة ، وإتقانا للغة الفرنسية، وامتلك وقتاً أنفقه في واجبه القديم والمحبب الكتابة والترجمة. ترجم إلى العربية عديداً من الكتب منها كتاب « **الديمقراطية الجديدة» لماوتسي تونج**. هو يترجم **ويوسف حزان** يكتب على الاستنسل« **مجموعة روما** » (مجموعة المصريين المقيمين في باريس بقيادة هنري كورييل) تقوم بتهريب هذه المواد إلى داخل مصر.

لكن خلافات «مجموعة روما » مع الحزب الشيوعي الفرنسي، بسبب إصرار أعضائها على تكريس نضالهم لخدمة رفاقهم في مصر ، أعاقت أن يمد له الحزب الفرنسي يد المساعدة. فبقي معتمداً على نفسه ورفاقه حتى قبض عليه البوليس ،هارب بلا أوراق .كانت التعليمات لديه «لاتتكلم إلاأمام قاضي التحقيق» فالبوليس يمكن أن يقوم بترحيله إلى مصر بمجرد أن يعرف بلده . ذاق تعذيب البوليس على الطريقة الفرنسية .. لكنه تمسك بالكلام فقط أمام قاضي التحقيق . أمام القاضي حكى حكايته .. أمر القاضي بإيداعه في السجن. ويذوق السجن بالمذاق الفرنسي ، والمذاق مرير مع سجناء من عتاة المجرمين ، قضى هذه الفترة المريرة يعلم نفسه« **اللغة الروسية**» المحامي يتابع في كل مرة الإلحاح على القاضي كي يؤجل القضية حتى يتمكن رفاقه من الحصول على حق اللجوء السياسي في بلد إشتراكي ما . وأخيرا نجحوا **حصل على حق اللجوء في المجر.**

يصل إلى المجر. هو الآن في أحضان **الأممية الاشتراكية** .. أصبح ممثلا لمصر والسودان في **اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي**. وتأتي ثورة يوليو .. **الحركة الشيوعية العالمية أعلنت انها إنقلاب عسكري موال لأمريكا ، لكنه يعلن موقف حدتو المؤيد لثورة يوليو** . هو يختلف عن المسار العام ،وهل يمكن الاختلاف عن المسار؟ وتتصاعد حوله ضغوط سياسية وأخرى مصدرها بعض المندوبين العرب الذين رأوا في هذا المصري خطراً يهدد احتكارهم لتمثيل العرب في المنظمات الدولية.




الجندي يرفع ابنته إلى أعلى

وبعد سبعة أشهر أبعد من الاتحاد ،وأصبح طالبا في الجامعة.. يدرس أيضا اللغة الروسية، **وعاش بمرتب طالب الجامعة الذي يقل كثيرا جدا عن مرتب عضو السكرتارية الدولية لاتحاد الشباب**. حصل على دبلوم اللغة الروسية .وهناك تلقي استدعاء من الرفاق ، ان يعود إلى مصر. ألح حتى سمحوا له بالسفر إلى المانيا الديمقراطية هناك التقى **بيوسف حلمي**(سكرتير المجلس المصري للسلام .. وكان قد إصطدم مع عبد الناصر ،وبعد فترة أعتقال ، هرب إلى الخارج) زوده **يوسف** بجواز سفر مزيف وإلى برلين الغربية، ومنها لجنيف ، إلى بيت **خالد محيي الدين**(كان منفيا آنذاك في جنيف) اصطحبهما **يخالد محيي الدين بسيارته، عبر بهما الحدود إلى فرنسا ، وتركهما، واصلا السفر إلى باريس ليقيم في بيت يوسف حلمي**« كان يوسف يقيم هاربا بجواز سفر مزور) **علم أن رفاقه في مصر يلحون عليه في العودة ، وانه ، أختير عضوا في اللجنة المركزية.**

*العودة إلى الوطن

..من باريس في صحبه **يوسف حزان إلى روما . من روما إلى الخرطوم**، ويبقى في

أحضان الرفاق السودانيين شهرا حتى يدبروا له جواز سفر سوداني مزور. سافر إلى مصر، على الحدود أوقفه رجال الجمارك المصريين فتشوه تفتيشا دقيقا بحثا عن مخدرات، ثم ركب القطار إلى القاهرة. كا قد أرسل برقية إلى **فاروق ثابت** يطلب إليه ان ينتظره في المحطة. لم يجده، البرقية وصلت لتجده في الاسكندرية، كان يراسل اخته من الخارج موقعا خطاباته باسم «**يحيى السمالوطي**»، طلب بيت أخته بالتليفون «أنا **يحيى السمالوطي**» وحضر زوجها (**عصمت سيف الدولة**) ليصطحبه من محطة باب الحديد. ثم انتقل ليقيم مع **فاروق ثابت. العدوان الثلاثي يبدأ، مصر تلتهب حماساً هو أيضا يلتهب معها، يتسلل الهارب .. إلى أحد معسكرات التدريب ليتدرب على حرب العصابات، وانتقل إلى منطقة القتال**، وبعد ان إندحر العدوان تولى مسئولية العمل الحزبي في الدقهلية التي كانت تضم آنذاك اكبر منظمة حزبية.

صلاح حافظ ويوسف ادريس وأحمد حمروش وعثمان فوزي.. يشاركون في تهريب الجندي من البوليس إلى خارج مصر

.. وقرر ان يتزوج. وكيف للهارب ان يتزوج ؟. ليس معه حتى بطاقة شخصية. الزوجة وافقت، فقط طلبت الا يخبر الأب بوضعه كهارب. قدم نفسه باسم **محمد يوسف أحمد. فاروق ثابت** ابن خالته، أسهم الرفاق والاصدقاء في تمرير الوضع.« **صلاح جاهين وسيد مكاوى التفا حول المأذون والأب حتى نجحا في تمرير الحيلة.**

لكن الأب الذي ساورته الشكوك ظل يلاحق الهارب.. أين تعمل ؟كان الحزب قد أسس شركة للافلام السينمائية اسمها «**شركة افلام النور**». أخلوا له مكتب المدير ليستقبل الأب فيه موحيا أنه مدير الشركة. لكن الأب المتشكك ذهب إلى كلية الحقوق **ولم يجد خريجا باسم محمد يوسف احمد. وثار الأب وهدد بابلاغ البوليس**، حكى له **محمد** حكايته، كل القصة حكاها له. رضي الأب، قال أنه سار في جنازه والده.. وقرر الأب أن يحميه.

... ويستمر الارب هاربا، لكنه يواصل النضال، حتى تكون الحملة العاصفة عام ١٩٥٩. قبض على الكثيرين كثيرين جدا قبض عليهم، واصل هروبه، لكن الأمر تطلب اختفاءً حقيقياً.. وأخفاه **صلاح جاهين** عند المخرج **توفيق صالح.. ويقبض عليه في ١٢ مايو ١٩٥٩، في خضم محاولته لاعادة تجميع ما تفكك من أوصال الحزب.**

وفي السجن (وكان عضوا في المكتب السياسي) خاض معركة سياسية من أجل إقرار تقرير« **المجموعة الاشتراكية**».حوكم مع من حوكموا أمام المجلس العسكري العالي **(الفريق هلال عبد الله هلال)**.. يترافع عنه صديق الطفولة. **جمال العطيفي** وينتزع له البراءة. ومن سجن الاسكندرية (بعد المحاكمة) أبو زعبل، حيث عذب مع المرحلين معه، وفي« حفل» التعذيب استشهد **شهدي عطيه.**

ويتنقل مع بقية السجناء إلى سجن المحاريق بالواحات.. يمارس هوايته القديمة تدريس اللغة الروسية، ويعمل بحماس في مزرعة السجن التي استصلحها الشيوعيون، ويخوض معارك تحديد الفكر السياسي الجديد المتلائم مع الأوضاع الجديدة.

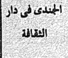
ويبقى معتقلا حتى يفرج عنه مع الجميع ابريل ١٩٦٤.

***٤٩-٦٤**

أخيرا يعود الطائر المهاجر.. يحيا حياة إنسان عادي. يرى إبنه **يوسف** الذي ولد وهو في السجن (**قضى السنوات من ١٩٤٩- وحتى ١٩٦٤ هاربا أو سجينا**).

الآن يسير طليقا في شوارع القاهرة بمائة جنيه أسس **مكتب يوليو للترجمة والنشر**. ثم غير الاسم إلى دار الثقافة الجديدة.

.. الآن تذكر انه لم يكمل دراسته. **أكملها وحصل على الليسانس عام ١٩٦٥ متأخرا سبعة عشر عاماً عن موعده.** توظف في وكالة أنباء الشرق الأوسط.



الجندي في دار الثقافة

وفي ١٩٦٩ سافر إلى موسكو ليعمل في دار التقدم، حيث ترجم عشرات من الكتب الماركسية إلى اللغة العربية. وعمل من هناك مراسلاً لأخبار اليوم، ومن موسكو إلى هلسنكي ليعمل لفترة من الوقت سكرتيرا في المجلس العالمي للسلام. ثم يعود إلى موسكو .. ثم إلى براغ ممثلا للحزب في مجلة السلم والاشتراكية.

ويعود للقاهرة ليسهم في نشاط حزب التجمع.

ويواصل معركته ليقبض عليه في يناير ١٩٧٧ ثم في ١٩٧٩ ثم في ١٩٨١.

وبرغم كل شئ.. وبرغم السن.. وهموم الزمان يواصل الرجل معركته، ربما بذات الحماس الذي بدأ به.. في بداية الاربعينيات.

يواصل.. يعمل، ينشط، يكتب، يترجم. ويدير دار الثقافة الجديدة.

ويمارس عملا نشطا في صفوف حزب التجمع.

فذلك القبس المتوهج الذي أضاء أعماقه ذات يوم من عام ١٩٤٤.. لم يزل متوهجا، الفكرة، التي قدم لها أجمل سنوات العمر وباع من أجلها كل ما يمتلك لم تزل تمتلك حياته، كل حياته.

رحيق السنين

اعـــداء الــعــلــم





نيكسون

ستالين

أدعـيـاء الـديـن.. الســتـالينية .. المـكـارثـيـة

عندما تصبح توجهات العلم معادية لسياسته، فإن النظام الحاكم يتخلص منه. ويساعده فى هذه العملية أن العلم يحمل معه متاعب عديدة، إذ أن أغلب الناس يعتبرون العلم معقدا يتطلب دراسات فى الرياضة والمنطق. وبمساعدة سلطات فكرية ومعنوية متخلفة وعميلة، تتمكن النظم الحاكمة من زرع بذور الخرافة والدجل بدلا من العلم.

حدث هذا فى الباكستان أيام ضياء الحق الذى أطلق مدعى الدين على منهج تعليم العلوم وانتهى الأمر بأن هبط مستوى تدريس العلوم إلى الحضيض وأصبح مدرس العلوم أقل علما من طلبة الابتدائى والثانوى في بعض بلدان العالم الثالث الأخرى، وانغمست اقسام الفيزياء فى مراكز البحوث فى ابحاث عن توليد الطاقة من نار الجن، وتحدث العلماء المزيفون عن «**علم البيولوجيا الإسلامى**»و «**علم الإحصاء الإسلامى**» و «**علم الكيمياء الإسلامى**» إلى آخر هذا العبث الذى أضر بالدين والعلم.

وحدث هذا فى روسيا السوفيتية عندما استولى دجال يدعى ليسنكو على عقل ستالين وأوهمه بأن نظرياته فى الوراثة وفى التطور هى التى تتفق مع الايديولوجية الماركسية اللينينية الستالينية ، فتخلص ستالين من العلماء الحقيقيين بالعزل والسجن والإعدام أحيانا، وتخلف الاتحاد السوفيتى فى علوم الوراثة مما تسبب فى هبوط المستوى فى هذا العلم الهام بل وفى العلوم البيولوجية كلها فى روسيا حتى الآن.

وحدث هذا فى أمريكا ، والقصص فى هذا المجال عديدة ومعبرة:

كان **إدوارد كوندون E.U. Con don** من أهم علماء الطبيعة فى أمريكا ، فقد كان من رواد ميكانيكا الكم **QUantum Mechanics** وساهم فى تطوير الرادار والأسلحة الذرية فى الحرب العالمية الثانية وكان رئيسا للجمعية الأمريكية للطبيعة ورأس لجان عديدة لدراسة ما وصف «بالأجسام الطائرة غير معروفة الهوية **U..F.O** » أو الأطباق الطائرة على حسبان أنها قد تكون طائرات تجسس سوفيتية.

ورغم هذه المؤهلات فقد كان كوندون أحد ضحايا المكارثية: إذ اتهمته لجنة النشاط المعادى لأمريكا (H.C.U.A House Committee on Un -American Activities **بالخيانة**. وكان على رأس المتهمين له عضو الكونجرس فى تلك الأيام **ريتشارد نيكسون** . فطالب بسحب جواز سفره وباعتباره «حلقة ضعيفة-بل الحلقة المفقودة- فى سلسلة الأمن القومى الأمريكى» وبلغت حدة هذه الاتهامات أقصى مداها عندما قال له المدعى العام **بارنيل ثوماس** P.Thomas ردا على مطالبته بحقوقه فى الدفاع عن نفسه «إن حقوك هى ما تمنحه لك هذه اللجنة من حقوق- ونحن سنحدد ما لك وما ليس لك من حقوق».

وكانت قمة المهزلة عندما وقف **كوندون** أمام لجنة التحقيق فاتهمه رئيس اللجنة فى وطنيته وقال له« **دكتور كوندون. هناك ما يدل على أنك كنت فى مقدمة الرواد فى حركة ثورية فى الفيزياء تدعى ميكانيكا الكم. ألا يدعو هذا للاشتباه فى أنك إذا كنت فى قيادة حركة ثورية معينة فقد تكون فى قيادة حركة ثورية أخرى؟** وانتفض **كوندون** واقفا صائحا«إن الاتهام باطل» ورفع يده اليمنى وقال «إنى مؤمن بقاعدة **ارشميدس** التى وضعها فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأنا أعتقد فى قوانين كبلرعن حركة الكواكب التى وضعها فى القرن السابع عشر، وأنا أصدق قوانين **نيوتن**. . » ولكن المحكمة لم تقدر روحه المرحة وسخريته فى هذا الموضوع الهام وأثبتت عليه تهمة أنه كان يعمل بتوزيع مجلة اشتراكية بدراجته أيام الدراسة الثانوية. ومن سخرية القدر أن بارنيل ثوماس، رئيس اللجنة ، قد وضع بعد ذلك فى السجن بتهمة الاحتيال والسرقة وأن **نيكسون** أجبر على الاستقالة من رئاسة الجمهورية بتهمة الكذب.

وقد طالب اينشتاين المتهمين أمام لجنة النشاط غير الأمريكى .H.C.U.A برفض التعاون معها كما ألف عنها آرثر ميلر مسرحيته الرائعة« البوتقة » مقارناً بما حدث فى «سالم»(اليسار- -أغسطس ١٩٩٥) من حرق وقتل . وعندما قدمت هذه المسرحية فى أوروبا رفضت الحكومة الأمريكية منح ميلر جواز سفر لحضور افتتاحها. واستقبلت المسرحية في أوروبا استقبالا رائعا. وعندما دعى ميلر أمام اللجنة للتحقيق وسئل إذا كانت المسرحية لها علاقة بتحقيقات اللجنة، أجاب ميلر «سيدى ، لا مفر من المقارنة».

هكذا يتصرف أعداء العلم، وهكذا يتصرف أنصار العلم.

د. سمير حنا صادق

حزب اليسار

لم يعد لدينا الكثير من السنين نختزن فيها ما يكتنفنا من مشاعر حتى تتحين اللحظة الملائمة للتعبير عنها. فلقد بلغنا من السن ارذله، ولم يعد بنا من الطاقة والحيوية ما يسمح لنا بالمناورات اللازمة للعمليات السياسية، ولكن ماضينا وحلمنا الذى لا خلاص منه، ومشاعرنا التى تدفقت وتتدفق وسوف تتدفق فى دمائنا حتى الموت، لا تسمح لنا بالوقوف فى موقف المتفرج السلبى على ما يحدث أمامنا فى حزب التجمع. ورغم استقالتى من الحزب بعد أن فقدت الأمل فى إيصال صوتى إلى قيادات صممت على أن تصطنع الصمم، فإنى لا زلت مشغولا بهموم هذا الأمل الذى يتحطم وهذا الحزب الذى يتفكك.

ومعذرة للغة الحادة، فلقد آثار شجونى ما نشره مؤخرا ثلاثة من المهتمين بشئون اليسار على صفحات الحوار القومى فى الأهرام عن حزب التجمع باعتباره الحزب الممثل لليسار فى مصر.

ورغم ما انتابنى من حزن وآسى أسفا على الاختلاف الجذرى فى المنطلق والمنطق بين قيادتين من قيادات الحزب العليا، فإن الصدمة الأساسية كانت فى الزعم الذى يكرره بعض قادة الحزب بأن الحزب يمثل محصلة تيارات عديدة متباينة. **فلقد أصبحت هذه المقولة حجة لتمييع مواقف الحزب وفقدان اتجاهه علاوة على أنها تلغى الشرط الأساسى لوجود أى حزب. بل أننى أتهم أولئك الذين يفخرون بتنازلات الحزب من أجل مقاومة الارهاب بأن هذه المقولة هى أحد أسباب الارهاب، فقد سحبت من الجماهير التعسة أى أمل فى حزب يمثلها، فانطلقت مخدوعة وراء هذا الاجرام الخطير.**

وكلمة« تجمع » تختلف اختلافا بينا عن كلمة « تعدد » وإذا كان التعدد مقبولا بشكل ما فى وقت ما عند تكوين الحزب لمنبر من منابر ثلاثة افتعلها **السادات** لتحطم الاتحاد الاشتراكى، فانه غير مقبول بعد تآلف حزب الوفد والعمل والناصرى استمرار هذا الوضع المتفكك داخل الحزب، ولقد كانت النتيجة الحتمية لهذه الهلامية فى الخط السياسى ما يمر به الحزب الآن.

وليسمح لى الأخوة والأبناء من قيادات وأعضاء **حزب التجمع** بابداء الرأى فى محاولة تفهم بعض مظاهر التحلل التى تنتاب الحزب:

* **إنه بداية لابد لأى حزب يحترم نفسه أن تكون له أيديولوجية**. والفكر الخبيث الصادر عن الرأسمالية الغربية، العدو الأساسى للإنسانية والذى يزعم انتهاء الايديولوجية، هو محاولة لفرض ايديولوجية السارق على المسروق بعد تجريده من ايديولوجيته. وليس هناك حتى بين مفكرى الغرب الليبراليين ممن يفرض أن هذه الايديولوجية التى تتبنى افقار الفقراء وإثراء الأغنياء والتى تتحالف مع المافيا ومع الحكام الفاسدين فى بلاد العالم الثالث تحت ستار فوضى وفساد تسميها آليات السوق، يمكن أن تبقى إلى الأبد.

***إن الايديولوجية الواجبة على حزب يتطلع إلى الدفاع عن مصالح شعب ضد قوى عاتية لابد أن تبنى على المنهج العلمى.**

* إن ما فعله **ماركس** للعلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية يماثل ما فعله **داروين** للعلوم البيولوجية نعم هناك عديدون قبل **ماركس وداروين**، ونعم هناك أخطاء واضافات وتعديلات بعدهم، ولكن الفكر الماركسى بشكل عام والفكر الداروينى بشكل عام يمثلان الأساس الهام لتطبيق المنهج العلمى فى السياسة وفى البيولوجيا. ومن هنا كانت المناداة بسقوط الماركسية التى يتبناها بعض أعضاء الحزب خيانة لقضية الحزب الرئيسية.

* إن الرأسمالية الغربية تحاول فرض نظريات كاذبة خبيثة للوى عنق التاريخ وتأجيل سقوطها المحتوم مثل حديث **هانتيجتن** عن صراع الحضارات ومثل حديث توفلر عن الموجات الثلاث.

* **إن إعلام حزب التجمع فضيحة، وينبغى أن يحاسب أمين الاعلام عن مقالاته، فهو بحكم منصبه لا يعبر عن نفسه بل يعبر عن الحزب. وينبغى أن يحاسب المسئولون عن جريدة الحزب عما صارت إليه**، وإن نتذكر ما كانت عليه، وأن نقارنها بصحف أحزاب الوفد والعمل والاحرار، وأن نقارنها بصحف أخرى صدرت بعدها وليس لها هذا الرصيد الضخم من مفكرى وكتاب الحزب.

* وينبغى لنا أن نتخلص من الفكرة الخطرة التى تنادى بأن الجماهير تطلب السطحية وتفاهة الفكر. فالحزب يجب أن يكون هو الطليعة المثقفة الذكية للشعب.

إن تنظيم الحزب فضيحة وهو ببساطة غير موجود.

* إن الزعم بأن اليسار الآن فى تقهقر فى العالم أجمع حجة واهية. فبداية فقد بدأ **تحلل الحزب قبل انهيار الاتحاد السوفيتى**، وثانيا إن اليسار الآن فى تقدم فى العديد من بلدان العالم، وثالثا حتى بفرض صحة المقولة فهل نحن نلعب فقط على الحصان الرابح؟ إذا كان اليسار الآن فى تقهقر ألا يدعو هذا إلى المزيد من الجهد لوقف هذا التقهقر؟.

أكرر الاعتذار عن عنف اللغة.

واشكر سعة صدر **اليسار** فى نشر المقال.

وارجو أن يوفق الحزب فى النهوض من عثرته، فوطننا فى حاجة إليه.

ولنا كلمة

من حق د. سمير حنا صادق أن يختلف مع سياسات حزب التجمع وأن ينقد قادته بحدة وغضب. ومن واجبنا أن ننشر له ما كتب مهما كان اتفاقنا أو اختلافنا معه.

ومن حق أيضا الذين لا يوافقون على رأيه أن يردوا عليه فى الاعداد القادمة.

فقط هناك نقاط قليلة لابد من تسجيلها.

* رفضت الامانة المركزية استقالة د. سمير حنا وقررت اجراء حوار معه حول ما جاء بها.

* يدور فى الحزب منذ أشهر وحتى اليوم ولأشهر قادمة حوار خصب حول وثائق المؤتمر العام الرابع وهى «مشروع البرنامج- التقرير السياسى- اللائحة التنظيمية».

وكم يكون صحيحا ومفيدا أن يشارك د. سمير حنا برأيه فى هذا الحوار، وأن يقرر بعده أين يقف من الحزب.

المحرر

حراسة المرمى أخطر امراض الكرة المصرية

الأزمة بدأت بعد اعتزال شوبير .. والجيل الصاعد كارثة!

أزمة حراسة المرمى فى مصر ليست وليدة اليوم.. وإنما نشأت نتيجة تراكمات لسلسلة طويلة من الاخفاقات فى إعداد اللاعبين المؤهلين لشغل هذا المركز الخطير والذى وصفه **اريجو ساكى** المدرب الايطالى الكبير ذات يوم بأنه المفتاح الرئيسى لضمان عدم تعرض أى فريق للهزيمة وتحدث عنه **زاجالو** الخبير البرازيلى العظيم بأنه كان السبب الرئيسى لاخفاق البرازيليين ثلاث مرات فى كأس العالم!.

وإذا كنا نحمل المدربين الوطنيين الجانب الأكبر فى تراجع مستوى الحراس المصريين فإن ذلك مرجعه فى حقيقة الأمر إلى سوء الاختيار من البداية حيث إن معظم هذه الاختيارات تتم للأسف بصورة عشوائية تكون دائما مصاحبة لفشل اللاعب فى اجتياز اختبارات المهارات عند التحاقه بقطاع الناشئين بالأندية.

والخطورة حقيقة تتمثل فى غياب الوعى لدى خبراء الكرة فى هذه النقطة بالذات رغم أن كل الاخفاقات التى تعرضت لها الاندية والمنتخبات الوطنية فى السنوات الأخيرة كان سببها فى المقام الأول عدم وجود حراس على مستوى عال.

ولعل خير دليل على ذلك هو خروجنا من بطولة كأس الأمم الأفريقية الأخيرة وفشل اندية الأهلى والزمالك والمنصورة والمقاولون فى بطولات الأندية العربية والافريقية بل ومع منتخبات الناشئين والشباب فى بطولات كأس العالم أيضا!.

وإذا كان تاريخنا الكروى يحتفظ لنا باسماء حراس كبار اسهموا إلى حد كبير فى صنع العديد من الانتصارات مثل يحيى إمام وعبد الجليل ومروان كنفانى وحسن مختار وعادل هيكل والدو وسمير محمد على وعرابى وخورشيد واكرامى وثابت البطل وحسن على وأخيرا أحمد شوبير.فإن المقارنة ستكون بالتأكيد ظالمة مع الجيل الحالى الذى يمثله عصام الحضرى ونادر السيد وأحمد صابرا.

فقد قال **كرول** وهو فى جوهانسبرج يوم أن كان يقود منتخبنا الوطنى بعبارة صريحة وقاسية «للأسف لا يوجد حارس فى مصر يؤهله مستواه للانضمام لصفوف هذا المنتخب!.

وأكد **جعفر** الذى اتى بعده أن نقطة الضعف الواضحة فى الحراس المصريين تكمن فى عدم استطاعتهم التعامل مع الكرات العرضية والتى تتسبب فى إصابة مرمانا باهداف ساذجة.

بل إن **محمود الجوهرى** المدير الفنى الحالى عبر عن عجزه فى ايجاد الحارس المناسب بتساوله: «من أفضل من **نادر والحضرى** للاختيار؟».

ولعل جماهير الكرة باختلاف انتمائها كانت صادقة أيضا فى يوم تكريم شوبير حينما طالبته بعدم الاعتزال ليس فقط لانها كانت تعلم أنه يمثل اخر الحراس الحقيقيين فى مصر بين هذا الجيل ولكن وسط الأجيال القادمة أيضا!.

فنظرة واحدة على أسماء مثل **عمرو عبد السلام وعبد الواحد السيد ويوسف طاهر وممدوح ابراهيم وعاطف خضر** سنجد أنها لا تبشر بأى أمل هى الأخرى.

ومن هنا تنشأ الأزمة الحقيقية لأننا أصبحنا نفتقد الحاضر والمستقبل فلم نعد نرى هذا الحارس الجرئ مثل اكرامى الاسطورة .. أو الحارس الطائر كحسن مختار وحسن على .. أو الحارس العملاق كعادل هيكل!.

ونحن حتى حينما نحاول المقاومة بين حراسنا وحراس المرمى الافارقة سنكتشف أن سر تفوق حراس الشمال والجنوب يعود إلى أسباب عديدة ومنها الطول الفارع والرشاقة الكبيرة والمرونة.. وإذا كان يمكن تعويض هذا النقص بانتقاء عناصر ملائمة .. فإننا جميعا نقف عاجزين أمام تلك الميزة الأخرى والمتمثلة فى سرعة رد الفعل أو سرعة التلبية وهو الأمر الذى دفع مدرب حراس مثل **فكرى صالح** للاستعانة بإحد الأجهزة الحديثة المخصصة لذلك.. وللأسف فقد اكتشف هذا الرجل أن معظم حراسنا يرسبون دائما فى هذه النقطة!.

وبعد فإن هذه المشكلة ستظل أخطر أمراض الكرة المصرية المزمنة التى يجب وضع حلول سريعة لعلاجها.

والعلاج فى تصورى يبدأ من الانتقاء والبحث عن مواهب جديدة والتدريب المبكر على سرعة التلبية أو رد الفعل.

ولعل الاتجاه الأخير لأحمد شوبير بالاعداد لافتتاح مدرسة خاصة لحراس المرمى سيكون فيه البداية الصحيحة نحو انتهاج خطة علمية تعوض هذا الانكسار.

حسن عثمان



السينما البديلة بين النظرية والممارسة (٢)

أحمد يوسف

القبطان.. روح الشعب الذي يبقى ويرحل الحكام!

يعد أكثر من عقدين كاملين من الانتظار، استطاع الفنان السينمائي **سيد سعيد** أن يحصل على الفرصة الأولى لتحقيق أحلام الناقد وصاحب النظرية السينمائية بداخله، وبالطبع فان مرور هذين العقدين - اللذين شهدا تحولات جذرية في عالمنا - تركا بصمات غليظة على تلك الأحلام، التي تدور حول تأسيس «**سينما بديلة**» للسينما التقليدية السائدة، وحيث بات أمر تجسيد الأحلام في واقع حقيقي أكثر صعوبة مع تزايد التردي في مقومات الصناعة السينمائية في مصر، كما أن الذات الانسانية بطبيعتها تمضي دائما في علاقة جدلية مع الواقع ، فكيف تنتظر إذن أن تبقى أحلام **سيد سعيد** على حالها عبر عقدين من الزمن؟!.

على المستوى الموضوعي، **اضطر سيد سعيد إلى التعامل مع «المنتج» بمعناه التقليدي** الذي كان يرفضه في الأيام الخوالي (وفي الحقيقة أن التجربة أثبتت أنه ليس «منتجاً» حتى بالمعنى التقليدي ، بل هو عابر سبيل يدخل إلى عالم صناعة الأفلام ربما سعياً إلى تحقيق الوجاهة الاجتماعية ، أو لأغراض أخرى !) ومع ذلك فان **سعيد سعيد** نجح إلى حد كبير في فرض شروطه الابداعية ، حتى جاء فيلمه «**القبطان**» تجربة فريدة ينبغي لها أن تحتل مكانها الذي تليق به في تاريخ السينما المصرية. وعلى الجانب الذاتي، كانت رؤية **سيد سعيد** إلى الحياة والعالم تنحو إلى **نزعة أكثر رحابة من أن تختنق داخل رؤية أيديولوجية صارمة، أو قل بالأحرى أن أيديولوجيته اليسارية استطاعت أن تتمثل الكثير من ثقافتنا المصرية والعربية ، بقدر ما استطاعت أن تحتضن الثقافة الغربية على اختلاف فلسفاتها ومناهجها.**

هناك إذن في فيلم «**القبطان**» روح قوية فوارة ، لا يمكن لك أن تخطئ رغبتها - الجامحة أحياناً - **في البحث عن «أصالة» من نوع خاص ، أصالة** التأسيس لمفاهيم قد تبدو للوهلة الأولى مختلطة متشابكة ، أو حتى متعارضة ،فكيف لك أن تجمع بين النزعتين الصوفية والماركسية ، أو بين الثقافتين المصرية والهيلينية، إلا إذا بذلت جهداً فائقا يجعلك في مأمن من الانزلاق نحو التوفيق أو التلفيق؟! وهذا هو الجهد الذي ينعكس في حالة القلق الوجودي - بمعناه الأعمق والأشمل - الذي يتسلل إلى عالم فيلم «القبطان» ، يطفو فوق السطح أحياناً ، ويختفي في الأعماق أحياناً أخرى، لكنه القلق الوجودي الايجابي ، الذي يعبر عن الايمان الحقيقي للفنان **سيد سعيد** بما كتبه يوماً في دراسته عن «السينما البديلة» ، بأننا حين نقيم حواراً حقيقياً مع الجماهير ، فإننا قد نحاول - كما يؤمن كل مثقف ثوري - أن نقودها إلى الطريق الصحيح، لكننا نتعلم منها أيضا ما هو هذا الطريق الصحيح، وأننا حين نمارس الابداع فإن المبدع يتعلم بقدر ما يعلم ،ويكتشف بقدر ما يكشف ، لذلك فإن المرء لا يتصور أن تجربة **سيد سعيد** في «**القبطان**» سوف تمضي عبثاً في طريق صياغة وجدانه وأفكاره ، بل إنها التجربة - بكل ايجابياتها وسلبياتها - التي سوف تزيد من هذه الصياغة أصالة وعمقاً.

التذوق الايجابي والرحلة الصوفية

إذا أردت الدخول إلى عالم «**القبطان**» ، فإن عليك أن تدع جانباً الكثير مما تعودت عليه من تقاليد التلقي والتذوق (وإن لم تستطع بالطبع أن تتخلى عن «كل» هذه التقاليد ،(وتلك هي المشكلة الجوهرية في تجربة استقبال الجمهور للفيلم ، كما سوف نتأمل لاحقا) ، بل إن **سيد سعيد** يصارحك القول منذ اللحظة الأولى أنه يترك مساحات شاغرة متعمدة - قد يطلق عليها البعض قفزات مفاجئة - في البناء الدرامي للفيلم، فهو لا يسعى على أية حال إلى أن يحكي «حكاية من أي نوع ، بل إن **مسعاه الحقيقي يكمن في محاولته أن يخلق وجدانية خاصة** ، تلك هي «الحالة» التي يحاول أن يلخصها لك **سيد سعيد** في استعارته عن الصوفي الاسلامي «النفري» تلك الجملة الغامضة الساحرة التي بدأ بها فيلمه: «**إنما أحدثك فترى ، فإن رأيت فلا حديث**».

إن شئت الحقيقة ، فذلك هو الوجه الاخر الذي يبحث لنفسه عن خصوصية مصرية عربية اسلامية للسينما البديلة، التي اتخذت صوراً مختلفة عبر العالم كله خلال الستينات والسبعينيات على نحو خاص (وإن لم يخل تاريخ السينما منذ بداياته الأولى من فنانين يحاولون دائما صنع سينما بديلة) . وتلك السينما البديلة هي التي تطلب من المتفرج قدراً من المشاركة الايجابية الواعية، بعيداً عن ذلك الاستسلام السلبي غير المشروط من المتلقي تجاه السينما التقليدية . وإذا كان نموذج «الفيلم -المقال» أو «الفيلم -البحث» الذي اختاره المخرج الفرنسي «**جان لوك جودار**» واحداً من نماذج تجسيد السينما البديلة على الطريقة الغربية، حين يطلب من المتلقي المشاركة «العقلانية» في صنع الفيلم، وحين يستخدم أساليب تغريبية (تحاكي على نحو ما أهداف بريخت النظرية) قد تصل إلى تعمده وضع كادرات سوداء تقطع المشاهدة لبعض ثوان على نحو مفاجئ مباغت، أو كتابة نوع من التعليق على الشاشة ، أو

استخدام تكوينات أو حركات كاميرا مثيرة للاضطراب، فإن نموذج السينما البديلة عند **سيد سعيد فى «القبطان»** لا يسير فى هذا الطريق الذى يستفز عقل المتلقى وينتهك ادراكاته الطبيعية ، بل هو الطريق الذى يستحث وجدانه ، ويثير فيه عالما كامناً من التداعيات المؤلفة من شذرات تراثية عديدة،حتى أنه قد يعيش حالة من النشوة «الصوفية» ،التى تجعل الانسان يرى ما هو كائن وراء حدود البصر، أو قل إنه يدرك الحقيقة الكلية فى لحظة شديدة الخصوصية ، لكنه أبداً لا يستطيع أن يعبر عن تلك الحقيقة المجسدة بكلمات مجردة.

نقول إنها حقيقة مجسدة لأن الصوفيين يعتقدون أنها موجودة لمن يستطيع أن يلمسها (وهو لن يستطيع لمسها إلا بقدر من الفعل الايجابى المضنى الذى يطلبه سيد سعيد من المتلقى) . ونقول إن الكلمات المجردة لا تستطيع التعبير عن تلك الحقيقة لأن الكلمات فى النهاية ليست إلا حروفا اصطلاحية تشير إلى الأشياء دون أن تجسدها لك. وإنك لا تستطيع فى النهاية إلا أن تعترف بفضل الفنان **سيد سعيد** فى سبر أغوار تلك «النظرية» لما يتصوره عن السينما البديلة، لأنه يحاول فيها أن يقدم صياغة أصيلة تأخذ من تراثنا جانبه الروحى الايجابى ، ولا تكتفى بمحاكاة النماذج الغربية العقلانية . لكن يبقى أن تضع هذه النظرية موضع التطبيق ، وأن تقارن بين حالة التلقى فى السينما وحالة **«الكشف» الصوفى** ، فمن الرائع والمبهر أن تجد لتراثنا الروحى تجسيداً سينمائيا يوحى بالأصالة والتفرد، غير أن هناك بعض العناصر الغائبة فى هذه «النظرية»،وهى أن الفن بشكل عام قد يحتوى حقا على ذلك الجانب الصوفى فى التلقى، لكن ذلك لا يمنع أيضا من أن أى عمل فنى -أياً كان قدر تجريد أدواته- يخضع لعملية التحليل والتقيم ، بينما لا تخضع التجربة الصوفية لمثل هذا التحليل العلمى ، لأنها حالة ذاتية خالصة(يمكن للآخرين أن ينكروها على صاحبها ، أو لعلهم قد ينظرون إليها على أنها حالة«نفسية» خارجة على المألوف)،فى الوقت الذى يظل الفن مزيجاً متجانساً فريداً بين الخاص والعام فأنت قد تعيش فى تجربة التذوق حالة شديدة الخصوصية من التوحد والمتعة- بالمعنى الأعمق للكلمة- لكن الفن **الحقيقى هو الذى يصلك أيضا بكل الآخرين** ، ولعل السينما تظل هى أكثر الفنون تعبيرا عن تلك الحالة من المتلقى ،حين يجلس المتفرج فى ظلام قاعة العرض، ليذوب فى العالم الذى يراه على الشاشة كأنه يدخل إليه وحده ، لكن التجربة لا يكتمل معناها إلا إذا استطاع العمل السينمائى أن يحتضن كل المتفرجين فى لحظة واحدة، فهى إذن لحظة صوفية جماعية (إن جاز التعبير) ، تختلف اختلافا جذريا عن ذلك المعنى الروحى الخالص الذى يشير إليه سيد سعيد ، فى «بيانه» الذى أصدره مع عرض فيلمه وختمه بعبارة : «خذعنى فيلمى، وافعل به ما شئت» ، لأنه بقدر ما يترك الفيلم انطباعا خاصا لدى كل متفرج ، فإن عليه أن يترك أيضا انطباعا عاماً يتشارك فيه كل المفترجين ، وهذا لا يمكن أن يتحقق بالبعد الوجدانى وحده ، وإنما ينبغى عليه أن يجمع -مثل كل عمل فنى متكامل -بين الأبعاد الثلاثة : **الحس والوجدانى والعقلى،** وهذا هو جوهر المفارقة فى تطبيق **سيد سعيد** لنظريته عن السينما البديلة فى فيلمه «القبطان».

عن المكان والزمان

ومن الحق القول إن فيلم«القبطان» لا يخلو من هذه الأبعاد الثلاثة ، لكنها لم تستطع أن تحقق مزيجا يشبه «الكونترابونطية» فى عالم الموسيقى ، حين تتشابك الألحان المختلفة لكنها لابد أن تصنع فى الوقت ذاته تآلفا هارمونيا، أو قل إن المعمار الفنى فى فيلم«**القبطان**» بدا شبيها بوحدات أو لوحات عديدة جميلة منفصلة ، قد يحقق أحدها بعداً حسياً أو وجدانيا أو عقليا ، لكنها معاً لا تشكل بناءً معمارياً متكاملاً . وقد يعود ذلك فى جانب منه إلى رغبة صانع الفيلم أن يقدم عملاً سينمائيا بعيدا كل البعد عن المعمار التقليدى فى البناء الدرامى، أو بهدف خلق تلك الحالة الخاصة من التلقى والتذرق، **ولكن من قال إن التخلى عن «الأساليب التقليدية يعنى أن يفتقد العمل الفنى «وحدة الأسلوب»؟!.**

إن جوهر القوة والضعف إذن فى فيلم« القبطان» يكمن فى ذلك الكم الهائل من «المعلومات» -بالمعنى الادراكى للكلمة -التى ينبغى على المتلقى أن يستقبلها ، لكنه يصبح فى النهاية -لفرط عددها وتلاحقها- غير قادر على استيعابها أو تمثلها(إنها نفس المشكلة التى عانى منها فيلم **داود عبد السيد «البحث عن سيد مرزوق»** ، لكن الأهم هو أن تلك «المعلومات» جاءت فى فقرات تأخذ كل منها أسلوباً فنيا مختلفا (وهذا ما سوف نفصله لاحقا) ، عجز الفيلم عن أن يصهرها فى نسيج واحد، انصهاراً كان من الممكن أن يحقق لسيد سعيد تلك الحالة التى ينشدها من الادراك الصوفى لفيلمه، وهو الادراك الذى يتطلب أن يسير الفيلم دائما فى طريق واحد يقود المتفرج إلى المبتغى والمنتهى.

يختار فيلم«**القبطان**» **مدينة بور سعيد** فى نهاية الأربعينيات مكاناً وزماناً لاحداثه ، ويضفى على المدينة طابعاً «كوزموبوليتانياً» رحباً ، فهى المدينة التى يعود مولدها إلى عهد قريب ،ومع ذلك فقد نسجت حولها الأساطير ، وتجمعت فيها- كما يحاول الفيلم أن يوحى لك- ثقافات مختلفة ، تمتد عبر الزمان الغامض السحيق بقدر ما تضم تحت جناحيها أفكاراً معاصرة ، كما أنها عاشت

في تلك اللحظة من التاريخ إرهاصات معذبة تشبه أنات الاحتضار بقدر ما تقترب من صرخات المخاض(إنها تبدو في الفيلم كأنها البعث من الموت أو القيامة من بين الأموات) ، فعلى حين كان الوطن- المصرى والعربي- يعاني من نكبة فلسطين والنزوح الفلسطيني ، وكانت السلطة تخشى تسليح أبناء الشعب خوفاً من تمردهم ضدها ، واجتاح وباء الكوليرا البلاد فحصد العديد من أرواح الأبرياء، فقد شهد الوطن أيضا حركات المقاومة الشعبية ضد المستعمر البريطاني وضد السلطة الغاشمة، تماما كما كان العالم كله يموج بثورات تحررية تمتد من فيتنام حتى جرينادا، مروراً بالهند والبلقان وأسبانيا.

في هذا المكان والزمان يعيش «**القبطان**» ، شخصية ساحرة آسرة ، تجمع الناس حولها بخيوط غير مرئية، يبدو كما لو أنه يملك الحقيقة -في نوع من الحدس الصوفي أحياناً والادراك العقلاني أحيانا أخرى- لكنه مع ذلك يبدو أيضا كما لو كان خيالا محضا في أذهان الناس، أو كما لو أنهم خلقوه أو اختلقوه ليكون ملاذهم الدائم في الشدائد ،حتى أنه يبدو أحيانا رمزاً للروح الجماعية للشعب المصرى.

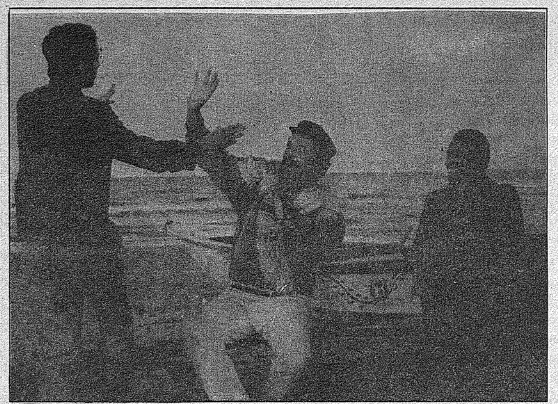
بين الحقيقة والخيال

لن تستطيع أن تفسر تلك الأطياف التي تراها على الشاشة في فيلم«**القبطان**» إلا اذا تركت نفسك لها تأخذك أين تمضى بك، أحيانا إلى الواقع المجسد، وأخرى إلى الرمز المجرد ، لا ينسحب ذلك على شخصية «القبطان» وحدها ، وإنما يترك أثره على كل شخصيات وأحداث الفيلم، وفى الحقيقة فإنك لن تملك لكل ما ترى تفسيرا يقينيا واحداً (وهذا هو ما يسعى إليه صانع الفيلم)، لكن المشكلة الجوهرية في ذلك كله هو أن الفيلم يسير أحيانا كثيرة في خطوط متشعبة ، يأخذ كل منها مساراً وأسلوبا مختلفين. في البناء العام للفيلم ، ترى نزعة ملحمية تمضى بك في عالم خيوط درامية متعددة ،قد تتجاوز أو تتوازى أو تتلاقى ، لكنها لا تسعى أبدا إلى محاكاة البناء الدرامي المتصاعد ، فهناك **وجيدة (وفاء صادق)** ، الفتاة البسيطة التي تجمع بين الحياء والحيوية ، ابنة للاعب كرة سابق أخنى به الدهر فانحدر إلى حضيض الفقر، بينما تنحدر أمها من أصول ارستقراطية . إن« **وجيدة** » تصبح مركزاً لدائرة يطوف في فلكها **سامي الملواني (مصطفى شعبان)** ، ابن الطبقة المتوسطة الذى يعاني من تذبذب طبقته وحيرتها، تراه في البداية وكأنه يدفع ثمن كونه ابناً لأحد «كلاب الانجليز» المتعاونين معهم ، لكنه يختار في النهاية أن يدفع حياته ثمنا لانخراطه في المقاومة الشعبية، كما يدور في نفس المدار الفتى المحمدى« **(عيد أبو السعود)** الفدائي الذى يرث النضال عن أبيه ،وفي النهاية يأتى **كمال (طارق عبد العزيز)** الارستقراطي الذي يرفض طبقته ويريد أن يكسر أسوار السجن الاجتماعي الذى يعزله عن الحياة، وتكون العاهرة **لواحظ (منى الحسيني) هي طريقه** إلى العالم وإلى جوار ذلك كله ، هناك الصبي المصرى **سعيد(حمادة نصار)** الذى «يتبنى» طفلا فلسطينيا يدعى **مروان (حسن مصطفى)** ويرعاه .. ولعلك ترى في تلك الشخصيات جميعا جانبا من الواقع ، وآخر من الرمز ، وإن ظل الجانبان عاجزين أحيانا عن الانصهار معاً.

لكن تلك النزعة الملحمية تختلط على نوع قوى بنوع من النزعة «الأسطورية» ، يعيش فيها المتفرج بين الواقع والخيال ، وإن كان للخيال الجامح أثره الأكبر ، وقد تستطيع أن تتلمس ظل الاسطورة في علاقة وجيدة مع سامي الملواني، حين رآها عارية تستحم في الفجر على شاطئ البحر، فاذا بها تشعر نحوه بعاطفة جارفة من الحب والكراهية:«عشان شفتني عريانة مش ها انكشف على حد غيرك» ، لكنك على أية حال لن تجد نفسك غريبا عن فهم تلك العلاقة المزدوجة وظلالها الرمزية التي لا تخفى رؤية صانع الفيلم تجاه ارتباط مصير الوطن بتحديد الطبقة المتوسطة لمفاهيمها ومشاعرها وأهدافها . ومن جانب آخر ، فإن النزعة الاسطورية تكتسب أهمية أعمق في شخصية «القبطان»، الذى يبدو في وجدان بسطاء الناس للخيال أقرب: «**قبطان ، مهندس شحاذ ، طرح بحر ، غرّيق رماه البحر، قائد أوركسترا في برلين ، ابن فتوة في المينا.. ما يزال حياً . مات منذ زمن طويل ..**»: وقد تفهم لماذا تختلف عنه حكايات الناس، لكنك لن تفهم لماذا تختلف حكاياته هو عن نفسه ، فيظل السؤال مطروحها: هل هو حقيقة أم خيال؟! وإذا كان خيالا ، فكيف يتفق الناس على رؤيته؟ بل إن ما يزيد الأمر غموضاً هو قدرة «القبطان» على أن يحيى الموتى، حين أعاد الروح للطفل مروان بأن تركه يعيش رعشة الحياة من جديد على شاطئ البحر: «احنا اتخلقنا من طين ومية وشمس.. كل منه فيه»، كما يعيد إلى الحياة امرأة عجوزاً محتضرة ، فاذا بها تتعرف فيه على حبيبها القديم . ويمضى الخيال إلى آفاق بلا حدود، عندما نعيش مع «القبطان» قصة حبه للمرأة اليونانية هيلينيا التي تخرج له من البحر ، فاذا كان القبطان خيالا فكيف يكون الحال اذا انبثق الخيال من الخيال؟!.

مضت النزعتان الملحمية والاسطورية جنبا إلى جنب ، وإلي جوارها امتدت نزعة تنمو إلى أسلوب الكوميديا الموسيقية على طريقة«**قصة الحي الغربي**» فحين يتصارع حول وجيدة كل من سامي والمحمدى تارة، أو سامي وكمال تارة أخرى ، يعبر عنهما **سيد سعيد** برقصة





ايمانية بلا كلمة واحدة ، تماما كما استخدم التعبير الموسيقى حين **عزف القبطان لحن «باجاتيل» لبيتهوفن على السمسمية** (فى الحقيقة كانت تلك اللحظة شعاعا متوهجا فى الفيلم) ليغنى : « **يا للاتتلم .. نفرح ، نحلم** »، فيتجمع حوله الجميع فى بهجة ونشوة ،كما احتوى الفيلم على مشاهد تحاكى النزعة «الكارتونية» الكاريكاتورية حين يؤسس لشخصية الحكمدار (أحمد توفيق)المتجهم الصارم فى مواجهة دائمة مع القبطان المحب للحياة وفى مواقف عديدة يصبح هذا التناقض نوعا من « **الفرسكة** » ،مثلما هو الحال فى مشهد تنافس الشخصيتين حول صيد السمك فاذا بالحظ العاثر من نصيب الحكمدار بينما يخطى القبطان بصيد وفير، أو عندما بعث الحكمدار بأحد المخبرين لملاحقة القبطان فاذا بالقبطان يقنع المخبر بتعقب الحكمدار نفسه ، أو عندما يقوم الحكمدار باستجواب القبطان ، فاذا بالموقف ينقلب ليصبح استجوابا من القبطان للحكمدار ! كما تظهر فى لمحة خاطفة نزعة بريختية يواجه فيها صاحب الحانة وزوجته الكاميرا ليحدثا المتفرج فى محاولة لاقناعه بعدم تصديق ما يرى أو يسمع من حكايات.

***

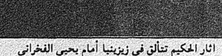
تلك حقا تجربة فريدة فى السينما المصرية والعربية ، تشى بأن هناك فناناً أصيلا يسعى إلى النضج والاكتمال،والحقيقة أن جوهر تلك الأصالة يكمن فى عدم زعمه بأنه قد وصل حقا إلى غاية النضج أو نهاية الاكتمال ، وفى ايمانه بأن الابداع الفنى لا يعنى أن الفنان يأخذ من الجماهير موقف المعلم بقدر ما يأخذ موقف المتعلم.لقد سعى **سيد سعيد** فى تجربته الأولى« **القبطان** » إلى أن يجد تجسيداً لنظريته عن السينما البديلة والخروج من أزمتها ،ولعله ظل وفيا لبعض من دعائم تلك النظرية فيما أسماه « **سينما الجدل الاجتماعى** »،وإن اضطر للتخلى عن نقده لما أطلق عليه« سينما البراجماتية الاقتصادية» باضطراره للدخول فى أعطاف أكثر أساليب الانتاج تقليدية.

ومع ذلك ، فانه يبقى مطروحا لدينا دائما- من يقف منا فى موقف الابداع أو التنظير أو النقد -أن نفكر مليا فيما طرحه **سيد سعيد يوما** عن قطع نصف الطريق نحو المتفرج، والسعى إلى تحقيق التواصل مع المتلقى ، واستخدام القوالب والتيمات الشعبية والبحث عن عناصرها الايجابية ، وعدم الوقوع فى أسر قول كل شئ فى عمل ابداعى واحد... لقد كانت تلك هى كلمات **سيد سعيد** في دراساته النظرية ، ونحن ندعوه إلى أن يرى ما استطاع أن يحققه منها فى فيلمه الأول« القبطان» ،وما لم يستطع تحقيقه.

ونحن قد لا نوافقه الرأى على ما يقوله القبطان للمحمدى وهو يحاول تعليمه العزف على السمسمية :« **لازم تكون عندك حاجة تقولها ، ولو ماعندكش حاجة اخترعها** »، لأن «الاختراع» ضرب من الأوهام المثالية ، بينما هناك الكثير لكى نقوله فى الحياة عن طريق الفن ، لكننا نشعر أن البناء «الذهنى» الذى استغرقه فى«القبطان» ، وأراد به تحقيق تواصل «صوفى» مع المتفرج ، يعكس قلقا فنيا ايجابيا ، قلقا يستشعر المستقبل القادم حتى قبل أن تراه ، مثلما قال القبطان لرفاق أمسياته ، وهو يستمع معهم إلى مذياع قديم: « **فيه ثورة تانية بس مش سامع الصوت** » ، أو هو القلق الذى يمتد إلى روح ووجدان هذا الشعب فاذا به يرى- ونرى معه- قدرة «القبطان» على البقاء، قد نقول أحيانا من يأسنا أنه قد مات ، لكنه يعود دائما إلى الحياة. وفى المشهد الأخير ، يرحل الحكمدار عن المدينة ساخطا مهزوما ، ويتبدى انعكاس صورة القبطان فى ابتسامته الواثقة المتفائلة على زجاج نافذة القطار، فلا تدرى إن كان هذا الانعكاس هو الأصل أم الصورة ، إلا أنك تعلم يقيناً أن« **القبطان» ما يزال يعيش بيننا .. لأنه «هو الباقى ، ويرحل الحكام»!** .

دراما رمضان ١٩٩٨

تاريخ مع الشعب وتاريخ ضد الشعب وخواجات وعوالم



اثار الحكيم تتألق فى زيزينيا أمام يحيى الفخرانى

ذات مرة غير بعيدة ، **أعلن يحيى العلمى** - ولم يكن قد أصبح بعد رئيساً لقطاع الانتاج- أن دراما التلفزيون سوف تصبح ضاحكة حتى يبتعد الناس عن الاكتئاب ، وأنه من اليوم فصاعدا- كان هذا منذ عامين- لن يرى المشاهد مسلسلات الحزن والكآبة على الشاشة المصرية، وإنما سوف تصبح الكوميديا هى سيدة الموقف.

الآن، بعد أن مضى ١٥ يوما من شهر رمضان- ، وفى يوم الخميس ١٥ يناير أعلن المخرج الكبير أن احتلال المسلسلات التاريخية فقط للشاشة هو نوع من الاستجابة لرغبات الفنانين والنقاد والصحفيين الذين شاركوا في ندوات عقدت فى فبراير عام ١٩٩٧ بدعوة من وزير الاعلام **صفوت الشريف** عقب مجئ **عبد الرحمن حافظ** رئيساً لاتحاد الاذاعة والتلفزيون خلفاً **لأمين بسيونى وتولى يحيى العلمى** منصب رئيس قطاع الانتاج- ندباً- خلفا **للممدوح الليثى.**

كانت تلك الندوات تمثل لقاءً طال انتظاره بين من يكتبون للشاشة ومن يكتبون عن الشاشة ومن ينفذون .. وكان فيها قدر من المصارحة خاصة فيما يمس المسموح به والمرفوض رقابيا بعد أن أعلن **اسامة أنور عكاشة** رفضه لجدول الموضوعات المطروحة لأنها لا تضم علاقة الرقابة بالمبدعين وايده الحاضرون واعترضت عليه الرقيبات ، لكن الوزير ، فى نهاية الأمر ، طالب رقباءه ورقيباته بالتغيير وبالتواصل مع العصر ..

وكانت الدراما التاريخية من ضمن المطالب التى أجمع أغلب حضور الندوات على أهميتها مثلها مثل نوعيات أخرى هامة من الدراما التى تفتقدها شاشة التلفزيون المصرى بشكل منظم وفى إطار فلسفة عامة للتنوير وليس لمجرد تقديم مسلسلات مختلفة والسلام.

لكن، لم يقل أحد أن تكون المسلسلات التاريخية هى النوع الدرامى الموحد لشاشة رمضان مثل« اليونيفورم » ولا يمكن أن تكون رغبتنا فى تأكيد مواضع القوة والاصالة فى تاريخنا هى السبب فى ضرب هذا التاريخ فى مقتل عندما يجلس المواطن أمام الشاشة فى شهر تم تدجينه على أنه شهر المشاهدة الأوسع للتلفزيون ، وبالتالى شهر عرض الاعمال الجديدة فيما يشبه مهرجان -فنى خاص ، فيجد ان كل المعروض عليه من مسلسلات تاريخية ، أربعة منها تنتمى لمرحلة تمتد من مطلع العشرينات إلى نهاية الاربعينيات (**زيزينيا- الشارع الجديد- جمهورية زفتى ثم هوانم جاردن سيتى**) ومسلسلان فى مراحل اقدم (**عصر الائمة**) **ثم** (**الابطال**) ومسلسل فى مرحلة تتقدم عشرين عاما على نهاية الاربعينيات (**التوأم**) ثم مسلسل من السيرة الشعبية يعود للماضى (**سعد اليتيم**) .

وليس هناك أسوأ فن تقديم التاريخ بهذا الشكل الذى يضيع الفائدة منه إلا الزعم بأن هذه هى رغباتنا .. لأن معنى هذا أننا نرغب فى الحياة خارج الزمن ، وبينما يصعد الآخرون- إلى القمر والمريخ ويستعدون لملاقاة القرن الواحد والعشرين نستعد نحن بالعودة إلى الماضى .. ومن الجدير بالذكر **أن اغلب مسلسلات العام الماضى (رمضان أيضا) .كانت تدور حول الفساد والرشوة وخراب الذمم** في الحاضر (**الحاوى - ضد التيار- حياة الجوهرى- حلم الجنوبى**) لكن، لم تكن النسبة ١٠٠٪ وأنما رأينا مسلسلين مختلفين -الأول عن تاريخ حفر قناة السويس وتأسيس مدينة بور سعيد وهو(**قصة مدينة**) ،والثانى عن الصراع السياسى بين الفلاحين والباشوات والعملاء والاخوان وهو(**حكاية بلا بداية ولا نهاية**) ،كان الأمر متوازنا إلى حد ما ، لكن هذا العام ليس هناك توازن ، وأتصور أن العام القادم سوف يحمل لنا اعمال لا تتعرض للتاريخ ، بحجة أن الناس اشتكت .. ومع ذلك فنحن لم نشتك من التاريخ ، وانما من مكتب التنسيق التلفزيونى الذى جعل خريطة رمضان وكأنها امتحان عسير على المشاهد أن يتذكر فيه مقررات المرحلة بتفسيرات مختلفة ، فاذا تحدث الجميع عن **سعد زغلول** فعلينا أن نتذكر ملامحه وصورته فى ثلاثة مسلسلات تحدثت عن زعامته للوفد وللأمة ، وإذا جاء دور النضال الذى خاضه الشعب المصرى،

ماجدة موريس

فلابد أن تتشتت بين نضال أولاد البلد الاسكندرانية فى (**زيزينيا**) وبين نضال على وحسان والطلبة فى (**الشارع الجديد**) وبين نضال الفلاحين فى« **جمهورية زفتى**)

ومن الطريف أننا في الوقت الذى طالبنا فيه طويلا بالافراج عن سيرة زعمائنا الوطنيين وبكشف المسيرة الوطنية للشعب المصرى للاجيال الجديدة نفاجأ مرة واحدة بهذا الطوفان ، يصبح الأمر مختلطا علينا ، فهل هوالهم القومى مثلا لثورة ١٩ وللزعيم سعد زغلول ، واذا لم يكن كذلك فكيف لم تر لجنة التنسيق الموقرة أن هناك تداخلاً فى المرحلة التاريخية وتشابها كان يحتم عرض احد عملين إما (**زيزينيا**) أو (**الشارع الجديد**) ، فالاثنان يدوران فى الاسكندرية ، والاثنان عن نفس المرحلة تقريبا ، وبينما يوسع الاول شريحة البشر التى يرصدها) ويركز قاصدا على الأجانب الذين عاشوا فى الاسكندرية(**طليان - يونانيين- اروام- وغيرهم**) ويدخلهم ضمن النسيج الرئيسى للحدث أو الاحدث (المسلسل حتى الحلقة السابعة عشرة لم يقدم حدثا محددا وانما استعراض للحياة والزمن والناس -خلال بطله الأول **بشر عامرعبد الظاهر**) ، **ويأتى (الشارع الجديد)** ليعيش شريحة البشر التى تقدمها الدراما ، أنها عائلة الحاج يونس ولديه ، وزوجة ابنه صفية وعائلتها ، وبنتا الحاج وزوجيهما وأهل الشارع، وبينما يدور النضال فى (**زيزينا**) على محاور فردية منظمة وخلال شخصيات لها ملامح واضحة مثل (**الطوبجى) (وبيومى) و(صلاح**) ، فان النضال السياسى فى (الشارع الجديد) يبدو عفويا ، يندفع إليه ابطال العمل وغيرهم بلا تفكير غير حب الوطن وتصبح المظاهرات هى النموذج الاعلى للعمل النضالى (**وقد استطاع محمد فاضل أن يقدم أفضل وأهم مشاهد للمظاهرات السياسية فى تاريخ السينما والتلفزيون فى مصر ، خاصة الحلقة الثانية عشرة من المسلسل**).

أما اسماعيل عبد الحافظ فقد قدم النضال كما يحدث في قرية لها مفردات بينية أقل بكثير من المدينة وحيث تصبح قبضة السلطة أقوى وأبطش من خلال الباشا (حشمت) والمأمور غير أن للنضال فى(**جمهورية زفتى**) مذاق ووضع مختلف يأتى من خصوصية تلك الحادثة الفريدة فى تاريخ مصر والتى التقطها **يسرى الجندى** ببراعة ليطرح من خلالها عملاً هاماً يتكامل مع العملين السابقين ولا يتعارض.

وبالتالى فقد كان على مكتب« التنسيق» أن يقدم لنا (**جمهورية زفتى**) مع (**زيزينيا**) أو (**الشارع الجديد**) وليس مع الاثنين ، ففى المسلسل الاول تفرد فى المكان والتجربة واشتراك فى الزمن يجعل وجوده يقدم البانوراما المطلوبة للنضال المصرى فى العشرينات .أما المسلسلان الاخران ففيهما تكرار فى المكان (الاسكندرية) وفى مواقع عديدة من التجربة الحياتية ، وإن كان الاختلاف فى التناول والاسلوب موجودا ، ولكن ، ليس لدرجة عرضهما متتاليين وكأنهما عملان مختلفان إنهما مختلفان فى الحقيقة ولكنه اختلاف لا يبرر هذا التواجد اللصيق الذى لا يفيد المشاهد وأنما يربكه ، ويضيع من كل عمل ما يستحقه من اهتمام وإنصات وتركيز.

التوأم

ويبدو مسلسل (التوأم) غريبا على **عالم يسرى الجندى** ، ويحاول هو أن يزيل غربته بالتعامل مع السياسة -خلال التطرق إلى النكسة ، والتنظيم الطليعى ، ومنظمة الشباب ، وموت عبد الناصر وطهارته .. وقدوم السادات وعهده .. ومع ذلك تبدو تلك الاشارات كلها خارج منطق الدراما فى المسلسل الذى يستسلم لمنطق « نظام النجوم» فتصبح المساحات الواسعة فيه من حق النجمة ولحسابها . **وليلى علوى** ممثلة مجتهدة لها اطلالة محببة ، لكنها هنا تحتل المسلسل بمنطق « النجمة» وليس الممثلة المجتهدة ، وتقوم بدورى التوأم (عزيزة) الطيبة و(تهانى)الشريرة التى هى أقرب إلى بنات الليل فى سلوكها بلا تفسير منطقى سوى أن عمتها ربتها على شاكلتها. أما الأغرب من هذا فهو أننا لا نقتنع كيف أصبحت العمة(انشراح) هذا الوحش وهى التى عانت من زواج غير متكافئ .. فهل هذا التفسير وحده يكفى لنرى هذه المرأة الوحش تهدم المعبد على الجميع، ولنجد هذه البنت بهذا الشكل- هناك أمر مشترك فى (التوأم) مع مسلسلى (زيزينيا والشارع الجديد) وهو أنه يدور أيضا فى الاسكندرية ، ويضم عدداً من الممثلين والممثلات الذين يعملون فى المسلسلات الاخرى .. وبالطبع فان الامر على هذا النحو يصبح مفيدا للمشاهد ، بل مسليا ،من ناحية تتبعه لاداء الممثل للشخصيات المختلفة التى يسكنها من مسلسل لمسلسل ، لكنه- من ناحية أخرى يصبح غير مفيد ، فى المستوى الاعمق ، لأنه يقلل من مصداقية الاعمال التى نراها ، ويشعرنا بأن الموضوع تمثيل فى تمثيل.

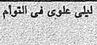
هوانم جاردن سيتى

* **هوانم جاردن سيتى** هو أحدث مسلسل للكاتبة **منى نور الدين** ومعها لأول مرة المخرج **أحمد صقر** ، وهو المسلسل الأول الذى لا تكتفى فيه المؤلفة بهموم النساء فى علاقتهن بالرجال ، وتحديدا نساء الطبقات العليا أو هوانم المجتمع وزوجات وبنات الباشوات ، وأنما تتعدى هذا إلى الدخول فى عالم السياسية فى مرحلة شائكة هى حرب فلسطين والنكبة وحيث تصبح السياسة والنساء هما المحوران اللذان تدور حولهما الحلقات . فى البداية تقدم لنا المؤلفة بطلها الكاتب المناضل (**عمر عز الدين**) الذى ينتمى للباشوات ، وتؤرق كتاباته الملك والسراى .**كما تؤرق طلعته الوسيمة ومغامراته الأميرة شاهنده والهوانم نعمت وشهرت** .. فى المسلسل لا ترى المؤلفة غير هؤلاء

جمهورية زفتى



وبالتالى فهم أبطال النضال فى حرب فلسطين ، وأبطال الجيش المصرى المهمومون والغاضبون وبالتحديد (يوسف) و(عاطف) ، الأول غضب لأنهم ابعدوه والثانى ذهب إلى الحرب ، أما **الضابط الوحيد الانتهازى الجبان فى المسلسل فهو ابراهيم يسرى الذى صعد من الطبقة الفقيرة والحقود على كل ما يمتلكه أصدقاؤه الضباط الباشوات** (الذين أدخلوه الجيش وبدون واسطتهم لم يكن ليطوله) .. أيضا فان (**عثمان فكرى**) ذلك المناضل الشيوعى الشاب الذى احتمى بقصرعمر باشا اتضح انه ابن اخت البرنسيس شاهنده من زوج مصرى لم يكن يليق بها ، ولأن الحلقات لم تكتمل بعد(١٧ حلقة فقط رأيتها) فان كل شئ ممكن، لكن ليس فى مسلسل تدور أحداثه فقط بين قصرى (محمود باشا) و(كاظم باشا) واحيانا تذهب إلى قصر شاهنده باشا.. ومكتب ومنزل عمر عز الدين باشا .. وحيث سوف يكتشف المشاهد الذى لا يعرف التاريخ ، أن الشعب المصرى كله ناضل وكافح الاحتلال والاستبداد منذ ثورة ١٩١٩ وما بعد فى (**زيزينيا**) و(**الشارع الجديد**) و(جمهورية زفتى) ثم جاءت عليه حرب فلسطين فى نهاية الاربعينيات فجلس فى البيوت متفرجاً وترك النضال للباشوات وحدهم فى (**هوانم جاردن سيتى**)!!.



ليلى علوى فى التوأم

خواجات وعوالم

-أبرز الملامح المشتركة فى مسلسلات هذا العام هو تواجد شريحتين من البشر حرص المؤلفون على وجودهم الأول هم **الاجانب المتمصرون الذين عاشوا فى مصر** وفى هذا المقام تصبح(**زيزينيا**) هى العمل الأهم لأنها جعلت علاقة هؤلاء بالمصريين والحياة المصرية علاقة جدلية حميمة مؤثرة فى النسيج الاجتماعى بكل طبقاته أما **الشارع الجديد** فهو يطرح نموذجاً يعبر عن الوجود الايجابى من خلال نموذج ستافرو الذى سافر ابنه إلى اليونان ومات فى الحرب العالمية الأولى وعاش بمسرته يساند صديقه الحاج يونس ، وفى «**جمهورية زفتى** يقدم **يسرى الجندى** وجهى العملة فكرياكو هو الخواجا الضالع مع الباشا والسلطة لنهب الفلاحين بينما يقابله آخر، صاحب بنسيون وزوجته يقفان مع الفلاحين ضد الباشوات ، وفى (الهوانم) يصبح اليونانيون -أيضا ، أصحاب بار يستقبل الزبائن المصريين ويحنو على بائعات الهوى ، كذلك كانت حائكة ثياب منيرة هانم يونانية فى **التوأم** تتواجد (ماريا) فى الحياة من خلال علاقة عمل وصداقة مع(انشراح) وأبنة أختها (تهانى) وهو تواجد لا يقابله إلا الحرص على تواجد العوالم فى كل هذه الأعمال (باستثناء جمهورية زفتى) ، ففى **زيزينيا** تتواجد بياضه والعوالم و(نعيمة عصفور) التى تقوم بدور وطنى فيما بعد، وفى(**الشارع الجديد**) يذهب سيد العتر إلى بيت العوالم ويتزوج واحدة منهن ، وفى(**هوانم جاردن سيتى**) تصبح (زينات) **العالمة** هى القطب الموازى لشكران -بنت الباشا -فى علاقتها بمحسن بك ، ويصبح عالم (زينات) وأبلتها (العالمة الكبيرة) وبناتها هو العالم الوحيد الذى ينقله لنا المسلسل غير عالم الباشوات وقصوره ، وكأنما لا يوجد وسط بين هؤلاء وأولئك ، ولا توجد مهن و طبقات أخرى .. وبينما يموت الباشوات هنا من أجل فلسطين فإن العوالم يمتن أيضا .. ولكن بسبب حب الباشوات!.

فى(**التوأم**) تبرز لنا فى الحلقة الخامسة عشرة عالمة قادمة من الريف مع فرقتها وصبيانها وفورا تسكن الست (قصة) شقة فى عمارة العطارين التى يسكن فيها أبطال المسلسل من أبناء الطبقة المتوسطة وهذا هو الفارق الحقيقى فى مسيرة «عوالم» المسلسلات عام ١٩٩٨.. فإذا كان لعوالم (زيزينيا) أحياؤهن الخاصة، وكان لعوالم (جاردن سيتى) بيوتهن الخاصة البعيدة، فإن عوالم السبعينيات فى (التوأم) أصبحن يسكن فى نفس البيوت مع الآخرين ويقمن بالبروفات وسط جيران من نوعيات أخرى .. لكنها مشغولة بما هو أهم بكثير من ازعاج الاسطى قصة « وبناتها».

كريمة مختار وعزت العلايلى وفردوس عبد الحميد .. الشارع الجديد



فن تشكيلي



الفنان الفرنسى بلازى ميشيل .. أرض مزروعة -ببينالى الاسكندرية الدولى

بينالى الاسكندرية الدولى ٩٧-٩٨ وفك الاشتباك

فى العدد السابق وعدنا بقراءة المنتج الفنى ببينالى الاسكندرية الذى افتتح فى ٦ ديسمبر ٩٧، ويستمر حتى منتصف فبراير ٩٨ ، وقد وعدنا كذلك بالحديث عن شكل التسابق، ولجنة التحكيم والجوائز ، ولكننى ما إن بدأت فى الكتابة حتى أصابنى الملل من كثرة الحديث فى البديهيات، لذلك قررت العزوف عن تناول هذا الموضوع برمته ، ليس تعالياً وإنما من كثرة ما أهدرت أمام أفكارى ، وأنا أتعاظم فى إيجاد مبررات لبديهيات..!.

فإذا استعرضنا الأعمال الفائزة بالجوائز ، لعرفنا فوراً ودون أدنى عناء أنها لا تعبر عن فلسفة واحدة ، أو منهج ، أو معيار تقييمى تم الاتفاق على ممارسته بين أعضاء لجنة التحكيم ، فعلى الرغم من أننى شخصيا لا أتفق ووجهة النظر التقليدية التى يتمسك بها بينالى دوبروفنيك لدول الأبيض المتوسط، إلا أنه يتسق فى جوائزه واختياراته وتلك الفلسفة التى يعلنها ولا يحيد عنها.

هذه بديهية ومع ذلك لا نراها تتحقق .وأسلوب تحكيم بينالى الاسكندرية ، تلك البديهية تسوقنا للأسف إلى عدد من البديهيات لن تصل بنا أو نصل بها إلا إلى الاستنزاف الذهنى والشعور بالإحباط .. فالكل يتفق على بداهة ما نتحدث عنه ، فلا هو اكتشاف أو ابتكار، ومع ذلك لا أحد يواجه تلك العشوائية ، وكأنها أصبحت أحد لوازم سياقنا الحياتى..!.

عموماً أفضل أن أتحدث عن المنتج الفنى ، فهو أكثر حميمية إلى قلمى ، وعقلى ، وهو مساحة المتعة الوحيدة التى تخصنى فى أى نص أكتبه.

***مداخل لقراءة البينالى:**

إن قراءة المنتج الفنى بالبينالى ، ليس بالسهولة التى تصورتها فى بادئ الأمر ، فهناك عدة مداخل للقراءة ، واختيار أحدها هو أمر محير..

فاطمة إسماعيل

***المدخل الأول يخص طبيعة البينالى الزمنية،** فهو حدث يعقد كل عامين إذن فيمكن قراءته باعتباره يمثل ما يحدث فى دول الأبيض المتوسط فى آخر عامين ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ولهذا الاختيار وجاهة المنطق ،حيث موضوعية القراءة الرصدية والتسجيلية لكل الاتجاهات والتوجهات والحلول باعتبارها الأمر الواقع لما يحدث بالفعل الآن فى حوض الابيض المتوسط . وهنا نقع فى تشكك أن تكون العناصر المشاركة (الفنانون) ليست هى النماذج الاستدلالية فعلياً لما يحدث .. وبذلك تصبح تلك القراءة مشكوك فيها هى نفسها.

***المدخل الثانى : قراءة المنتج من خلال ما يخص طبيعة البينالى المكانية،** كدول يجمعها حوض المتوسط ، من حيث التشابهات ، والتقاطعات ، فدول الابيض المتوسط تنقسم إلى شمال وجنوب ، شمال متحضر وجنوب متخلف شمال مركزى وجنوب هامشى ، شمال مرسل ، وجنوب مستقبل . إن سمة القراءة فى هذا المدخل «المقارنة والاستقراء» اللذان اشك فى حيادهما ، واذكر ان الناقدة والكيوراتور

التركية(**بيرال مدرا**) التى أرست الدورتين الاولى والثانية لبينالى اسطنبول الدولى ١٩٨٧ ، ١٩٨٩ قد تعرضت لهذا المدخل فى مقدمتها للدورة الثانية للبينالى وقد جاء فيها:

« يمكن تتبع الخطوط المتميزة لفن الابيض المتوسط خلال القرن العشرين فى مدارس التكعيبية ، والسوريالية ، والواقعية الجديدة ، وبشكل أقل وضوحاً فيما يخص «**الفن الفقير**» وما بعد الطليعية . وقد أثارت **ايطاليا** فى الستينيات والتسعينات اهتماما خاصاً فى عالم الفن بابتكارها حركتين فنين تطرحان الشخصية الايطالية على أنها شخصية الأبيض المتوسط .كما تمثل حركة الواقعية الجديدة التى نشأت فى **فرنسا** وحققت إثارة ونجاحاً ملمحاً آخر لخصائص البحر المتوسط وهو بمثابة إجابة على فن **البوب آرت PoP Art** الأمريكى.

نلاحظ أن إيطاليا وفرنسا هما السفيران الاساسيان لتمثيل شخصية الابيض المتوسط ، وظلت الدول الأخرى في المؤخرة.

*-«جنوب الابيض المتوسط تفتقر إلى الطاقة والقوة اللازمتين للظهور بسبب الازمة السياسية والاقتصادية ، وقد خرجت أسبانيا خروج الفاتحين على عالم الفن المعاصر خلال الثمانينات بعد أن تغلبت على عوائق ومصاعب حقيقية . وهنا نلاحظ مرة أخرى الرائحة القوية لروح الأبيض المتوسط، وفلسفته ، وعقله الترحالى والانتقالى.

وتتناول حركة «ما بعد الحداثة» حركة اليوم والمستقبل القريب ، الشخصية والسلوك والتنوع الثقافى والإتجاهات الشخصية والموضوعية وتسبر أغوار جوهر الطبيعة البشرية ، وتتجه إلى العالم الطبيعى. هذه الجوانب تشكل تلازمات لنفسية فنان الابيض المتوسط واتجاهاته وميوله الابداعية.

وتعطينا العلاقة بين فنانى الأبيض المتوسط واتجاهات ما بعد الحداثة نوعاً من التأكيد على أن نتائج الفن المعاصر لمنطقة المتوسط سوف تلفت مزيداً من الانتباه إعتباراً من الآن فصاعداً.

من هنا نقول إن هذا المدخل قد يوقعنا فى مطب الاستقراء مثلما فعلت «بيرال مدرا» دفاعاً عن هوية ما قد يصل إلى حد التحيز والقفز على النتائج.

* **المدخل الثالث:** يبقى لنا المدخل الثالث فى **إمكانية قراءة المنتج الفنى قراءة عريضة** تتيح مساحة من الحرية لطرح رؤية مفتوحة تتجاوز الحدود المكانية وكذا الزمانية ، وتسمح بتجوال أوسع دون اشتراطات مربكة.

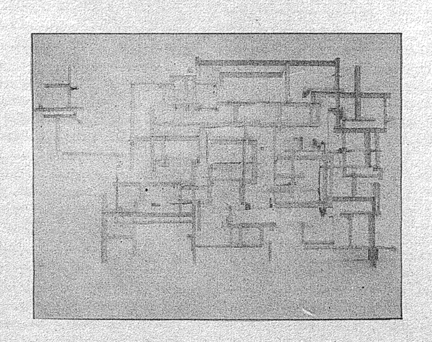
المنتج الفنى بالبينالى التقليدية البديهية، والحداثية وما بعدها:

للوهلة الأولى وبنظرة سريعة غير متأنية ، ولا مجتهدة ، يفصح البينالى عما فى ظاهرة وهو أيضا ما فى باطنه عن نوعين من المنتج:

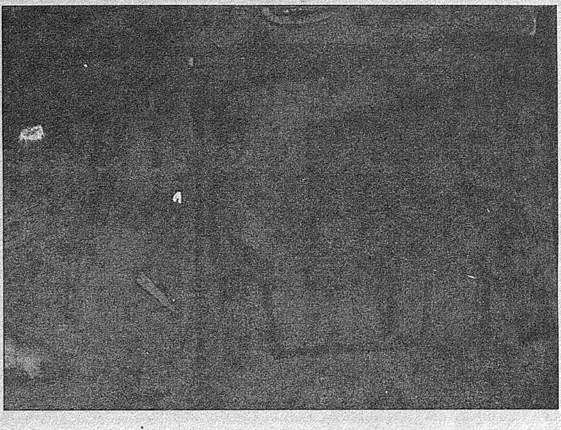
١) منتج خارجى السياق ، فلا هو تاريخى ، ولا حداثى وهو الذى نطلق عليه التقليدية البديهية العاجزة.

٢) ومنتج له عقل حداثى: يتبدى فى الأعمال الحداثية ، وهى أعمال فنية تكن احتراما لأعمال فنانى الطليعة الثانية ، ويتبدى أيضا فى منتج لم تتحدد معالمه بصورة مؤطره ومنتهية ونطلق عليه منتج يخص اللغة البديلة ، وهو يدين بالولاء فى فكره وأحيانا حلوله لفنانى ما بعد الحداثة أو كما أسماهم **يونيتو أوليفا** «**مابعد الطليعة**» بين هذا وذاك نجد من يفتعلون الحداثة ولا يفهمونها وإنما تأتى أعمالهم من سلطة تجميع المواد وتكبيرها والثرثرة فى علاقاتها دون مبرر ، وتذكر أعمال **ريم حسن وصبرى ناشد** من مصر. من هذين النوعين فى الانتاج **لا نعتقد أن ما طرح فى البينالى يحمل أفكاراً كبرى أو مدهشة باستثناء عدد لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة**، ومع ذلك فلن نعكس طموحاتنا على ما قدم بالفعل ، وسنتتبع الافكار التى تقترحها الأعمال الفنية فى ذاتها.

*نبدأ **بالأعمال خارج السياق** أو التقليدية البديهية .. وهنا قد يلتبس على البعض ، إذ يعتبر أن كل ما هو داخل تاريخ الفن وتم تنميطه قد صار بالضرورة تقليدياً ، وحتى نتجاوز هذا اللبس الذى لا ننكر أنه فى ذاته حالة تقيمية ، نوضح أن تلك الأعمال تعنى بإعادة تمثيل ما تم تنميطه بمفهوم عاجز ، نعتبر تلك الأعمال خارج السياق لأنها صاحبة قطيعة مع تمييز الانجازات الفنية السابقة، فحتى إعادة التمثيل لا تهدف إلى بث حياة جديدة ، أو الكشف عن مبررات يتلمس بل الفنان منطقاً لاختزاله عنصر الزمن ، ولكنها تقتنع باستعراض الخبرات التقنية المتواضعة للانجازات الفنية السابقة .. مثال على ذلك الأعمال التى قدمها فنانو ليبيا **التيجانى زكرى ، سالم التميمى** ، والفلسطينى **فايز السرساوى** ، والسورى **عبد السلام قطرميز**، والمصريون **مصطفى عبد الوهاب ومحمد بقشيش ، محمد ابراهيم** أعمال هؤلاء الفنانين نماذج تفرض علينا قانوناً أو منطقاً تقليدياً فى التلقى فلا تعطينا أكثر من ثنائيات تبادلية فى اللون ، الملمس، الضوء ، وكذلك الحركة ، وهى الثنائية الضدية . فقدت اللوحة الحماس لأى قيم تكمن فيها **ونحن نتساءل لماذا يشارك هؤلاء الفنانون فى بينالى الاسكندرية الدولى هذا العام..؟.**



هارفلياس يورجو- فنان يونانى- عمل من بينالى الاسكندرية الأول



محمد عبله
تفصيله من
العمل الفائز
بالجائزة الكبرى
ببينالى
الاسكندرية

إن أعمال معظم هؤلاء الفنانين ممكن عرضها فى أى لحظة تاريخية أخرى ، فلا تقدم ملامح مميزة أو جديدة تستحق الوقوف أمامها باعتبارها تميز فن الابيض المتوسط هذين العامين .. نحن لا نعترض على كونهم مصورين أو نحاتين ، ولا نتوقع أن يكونوا طليعيين أو ما بعد طليعيين، ولكننا نندهش أمام فنانين قنعوا بأن تظل تجاربهم أسيرة إطار لا يستطيع الفنان أن يخرج بها إلى أصداء خارجية ، ولم يلتفت هؤلاء الفنانون إلى أن التحديث إنما يأتى من تطور اللغة من داخل التجربة نفسها .**إن قصور تلك التجارب عن ادراك اللغات الحاضرة يفقدها بالضرورة قيمتها المستقبلية**، فاللغة البصرية الآن ترتب باستخدام العلاقات، والرسم واللون والمساحة والتصوير ، تكتشف المساحة الخارجية كمساحة محتملة ولها امكانات التوسع والامتداد.

***فنانوا ما بعد الحداثة بالبينالى:** إذا انتقلنا إلى فنانى التوجه الآخر «اللغة البديلة أو ما بعد الحداثية، أو ما بعد الطليعية، نجد أن هؤلاء الفنانين لا يحاولون الخروج بتجاربهم من تاريخ الفن إلا باعتبارتلك التجارب بحثاً متغيراً وبديلاً فى الوحدات البنائية عنها فى السابق، مقارنة بالاتجاهات التقليدية التى تحدثنا عنها والتى ظلت واقفة عند حدود الموقف الاجبارى للدالة ذات الاتجاه الواحد.

فالفن ما بعد الحداثى يقترح مساحة تفاعل للمتلقى من خلال المدلول، وأن التلقى لا يتحقق إلا من خلال علاقات متجاورة ، دائما ما تؤجل صورة العمل كنتيجة مترتبة ، فالشكل تحديداً يقوم بإدخال الفكرة والعلاقة المرئية إلى باطن وحدة داخلية .. **فإذا تأملنا أعمال الفنانة اللبنانية ريتاعون ، لجدها نموذجاً واضحا لهذا التوجه الفنى .**

تقدم ريتا ثلاث لوحات مستطيلة رأسية وموضوعها «شخوص» تقف فى فضاءات اللون الأبيض، منفذه بخامة الزيت وموضوعها (الوجه) نجدها تؤكد نفس الاتجاه ، كذلك ويتحفظ شديد الفنان الاسبانى **جوزيه باجارين**، حيث يعرض وجوهه وإن كنا نفتقد فيها عنصر «الصوتية» الذى يميز هذا النوع من الفن الذى نراه واضحا فى لوحات الفنان المصرى عادل السيوى المنفذة بخامات الأحبار الباستيل و الزيت على الخشب ، وهى أربع لوحات مستطيلة تقدم«الوجه» المستطيل «رأسيا» ، **فى تلك الوجوه نجد أن الفنان قصد إلى ادراك ضرورة اقتفاء أثر التصوير الذاتية ، وعمل على أن يربط دوافعه المساحية والزمنية بأفق الفن عموماً ، فجاءت اللوحات تبلور ذاكرة ثقافية وبصرية . تبدأ من التاريخ الفرعونى ومروراً بالافريقى ، ووجوه الفيوم، وحتى الفن الحديث.**

رغم اتفاق هؤلاء الفنانون فى الموضوع «الوجه» إلا أن ذلك ليس بيت القصيد ، ولو كان كذلك لقرأنا مناطق التماس والاختلاف بين كل فنان وإنما نحن بصدد التوجه العام والفكرة الكلية التى تضم هؤلاء الفنانين فلديهم قناعة أن الوصف والتشخيص الجديدين هما جوهر القوة التى تعمل على إظهار نفسها بشكل واضح يجذب الانتباه لذاته ، ويكشف فكرته خلف قناع الشكل المرئى الذى يفصح عن نفسه.

فى نفس الوقت نجد أعمال التقليديين ما زالت تسعى للاحتفاظ بمناطق الابداع من خلال نطاقات الإبهار والغموض وهو ما يضعف قوة العمل فى معناه الخاص. وقف هؤلاء الفنانون عند تقديس (الديالكتيك) فى الفن باعتباره الوسيلة الوحيدة لحل رموز المتناقضات فجاءت أعمالهم بعيدة كل البعد عن أوجه صراعات تدفع بها المصادمات اللغوية التى تتولد من طاقة التصوير وليس من شكله فقط كما نجده عند أصحاب اللغة البديلة الحداثية أو ما بعدها.

نتيجة هذا الجمود والعجز فى إيجاد حلول بصرية متميزة ، اصطبغت أعمال هؤلاء بملمح القصور فى النضج ، بينما نجد فى أعمال فنانى اللغة البديلة «ما بعد الحديثة» انتهاكاً للطموحات المشتقة من وظائف التصوير العادية اذا اعتبرناه وسيطا للمعنى وتحويل العمل إلى وهم يصف الحالات

الداخلية للادراك دون الدلالة على حالة،**فوجه «السيوى» و«شخوص» ريتا ووجه«جريتا» وكذلك ادريان ، تتحول داخلهم ارادة الوجود الفعلى إلى حالة وهمية لوصف الادراك** ، فنجد انفسنا نتحاور من خلال هذا الشكل من تاريخ الفن والحضارات بالغزو والانتخاب ،مع تجنب هؤلاء الفنانين لغواية إثارة المشاعر الوجدانية تجاه التعرف على حالات الشخوص أو الوجوه. **إن ذكاء أصحاب تلك اللغات البديلة فى الفن ، فى أنهم يتنازلون فى الفن عن المواقف البطولية وكذلك تجنب استدعاء المواقف المثالية ، وكسر سياق أعمالهم بعلامات ساخرة تتقاطع مع الأشكال الرصينة.. وهذا ما نسميه إحداث ال« الصوتية».**

إن أعمال ما بعد الحداثيين تختلف فكراً وشكلاً مع فنانى الحداثة أو (الطليعة الثانية) فما زال الفنانون الطليعيون يتبنون تلك المواقف المثالية والبطولية ، ويعده هذا اختلافاً جوهرياً بين الطليعيين أى الحداثيين ، وما بعد الطليعيين أو ما بعد الحداثيين ، إلا أن الاثنين يتفقان فى عدم الاهتمام بالمهارة أو الاتقان ، والتركيز على توليد وإحكام العلاقات وإن كان مفهوم توليد العلاقات يختلف عند كلا الاتجاهين ، فقد سعى الطليعيون إلي توليد العلاقات بين الخواص المختلفة للخامات المستخدمة وتضمين العمل حركته الداخلية التى تسهم فى تكوين الشكل العضوى النهائى ، مستندين إلى رصانة شاعرية تكمن فيه.. **فالعمل لابد أن ينطوى على معنى.**

والمثال الواضح على الفن «الطليعى الحداثى العمل الذى قدمه **اليونانى يورجوس هارفالياس**قدم عملاً مركباً من وسائد قطنية بيضاء ،قواطيع معدنية مثبتة على الحائط فى وضع افقى على شكل مكتبه ، ثم توضع الوسائد القطنية فى فراغات متفرقة بين الحائط والأعمدة المعدنية ، كذلك العمل المقدم من **اليونانى** أيضا **ينيبس ساهينيبز** والعمل الذى قدمه الفنان **المصرى «محمد عبله»** تحت اسم «**النيل**» وهو يتكون من ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول لوحة تصويرية مثبتة على الحائط منفذه بخامات الزيت والاحبار على الخشب ، الجزء الثانى أوبجكت مستطيل ، ومثبت على أرضية القاعة. وهو عبارة عن وحدات مستطيلة مجزأة يتم تجميعها فى مستويات مختلفة ، منفذ هذا الجزء بخامة الطين، ومثبت عليها مخلفات من البلاستيك، لعب أطفال ، عرائس وشماعات وخلافه . يترجم هذا الاوبجكت قاع النيل بينما اللوحة سطحه ، وقد صور الفنان الاسماك ، ثم الجزء الثالث من العمل (قرطاسين) من الطين على شكل مثبتة بخامة البوليستر ، أحد هذين القرطاسين يوضع على مستطيل قاع النيل ، والآخر يتدلى فى الفراغ يسار اللوحة قصد به الفنان إحداث علاقة الربط بين اللوحة على الحائط، والاوبجكت على الأرض..!.

نقول إن العمل ينطوى على معنى يرتبط باهتمام عام وهو تلوث مياه النيل ، فالعمل يدعو لمقاومة لحظة غفلة نحياها . من المفترض في منطق هذا العمل أن ترتفع قيمته الفنية من تكثيف الكناية بما يسمح للصورة أن تأخذ معنى متحركاً من خلال علاماتها ، وأن تراعى مسارات العلامات بما ينتج مجالاً يكتسب قيمته من إمكانات تحريكها ، **أما الافصاح أو الاستعارة الصريحة لمثل هذا النوع من الفن فتفقده عمقه وتجعل العمل سجناً لمحتوى الرمز** ،وكما ذكرنا من قبل أن هذا النوع من الفكر الفنى يقوم بتقديم الدالة ويختزل المدلول لمستوى التلقى فإذا ما قدم العمل دالته ومدلوله فى آن واحد وصل لحالة . من المباشرة تسقط خاصية هامة فى منطق العمل.

وقد يكون المبرر عند **عبله** فى أن هذا النوع من الفن هو تحقيق لعقلانية تنتصر للواقع المفهوم، والواضح بأبسط ممارسة ممكنة هنا نرتبك مع نقيضه ثانية يصفها لنا عبله وهى أن تجربته بالضرورة تقتضى الاقتصاد فى الصورة الفنية ، إلا أننا نجده لا يتنازل عن الابهار بالغموض الذى لا يفرض معناه الخاص، يقوم بتجزئ العمل كإشارة لإمكانية بناء اللوحة من مجمل أجزائها التى لا يدخل قانون بنائها فى إطار منطقى فيجمع بين لوحة التصوير الزيتى ويحتفظ بالتثبيت على الحائط، ثم ينفصل عنها باستخدام مستطيل الاوبجكت على الأرض ، وكل من هاتين الوحدتين فى بناء العمل عمل فنى مستقل له قانونه فبينما المستطيل عمل فقير ، خشن، مقتصد ، يكثف فيه الفنان« المعنى» تلوث النيل ، لا يحتاج المتلق معه إل« «فك» شفرات للعمل . فهو يقدم الدالة والمدلول فى نفس اللحظة.

ثم نأتى إلى الوحدة الثالثة فى البناء وهى اداة الربط وهى تمثل عنصر المراوحة عند الفنان فى القانون البصرى ، نقصد هنا «القرطاس» المتدلى من سقف القاعة الذى يشغل فراغ المساحة الواصل بين الاوبجكت واللوحة .. هذه الوحدة بوضعيتها نعتبرها الحالة غير المنطقية التى يتجول فيها الفنان فى حلوله الشكلية لإحداث توازنه البصرى..!!.

أما أعمال اليونانيين **يورجوس جرموفينوس ، ويورجوس ساكميريس**، فتردنا إلى إحدى أفكار فنانى الطليعة الحداثية فى المواجهة بين الطليعة والتكنولوجيا ، ويقول **ايمانويل مافروماتيس** وهو استاذ لتاريخ الفن بمدرسة الفنون الجميلة جامعة **أرسطو بسالونيك** «نجد أعمال هؤلاء الفنانين جميعا معنية بالبيئة من حيث أن ما يحدث بها أصبح ذاكرة الشكل فى الصراع القائم بين الطبيعة والتكنولوجيا.

*الاختلافات بين الحداثيين وما بعد الحداثيين

لكى نوضح الاختلافات بين ما يقدمه فنانى الحداثة وما بعدها **ادريان ، جريتا ، ريتا السيوى** (ما بعد حداثيين) ،**ومدحت نصر محمد عبله ، يورجوس ، ساكميريس،** وغيرهم (حداثيين) سنجد الفارق هو أن **ما بعد الحداثيين ، يغامرون بإمكانية تقديم معنى غير ثابت وجزئى يتم الاستدلال عليه من سلسلة علامات لا تتحرك وفق نظام يمكن التنبؤ به ، لذلك فدائما ما يكون محيراً ، ومربكاً** فحين نرى الوجوه المستطيلة فى **لوحات السيوى** وتلك هى العلامة الأولى أو الصوت الأول وهى وجه رصين ، خشن ، متعال ، هجومى وفجأة يقتحمه رسم ساخر لشخص أو حيوان ممسوخ تلك علامة جديدة أو الصوت الثانى ، الذى لا علاقة له بالأول ولا هو من نسيجه ،كما أنه فجائى فالعلاقة الأولى لم تمهد عند المتلقى لتلك العلامة الثانية ، ينتج عن هاتين العلامتين اللتين تتحركان كل فى طرف مضاء إلى إحداث معنى مربك ، ومحير ومفتوح بينما **العلاقات عند الطليعيين ، تتحرك فى مجال مركزى ولذلك فهى ذات حركة منطقية توالدية، تصل بنا فى النهاية إلى مضى واحد لا يمكن أن تحيد عنه ومحدد.**

أما ما **بعد الطليعيين** فعلاماتهم لا تؤدى بالضرورة لإحداث معنى ، بل العكس فهى تحدث خللاً فى حالة تضمين أحد الصوتين لمعنى من خلال علاماته. العلامة عند ما بعد الطليعيين متحركة فى الزمان والمكان لكونها استرجاعية أو استعادية ، بينما العلامة عند الطليعيين ثابتة ثبات الفكر والايديولوجية .

ما بعد الحداثيين يعملون على أن يكون إحياؤهم لعلاماتهم من خلال منطق بحثى ، بينما يعيد الحداثيون تمثيل الموضوعات لتكثيف الأفكار ، وكثيرا ما يلغى العلامات ويستبدلها بالاشياء الواقعية الصادقة.

هذه العلاقة المقارنة التي نسوقها لقراءة الأعمال الفنية لا نسعى فيها إلى الانحياز لأى من الاتجاهات التى مثلت فى البينالى ، وإنما فقط حاولنا انتخاب النماذج التى تحققت فيها مشارطات منطق الطرح كى تساعدنا على عقد المقارنات الصحيحة فى محاولة لتسهيل القراءة والايضاح بيننا وبين المتلقى.

مشاغبات



قبل أن يتحول التضامن مع جارودى .. إلى تضامن مع أعدائه

أما وقد قررت الدائرة السابعة عشرة، لمحكمة جنح باريس، تأجيل الحكم فى قضية"جارودى" إلى ٢٦ فبراير القادم، فمنحتنا -بذلك- نحن العرب، فرصة زمنية إضافية، نستطيع فيها أن نستدرك مافاتنا، وأن نستوعب دروسنا، استعداداً لدخول "ملحق الامتحان" بعد أن إنكشف -فى الجولة الأولى- تقصيرنا، وهى فرصة .. يمكن أن تمتد -فى حالة صدور حكم ابتدائى ضد "جارودى"، سوف يقود بالضرورة إلى مرحلة أخرى من التقاضى، فقد آن الأوان، لكى نستفيد من هذه الفرصة فى حشد صفوفنا، وتنظيم أفكارنا، لا لكى نقوم فقط بواجبنا تجاه "جارودى" وغيره ممن يناصرون حقوقنا ،ولكن -كذلك- لكى نقوم بمراجعة الخطاب العربى، الذى نتوجه به إلى الرأى العام العالمى، وخاصة فى الغرب، على نحو يوسع من نطاق الذين يتعاطفون معنا، ويقفون إلى جوارنا فى مواجهة اللوبى الصهيونى الذى فضح كتاب "جارودى"، -الواقف معنا فى قفص الاتهام- جانبا هاما من أسلوبه فى حشد العالم إلى جانب باطله، بينما مانزال أعجز من أن نستثير حماسه إلى جانب حقنا!.

ومن أخطائنا الثابتة أننا نتجاهل عادة أن هناك "آخر"..ومع أننا نرفض -عادة- أن نكون هذا الآخر، فأننا نتوهم -بسذاجة- أن هذا الآخر يمكن أن يكون نحن،ويمكن أن ينظر لقضايانا من وجهة النظر نفسها التى ننظر نحن بها إليها.. فيقتنع بعدالتها مادمنا نحن مقتنعون بأنها عادلة، لذلك نخاطبه بالأسلوب الذى نتخاطب به مع بعضنا البعض، ونسوق إليه مانعتبره بديهيات من دون أية محاولة للبرهنة على صحتها، أو غربلتها، حتى لاتصطدم مع ما استقر فى وجدانه أو ثقافته،فإذا لم يقتنع ملأنا الدنيا شكوى من انحياز الآخر ضدنا، بدلاً من أن نعيد النظر فى خطابنا إليه، مع أننا لو فعلنا لاكتشفنا أننا كنا نترافع ضد أنفسنا، ونعطى لأعدائنا، حججا تدعم باطلهم.أمام محكمة الرأى العام العالمى..

حدث فى بداية الخمسينات، أن ألقى الكاتب الكبير الراحل "عباس محمود العقاد" سلسلة من الأحاديث فى الإذاعة المصرية، تحت عنوان "الصهيونية العالمية" كرر فيها فكرة كانت -وماتزال- شائعة بيننا، تقول أن اليهود هم وراء كل حركة تستهدف تدمير العالم، وضرب على ذلك أمثلة من بينها أن وراء الشيوعية يهودى هو "كارل ماركس"، ووراء التحليل الجنسى يهودي هو "سيجموند فرويد" ووراء اكتشاف القنبلة الذرية يهودى، هو "البرت اينشتين"، وأبدى أسفه لأن جماعة مثل جماعة "الكو - كلوكس - كلان" قد وسعت من نطاق نشاطها ليشمل الزنوج واليهود فى الولايات المتحدة، مما أدى للقضاء عليها، فى حين أنها لو قصرت هذا النشاط على اليهود، لقضت عليهم وخلصت المجتمع الأمريكى من شرهم..

وبسبب الجهل النشيط، تحمس أحد المسئولين فى مصلحة الاستعلامات المصرية، لهذه الأحاديث فطبعها فى كتاب تلقفته الدعاية الصهيونية، لتترجمه إلى كل اللغات الحية، وتذيعه باعتباره دليلا على عقلية الضباط النازيين المعادين للسامية الذين استولوا على الحكم فى مصر، ويستلهمون أفكارهم من نفاية الأفكار النازية، ويمهدون لإقامة محارق أخرى لليهود ويستعدن لإلقائهم فى البحر..

ذلك نموذج قد يفيد التذكير به كل الذين ينشطون ضمن إطار حركة التضامن مع "جارودى" حتى لاتتحول إلى مولد ينزل إلى ساحته الجميع، فتختلط الأمور، وتتعدد اللهجات وتتحول حركة التضامن مع الرجل إلى حركة تضامن ضده..

وحتى لايحدث ذلك، فعلينا أن ندرك أولاً، أن هذه الحركة، لاتتوجه -بالدرجة الأولى- إلى الداخل- ولاتهدف إلى إثارة تعاطف الرأى العام العربى مع "جارودى"، بل تتوجه إلى الرأى العام العالمى والفرنسى بالذات، لدفعه إلى الوقوف إلى جوار الرجل لأسباب لابد وأن تكون فرنسية وأوروبية بالاساس، وليست عربية، فلامعنى -مثلا- للقول بأن الأوروبيين عنصريين يكرهون الإسلام والمسلمين، ولافائدة من القول بأن الديمقراطية الأوروبية فى مأزق وبأنها تكيل بكيلين وتزن بميزانين، مع أن ذلك قد يكون صحيحا، فليس كل ماهو صحيح، قابل للإذاعة فى كل وقت، والنتيجة المحققة لإذاعة مثل هذه الآراء، هى أن ينفض الرأى العام الأوروبى عنا، وعن "جارودى"، وينحاز ضدنا وضده..

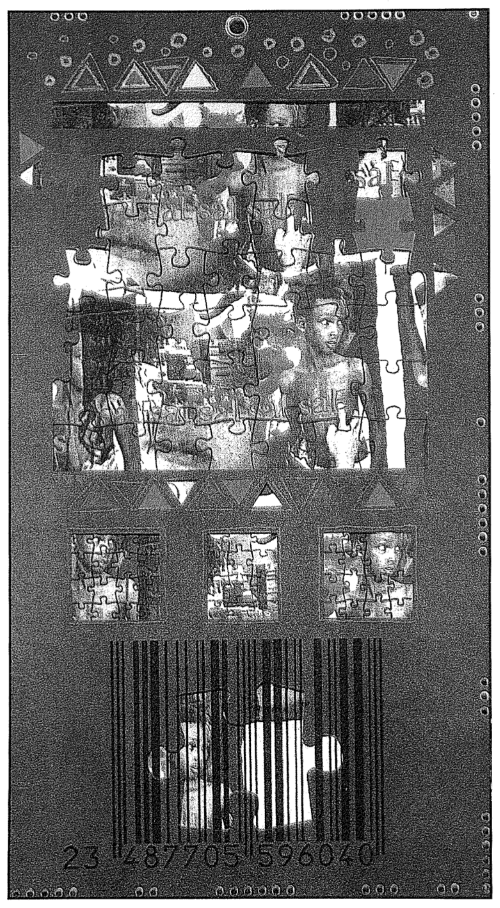
وينبغى أن يكون واضحا أمامنا أن حركة التضامن مع«جارودى» لا تتوجه ضد الفرنسيين أو ضد الأوروبيين ، ولكنها تتوجه ضد اللوبى الصهيونى الذى يمارس نفوذا واسعاً فى الحياة العامة الفرنسية، من خلال السيطرة على ٨٠٪ من أجهزة الاعلام الفرنسية ، مع أن اليهود لا يشكلون سوى ٢٪ من سكان فرنسا ، ومع أنهم ليسوا جميعا من الصهاينة، فالهدف من حركة التضامن مع جارودى ، هو تأسيس لوبى فرنسى يتعاطف مع القضية العربية ، وليس تحويل الفرنسيين والاوروبيين جميعهم، إلى«لوبى صهيونى»!.

ويجب أن يكون واضحا أنها حركة شعبية لا صلة لها بالحكومات العربية ، ولا يجوز أن تكون لها صلة بها، ولا تتوجه للحكومة الفرنسية ولا يجوز أن تتوجه إليها، فالذى اقتاد «جارودى» إلى المحاكمة هى منظمات صهيونية ، وليست حكومة «اسرائيل» وهو يمثل أمام القضاء الفرنسى - الذى هو سلطة مستقلة تماما ، واذا كان من حقنا أن نندد بالقانون الذى يحاكم بمقتضاه «جارودى» ، فلا يجوز لنا أن نبدو فى صورة الذين يحرضون الحكومة الفرنسية على التدخل فى شئون القضاء، لان ذلك- فضلاً عن عدم جدواه- يتصادم مع القيم الديمقراطية السائدة فى فرنسا، وفى غيرها من الدول الأوروبية.

ومن المهم أن تركز حركة التضامن مع«جارودى» على أنه يقف فى قفص الاتهام بتهمة ممارسة حرية أساسية من الحريات التى يصونها الاعلان العالمى لحقوق الإنسان، وتكفلها كافة الدساتير الأوروبية بما فيها الدستور الفرنسى ، لمواطنيها، هى حرية البحث العلمى.. وأنه يحاكم بمقتضى قانون يتناقض مع هذا الحق، ويضفى حصانة على معلومات تاريخية ، ويحصنها ضد النقد العلمى .. ففضلا عن أن ذلك هو الجوهر الحقيقى لقضية جارودى، الذى سعت الحركة الصهيونية التأويلة بحيث يبدو معاداة للسامية فانه كفيل بحشد المثقفين والاكاديميين الفرنسيين والاوروبيين إلى جواره.

وحتى يتحقق هذا وذاك، فأن حركة التضامن مع جارودى ، تحتاج إلى عقل ينظم افكارها ، وحركتها ، وينسق بين فروعها القطرية ، عن طريق لجنة قومية، تحول بينها وبين أن تتحول من حركة للتضامن مع جارودى إلى حركة للتضامن ضده.

صلاح عيسى



مدحت نصر – تقنيات متعددة – بينالي الإسكندرية الدولي ٩٧ – ٩٨



لوحة للفنان عادل السيوي- بينالي الإسكندرية الدولي ٩٧ - ١٩٩٨